المؤرخ السوداني

مجلة الجمعية التاريخية السودانية

العدد الثامن 2024م

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير

أ.د. يوسف فضل حسن

رئيس التحرير

أ.د. ميمونة ميرغني حمزة

سكرتير التحرير

د. جعفر محمد دياب

المحـــررون:

أ.د. معتصم أحمد الحاج

أ.د. السر سيد أحمد العراقي

أ.د. عبد القادر عثمان جاد الرب

أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد

موجهات النشر:

ترحب "المؤرخ السوداني" بإسهامات المشتغلين بالتاريخ والعلوم ذات الصلة والمهتمين بقضايا التاريخ بشكل عام وتضع التوجهات التالية:

1. الأصالة في اختيار موضوع الورقة وألا يكون قد سبق نشره في دورية علمية أو نشر ضمن مداولات مؤتمر علمي.
2. التزام الورقة بالمنهج العلمي في العرض والأسلوب والتوثيق.
3. وضع الإحالات في نهاية الورقة
4. توثق المصادر والمراجع العربية الحديثة (بعد القرن التاسع عشر) بوضع اسم المؤلف ولا يستخدم اسم العائلة إذا كان هناك صعوبة في معرفة اسم العائلة في الأسماء العربية الحديثة ولهذا يوثق اسم المؤلف كما جاء في غلاف المرجع ، مثال: يوسف فضل حسن.
5. المصادر العربية قبل القرن الثامن عشر يوثق المصدر باسم العائلة ثم الاسم الشخصي مثال الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير.
6 المصادر الأجنبية توثق باسم العائلة ثم الاسم الشخصي، مثال: Holt, Peter William
7. اللغة العربية لغة الدورية لكن يمكن قبول مساهمات بلغات أخرى.
8 . الالتزام بعرض الموضوع بمقدمة تحتوي على أهمية الموضوع والهدف من دراسته ووضع عناوين فرعية وخاتمة توضح أهم النتائج وتوصيات.
9. الالتزام بمطابقة العنوان مع المحتوى ليكون العنوان واضحاً على ألا تقل كلماته عن ثلاث كلمات ولا يزيد عن أحد عشر كلمة وعدم استخدام تعابير تقييمية.
10 . يكتب البحث بواسطة برنامج "ميكروسوفت ويرد" إذا كانت لغته العربية حجم الخط (14) . في حالة لغة البحث غير العربية يستخدم Times New Roman.
11. يوضع في مقدمة الورقة مستخلص باللغة الإنجليزية اذا كانت لغة البحث العربية وبالعربية إذا كان البحث بغيرها في حدود 200 كلمة .
12. يكون حجم الورقة في حدود 6000 كلمة (30 صفحة A 4).
13. ترحب المجلة بعرض إصدارات جديدة في التاريخ أو موضوعات ذات الصلة.
14. تجاز الورقة بواسطة محكمين من ذوي الاختصاص.
15. الأولوية للنشر للأوراق حسب وصول تقارير المحكمين.

Contact: Maymounahamza 2015 @ gmail.com. dahliakarar7@ gmail.com

محتويات العدد

الموضوع	الكاتب	صفحة
هيئة التحرير		ب
موجهات النشر		ج
محتويات العدد		د
كلمة العدد		هـ
تهنئة وتقدير		و
الحكومات الانتقالية في السودان (دراسة تحليلية ومقارنة)	أ.د. عبد العزيز محمد موسى	1
الديمقراطية الزائفة: إرث من حكومة السودان "البريطانية"	أ.د. ميمونة مرغنى حمزة	28
مستقبل السودان: صراع بريطاني مصري 1946-1951	د. علي محمد الصافي	46
دور الصحافة السودانية في تحفيز النخبة نحو الاستقلال (1899-1956م)	دكتور/ محمد أحمد محمد طه	79
إسهامات الأكاديميين السودانيين في كتابة تاريخ السودان القديم	د. الأمين عثمان شعيب	98
محمد البلالي: مغامر غامض من وسط افريقيا في سودان القرن التاسع عشر	خالد محمد فرح	124
نلسون مانديلا رمز الكفاح الوطني في افريقيا	أ. رضوان أحمد	141
الخطاب الحِجاجي في وثائق المراسلات السنارية1504-1821م (دراسة تطبيقية لعينة مختلفة من المراسلات)	د. لمياء دفع الله	158
الهجرة الإسلامية البينية (هجرة زيربي إفريقية إلى الأندلس نموذجاً) (الشروط –الأسباب - النتائج)	أ.د. عبد القادر عثمان جاد الرب	191
The Effects of Tribal Strife in Africa : The Case of South Sudan	Dr. Daniel Thabo Nyibong	208

كلمة العـــدد

السلام عليكم ورحمة الله تعالي وبركاته،

القراء الكرام يصدر هذا العدد من دورية "المؤرخ السوداني" في هذه الظروف وما صاحبها من تعقيدات إلا أننا راينا ضرورة إصدار هذا العدد إذ أن المؤرخ ربما هو أول من أصيب بالصدمة جراء ما حدث بسبب إلمامه الكامل ليس فقط بتاريخ السودان من قديمه وحديثه؛ بل بتاريخ العالم وبالتالي لديه القدرة والكفاءة لتحليل بقدر من الوضوح والموضوعية لما حدث. يستطيع المؤرخ أن ينظر للوضع في إطار مسيرة التاريخ لأن هذه المسيرة مثل النهر الجاري لا يمكن إقامة فواصل لإحداثها وما نتعلمه من دروس التاريخ أن كل حدث له جذور. فهناك واقعاً يؤدي إلي واقع جديد ومختلف فيحدث التغيير وما مسيرة التاريخ إلى رصد لمتغيرات. مسؤولية المؤرخ ليس فقط رصد زمني لوقائع بل تحليلها وإبراز خلفيتها وما أفضت له من نتائج. وبالتالي لا يسلم بحتمية الحدث ولا يمكن اعتبار واقعة ما بأنها فجائية أو معزولة ولهذا لا بدَّ من البحث والتقصي لمعرفة خلفية وقوع الحدث أو الواقعة . إن معرفة الخلفية هي التي تكشف عن دوافع وقوع الحدث. قد يكون الحدث إيجابيا مثلا ظهور الثورة الصناعية بسبب رغبة الإنسان في الاستفادة من ملكاته العقلية لتحسين أوضاعه فلكي نفهم التغيير الذي حدث لا بدَّ من التعرف كيف كانت الأوضاع سابقاً.

وبناءً على هذا واجب المؤرخ ليس رصد وقائع وأحداث راهنة ومعرفة ما حدث بل إجابة على سؤال لماذا حدثت لأن معرفة الخلفية هي التي تفيدنا في ربط المستقبل بالماضي والحاضر.

إن ما وقع في 2023م ليس نتيجة لأحداث ثلاث أو أربع سنوات مضت بل أن الأخذ بهذا المفهوم يجرد التاريخ من فلسفته الأساسية وهي االتعلم من دروسه وأخذ العبر والاعتبار. ولهذا يحتاج المؤرخ للتمعن في تجارب قرن كامل بداية من 1900م ليفهم ما حدث حالياً.

تم تفادي الرصد الزمني والموضوعي لما حدث بالرغم من أهميته وصعوبة استيعابه كحدث لم يشهد له التاريخ المحلي أو الإقليمي أو العالمي مثيلاً ولهذا يتطلب الأمر تقصي وتحليل على درجة من العمق والتأني. فليس هذا وقت رصد وتحليل ما حدث. قد يحين موعد هذه العملية بعد عدة حقب عندما تتوفر مصادر موثوقة ويمكن الاعتماد عليها. ما نريد معرفته الآن ليس ما حدث بل إجابة على السؤال لماذا حدث. خصصنا حيزاً من العدد لمقالات ارتبطت بالإجابة عن هذا السؤال كما رأينا أن نفرز حيزاً لمقالات أخرى وصلت وأعدت للنشر سابقاً.

أسرة التحرير في غاية الامتنان لإدارة جامعة دنقلا لتكرمها باستضافة هذا العدد في موقعها الاكتروني فلهم الشكر والتقدير. والشكر أجزله للأستاذ الدكتور الأمين عثمان شعيب لجهده العظيم في مراجعة ومتابعة هذا العدد حتى تمكنا من إخراجه في هذه الظرف الصعب.

والله ولي التوفيق

أسرة المجلة

تهنئة وتقدير

أصدرت منظمة A D Scientic Index قائمة تضم ألف عالم من علماء السودان وقد ركزت بشكل أساسي على العلماء في مجال العلوم الطبيعية وإن أفرزت حيزاً ضيقاً لعلماء الإنسانيات وكان علي رأس هذه المجموعة البروفسر يوسف فضل حسن معلم وأستاذ الأجيال في جامعة الخرطوم. تزجي الجمعية التاريخية له أصدق التهاني والتبريكات وبهذه المناسبة نعيد نشر هذه الإشادة من أحد تلاميذه التي قدمت في مناسبات تكريم معهد الدراسات الأفريقية والأسيوية لأستاذنا العظيم.

الأستاذ الدكتور يوسف فضل حسن رصانة الكسب وجزالة العطاء

أ. د. عبد الله علي ابراهيم

إن تكريم بروفسر يُوسُف لا يعني منح الشهادات التقديرية، أو الأوسمة الديوانية، أو الميداليات الذهبية، بل يعني بسط عطاءه المعرفي والإداري والمجتمعي في ندوة علمية وعالمية، يكون عنوانها "رصانة الكسب وجزالة العطاء"، وذلك بمبادرة من مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر (السودان). ويُقصد برصانة الكسب الخلفية الابستمولوجية التي استند إليها يُوسُف، بدءاً بكالوريوس الآداب، كلية الخرطوم الجامعية عام 1956م، وبكالوريوس الشَّرف في تاريخ الشرق الأدنى والشرق الأوسط في معهد الدراسات الشرقيَّة والإفريقيَّة بجامعة لندن عام 1959م؛ ومروراً بدرجة دكتوراه الفلسفة في التاريخ الإسلامي في جامعة لندن نفسها عام 1964م؛ وارتقاءً برتبة الأستاذيَّة (Professorship) في التاريخ بجامعة الخرطوم في أول يوليو 1972م. أما جزالة العطاء فتعني دوره الفاعل في عملية التعليم والتعلم، حيث درَّس بقسم التاريخ ومعهد الدراسات الإفريقية والآسيوية (جامعة الخرطوم) مقررات تاريخ العرب، والخلافة العباسيَّة، والخلافة العثمانيَّة، وشمال إفريقيا في العهود الإسلاميَّة، والممالك الإسلاميَّة في السُّودان، والإسلام في إفريقيا، والديانة المسيحيَّة في إفريقيا؛ كما أشرف على وناقش العديد من أطروحات الماجستير والدكتوراه في جامعات محليَّة وإقليميَّة وعالميَّة. أما ملف خدمته الإدارية-الأكاديمية فقد استهله بوظيفة مدير شعبة أبحاث السُّودان (1965-1972م)، خلفاً لمديرها المؤسس البروفيسور ج.ن. ساندرسن (1964-1965م)، وعلى يديه تطور هيكل الشعبة الإداري والأكاديمي، وتبلورت معالم رسالتها العلميَّة، وكما وثَّق لذلك في مقاله المنشور في مجلة الدراسات الإفريقيَّة الحديثة (The Journal of Modern African Studies) عام 1966م. وفي عهده تمَّ ترفيع وحدة أبحاث السُّودان إلى معهد الدراسات الإفريقيَّة والآسيويَّة، الذي تقلَّد يُوسُف منصب مديره المؤسس (1972-1983م)، إلى جانب عمادته لكليَّة الآداب (1975-1979م) بجامعة الخرطوم. وبعدها عُين مديراً لجامعة أمدرمان الإسلاميَّة لمدة عام أكاديمي (1984-1985م)، ثم مديراً منتخباً لجامعة الخرطوم (1985-1990م)؛ وأخيراً ختم أعماله الإداريَّة الأكاديميَّة العليا مديراً مؤسساً لجامعة الشارقة بدولة

الإمارات العربيَّة المتحدة (1997-1998م). أفسحت هذه الخبرة الإداريَّة- الأكاديميَّة المتراكمة المجال للأستاذ يُوسُف بأن يشرِّف عضويَّة العديد من المؤسسات، والجمعيات، والمجلات العلميَّة العالميَّة والإقليميَّة والمحليَّة، ونذكر منها على سبيل المثال عضويَّة اللجنة القوميَّة لليونسكو (دورتين)، وعضويَّة اتحاد الجامعات العربيَّة والإفريقيَّة والإسلاميَّة (1984-1990م)، ورئاسة مجلس إدارة الهيئة القوميَّة للمتاحف والآثار بجمهوريَّة السُّودان (2004- حتى الآن)، وعضويَّة مجلس دار الوثائق القوميَّة (1966-حتى الآن)، وعضويَّة المجلس القومي للبحوث العلميَّة (ثلاث دورات)، ورئاسة تحرير مجلة السُّودان في رسائل ومدونات (1967-2014م)، ورئاسة الجمعيَّة التاريخيَّة السُّودانيَّة (1995-2000م)، ورئاسة اتحاد الكتاب السُّودانيين (2005-2007م)، ورئاسة الهيئة العلمية لمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر (السودان). ولا جدال في أن هذه النماذج تعكس طرفاً من الخدمات الجليلة التي قدمها يُوسُف لنهضة العمران البشري، والعمل على تطوير مؤسساته الفاعلة في تجويد العطاء العلمي، وحفظ الموروث الحضاري، وتحقيق الرقي الثقافي. وفوق هذا وذاك، أبحاثه العلمية التي منحته موقعاً متميزاً في خارطة الدراسات السُّودانية. وذلك بفضل منهجه البحثي، القائم على استقراء المصادر التاريخيَّة المتنوعة، ووضعها في سياقاتها التاريخية، دون الاكتفاء بقراءة نصوصها قراءة ظاهريَّة وباطنيَّة، بل ذهب وراء ذلك، محللاً محتوياتها ومرتباً سردياتها التاريخية وفق مناهج العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة المساعدة، ولذلك أكسبها دقةً وشمولاً وعمقاً. وقد أشار إلى هذه المحددات المنهجية في مقاله الموسوم بـ "ملامح من الاتجاهات العامة للنهج التاريخي للدراسات العليا في الجامعات العربيَّة"، و
مقاله الآخر المنشور في مجلة الدراسات الإفريقيَّة الحديثة الذي أسلفنا الإشارة إليه. وفي هذه الورقة المرجعية يصعب حصر منجزات يُوسُف في مجال الدراسات السُّودانية، ولذلك نكتفي بطرح نماذج مختارة .

أولاً: يُعدُّ تحقيق يُوسُف لكتاب "**الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والشعراء في السُّودان**" عملاً مرجعياً رائداً؛ استوفى فيه كل المعايير العلميَّة المتعارف عليها في تحقيق المخطوطات العربيَّة؛ وحافظ على سلامة المتن دون أن يُنصِّب نفسه حكماً على معتقدات الناس؛ ومهَّد لذلك بمقدمة نفيسة، سرد فيها بإيجاز خلفيَّة الظروف التاريخيَّة، والمناخ الثقافي الذي صُنِف فيه كتاب الطبقات، وترجم للمؤلف وأسرته، وعرَّف القارئ بالمنهج الذي اتبعه في التحقيق، وشرح في الحواشي الألفاظ الصعبة، وترجم للأعلام والأماكن، مع توفير المعلومات التاريخيَّة والجغرافيَّة والاجتماعيَّة اللازمة لفهم النصّ، ثم ذيَّل ذلك بثبت للمصادر والمراجع، وفهارس للأعلام، والأماكن، والبلدان، والقبائل، والكتب التي ذُكرت في الطبقات، وبعض الكلمات والمصطلحات المشروحة في الحواشي؛ وبذلك أضحى كتاب الطبقات عملاً مرجعياً ومنهجياً للعاملين في مجال تحقيق المخطوطات، ومصدراً تاريخياً للباحثين في مجال الدراسات السُّودانيَّة؛ لأنه، كما يرى المحقق، "مرآة صادقة لحياة السُّودانيين الدينيَّة، والروحيَّة، والثقافيَّة، والاجتماعيَّة، وسجل صادق لمعتقداتهم الدينيَّة في ذلك العصر أياً كان

رأينا فيها. وقد سجل المؤلف ما تواتر من تلك الأخبار واشتهر دون أن يتعرض لها بالنقد والتعليق، بل وقف من كل ذلك موقف الراوي الأمين. ولا شك في أن المؤلف في أخباره عن الشعوذة والخرافة التي كانت رائجة في زمانه، وفي حديثه عن الكرامات وخوارق العادات التي أسبغها الأتباع على مشايخهم حتى ظنوهم قادرين على إبراء المرضى، وإحياء الموتى، والإخبار عن الغيب، قد أرخ لكثير مما لا يرضاه العقل ولا يقبله الدين، لكنه ترك لنا معلومات ثرَّة عن معتقدات السُّودانيين، والتي تمثل الجذور التاريخيَّة لكثير مما هو سائد في سودان اليوم."

ثانياً: يُعدُّ كتابه "**دراسات في تاريخ السُّودان و إفريقيا وبلاد العرب**" بأجزائه الثلاثة مرجعاً تاريخياً رائداً في موضوعاته؛ لأنه يعالج بعض الفترات المهمة من تاريخ سودان وادي النيل، رابطاً إياها بالأثر العربي والأثر الإفريقي من حيث التكوين الثقافي والاجتماعي والسياسي للسودان، ومنطلقاً من فرضيَّة مفادها "أن السُّودان لم يكن مجرد جسر، عبرت عليه الثقافة العربيَّة والإسلاميَّة إلى إفريقيا، ولا بوتقة انصهرت فيها الثقافتين، العربيَّة والإفريقيَّة، وإنما كانت للسودان شخصيته التاريخيَّة المتميزة منذ فجر التاريخ، ولعل المتابع لشخصيَّة السُّوداني يجد إنها استطاعت أن تسودن الثقافة العربيَّة والإسلاميَّة قبل أن تتقبلها، كما أبرزت كينونتها الخاصة في إطار الثقافة الإفريقيَّة التي تنتمي إليها. " وهنا يتجلى اهتمام يُوسُف بالتاريخ الإشكالي الذي يرتبط بقضيَّة الهُويَّة التي تُعرِّف اصطلاحاً بأنها وعاء الضمير الجمعي الذي يستند إلى ثلة من القيم، والعادات، والتقاليد، والمعتقدات التي تميز كلّ مجموعة بشريَّة عما سواها، وتُسهم في الوقت نفسه في تكيف وعيها الذاتي وتشكيل طبيعة وجودها المادي والمعنوي في الحيز الجغرافي الثابت الذي تشغله، والبُعد الزماني المتغير الذي تعيش فيه. ولا تعني أبحاث يُوسُف أن الهُويَّة قضيَّة ثاويَّة لا تتبدل، بل تؤكد أنها في حراك ديناميكي مع المؤثرات الخارجيَّة المحيطة بها، والمرتبطة بالجدل الفكري حول ماهيتها الوظيفيَّة، وكيفيَّة تفعيلها في إطار صراع السلطة. وتعكس أيضاً هذه الأجزاء الثلاثة منهج المؤلف في اختيار الموضوعات، بحجة أنه يركز على القضايا الاجتماعيَّة والثقافيَّة، بعيداً عن أصنام التاريخ الثلاثة: التاريخ السياسي، والتاريخ الفردي (البطولي/البيوغرافي)، والتسلسل التاريخي (الوقائعي) القائم على الأصول (الوثائق) دون اصطحاب الظروف البيئيَّة المحيطة. وهنا يبرز تأثير مدرسة الحوليات الفرنسيَّة، واهتمام المؤرخ يُوسُف بالقضايا الإشكاليَّة، كما يسميها المؤرخ الفرنسي جاك لوغوف (ت. 2014م)، وتؤكد ذلك عناوين فصول الجزء الثالث من **دراسات في تاريخ السُّودان و إفريقيا وبلاد العرب**، ونذكر منها "التمازج العرقي والثقافي ودوره في بناء الدولة السُّودانيَّة"، و"السُّودان: ملاحظات أوليَّة حول التنوع وتطور مفهوم الهُويَّة السُّودانيَّة"، و"أسماء أعلام سودان وادي النيل".

ثالثاً: أولى يُوسُف اهتماماً راشداً بتنوع المصادر التاريخيَّة، ولم يحصر نفسه في ثوابت المدرسة الوثائقيَّة، وبذلك استطاع أن يتجاوز إخفاقات تيار الوضعانيَّة الذي شجع على استقلاليَّة العلوم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة عن بعضها، مع الالتزام بالمعرفة التاريخيَّة الموغلة في التخصص، والممعنة في التدقيق، والنظر في ضبط النصوص الوثائقيَّة واستخراج الحقائق المفردة منها، دون عنايَّة بالسياق

التاريخي الذي يحمل معطيات اجتماعيَّة، واقتصاديَّة، وسياسيَّة، وديمغرافيَّة، ونفسيَّة. ولذلك يدعو يُوسُف إلى التنوع في الدراسات التاريخيَّة، لتمتد إلى الجوانب الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة، مع الاستئناس بمناهج العلوم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة؛ مثل علم الآثار الذي يساعد في دراسة النقوش، والخطوط، والنقود، وأدوات الزينة، والفنون المعماريَّة؛ وعلم الفولكلور الذي يساعد في دراسة الروايات الشفويَّة، والمأثورات الشعبيَّة بالنسبة للمجتمعات التي تغلب عليها الأميَّة؛ وينوه أيضاً إلى أهميَّة اللغات المحليَّة في دراسة تواريخ الشعوب. ويتجلى هذا التوجه في كثير من أبحاثه العلميَّة، ونذكر منها كتاب "**الشلوخ: أصلها ووظيفتها في سودان وادي النيل الأوسط**". ويقول في تصديره لهذا الكتاب: "هذه محاولة لدراسة تاريخ الشلوخ أو الفصدات التي تزين وجوه كثير من السُّودانيين حتى عهد قريب. وقد تعرضتُ في هذا البحث إلى تاريخ هذه العادة ومدلولاتها الاجتماعيَّة والجماليَّة. وقد بذلتُ جهدي في الاستعانة بالمصادر الخطيَّة، والروايات الشفويَّة، ما استطعت جمعه من مشاهداتي خلال عقد من الزمان أو يزيد."

وتثميناً لهذا العطاء التدريسي والبحثي والمجتمعي المتميز حصل يُوسُف على العديد من الجوائر التقديرية والأوسمة، ونذكر منها: الميداليَّة الذهبيَّة للعلم، جمهوريَّة السُّودان (1971م)؛ وجائزة الدولة التقديريَّة للآداب والعلوم والفنون، جمهوريَّة السُّودان (1977م)؛ ووسام النخيل للعلوم، جمهوريَّة فرنسا (1978م)؛ والدكتوراه الفخريَّة في الآداب، جامعة بيرقن-النرويج (1990م)؛ والدكتوراه الفخريَّة في الآداب، جامعة مايدوقري- نيجيريا (1992م)، وجائزة العز بن عبد السلام للدراسات العربية والإسلامية والإفريقية (2014).

أهداف الندوة

في ضوء هذه المقدمة، تهدف هذه الندوة إلى انجاز الآتي:

- ✓ أولاً: إلقاء الضوء على المسار التأهيلي الذي سلكه يُوسُف، باعتباره أنموذجاً لجيل خريجي جامعة الخرطوم الأوائل، الذين بعثتهم حكومة السُّودان لمواصلة دراساتهم العليا في عدد من الجامعات المرموقة في المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية، وبعد اكمال دراساتهم العليا عادوا إلى الجامعة الأم؛ لمواصلة عطاءهم الأكاديمي في مجال التدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع.
- ✓ ثانياً: تقديم عرض تحليلي لأدبيات يُوسُف البحثية ودورها في إثراء الدراسات السُّودانية من حيث الموضوعات التي تناولتها، والمناهج التي استخدمتها في معالجة مشكلاتها البحثية، والمدونات المصدرية التي اعتمدت عليها، والنتائج المعرفية التي توصلت إليها.
- ✓ ثالثاً: مناقشة الإضافة المنهجية التي قدمها يُوسُف في مجال الكتابة التاريخية وعلم تحقيق المخطوطات العربية.

- ✓ رابعاً: عرض الاسهامات التي قدمها يُوسُف من مجال الأداء الإداري-الأكاديمي والعمل المجتمعي، الهادفان لتطوير مؤسسات التعليم العالي، والملبيان لخدمات المجتمع واحتياجات السوق المحلي وفق الاستراتيجيات التي تبنتها المؤسسات الأكاديمية التي انتسب إليها.

كان لاستاذنا اسهامات في عدة قضايا خاصة بتاريخ السودان

- ✓ **أولاً: تحقيب تاريخ السُّودان**

نلحظ أنَّ تاريخ السُّودان قد حُقِّب إلى قديم، ووسيط، وحديث، عملاً بالتحقيب الثلاثي للتاريخ الأوروبي، الذي ارتبط في جوهرة بأحداثٍ مفصليةٍ، شكَّلت السمات العامَّة لحِقبه التاريخيَّة المتعاقبة، ومازت بينها؛ لكن فواصل الحقب التاريخيَّة في السُّودان لم تكن متطابقةً مع نظائرها الأوروبية. والدليل على ذلك، أنَّ ملامح الحِقْبَة الوسيطة تبدأ بتاريخ الفونج، والحِقْبَة الحديثة في تاريخ السُّودان تبدأ بالغزو التُرْكي-المصري عام 1820م، الذي أحدث تحولات أساسيَّة في التركيبة السياسيَّة والاقتصادية-الاجتماعيَّة لسودان ما قبل العهد التُرْكي-المصري. وبعد ذلك دخلت الحقبة الحديثة في حقب فرعيَّة مغلقة، قسمت صيرورة الحركة التاريخيَّة في السُّودان إلى فترات بأسماء بعض الحُكَّام في مصر أو السُّودان، فمثلاً في دراسة العهد التُرْكي-المصري (1820-1885م) قُسمت الحِقْبَة الزمنيَّة إلى عهد محمد علي باشا، وعباس باشا، ومحمد سعيد باشا، والخديوي إسماعيل باشا؛ وفي فترة الحكم الثنائي (1898-1956م) إلى عهد السير فرانسيس رجيلند ونجت (Francis Reginald Wingate)، والسير لي إستاك (Lee Stack)، والسير جون لودر مافي (John Loader Maffey)، والسير جورج استيورات سايمز (George Stewart Symes)، دون النظر بإمعانٍ في التطورات الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة وإسقاطاتها على المشهد السياسي المحلي، وكذلك النظر في المؤثرات الخارجيَّة التي شكلت بُعداً مهماً في واقع التاريخ السُّوداني. وتقودنا هذه النماذج إلى طرح أسئلة إشكاليَّة عن مدى تأثيرها في فهم حركة تاريخ السُّودان الحديث من منظورٍ شاملٍ، تتجه بوصلته صوب التركيبة الاقتصادية-الاجتماعيَّة، وأثرها في التحولات الفكريَّة والسياسيَّة الفوقيَّة، بعيداً عن رهانات التفسير البطولي أو المثالي للتاريخ، والتي لا تقدم تحليلاً منطقياً لدور الفرد الجمعي في إطار الواقع الاقتصادي والاجتماعي، الذي أفرز الظروف الموضوعيَّة والبيئة الحاضنة للحدث التاريخي؟ إذاً يقودنا هذا المحور إلى طرح سؤال مركب يحتاج إلى معالجة أكاديمية في إطار هذه الندوة: ما موقف الأستاذ من هذا التحقيب النمطي لتاريخ السُّودان؟ وكيف انعكس هذا الموقف في كتاباته التاريخية؟

- ✓ **ثانياً: ماذا كتب الأستاذ يُوسُف عن تاريخ السُّودان؟ وكيف كُتب؟**

يشمل هذه المحور الأدبيات التي نشرها يُوسُف في مجال الدراسات السُّودانية والإفريقية والإسلامية، وطبيعة المناهج التي تبناها في معالجة مشكلاته البحثية، والمدونات المصدرية

والشفوية التي اعتمد عليها، وبأي مدرسة تاريخية تأثرت مناهجه البحثية؟ وهل استطاع أن يطور منهجاً بحثياً، يميزه عن مناهج المؤرخين السُّودانيين الذين سبقوه أو الذين عاصروه؟

- ✓ **ثالثاً: يُوسُف والتاريخ الاجتماعي والثقافي**

يدعو هذا المحور الباحثين والأكاديميين وطلبة الدراسات العليا للنظر في إسهامات يُوسُف المتعلقة بتاريخ العرب والإسلام في السُّودان، وبالهوية السُّودانية وجدلها الفكري الذي أطلق عليه فرانسيس دينق "حرب الرؤى"، وبعلاقات السُّودان بدول الجوار الإفريقي والعربي، وكيف أثرت في بناء الشخصية السُّودانية وتركيبتها الثقافية والاجتماعية.

- ✓ **رابعاً: الأستاذ يُوسُف وعلم تحقيق المخطوطات العربية**

يهدف هذا المحور إلى دعوة الباحثين والأكاديميين إلى إعداد أوراق علمية عن أهم مصدرين في تاريخ السُّودان، حققهما يُوسُف، وهما: كتاب "**الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والشعراء في السُّودان**"، و"**تاريخ ملوك سنار والحكم التركي المصري في السُّودان**"، وطبيعة المنهج الذي استخدمه في تحقيقهما، والإضافة المنهجية التي قدمها للمتهمين بعلم تحقيق المخطوطات العربية، والمادة الأولية التي رفد بها المكتبة العربية والباحثين في مجال الدراسات السودانية.

- ✓ **خامساً: مصادر تاريخ السُّودان وأدبياته المنشورة**

تشكل المدونة المصدريَّة الركيزة الثالثة في كتابة التاريخ، ولذلك يحتاج مؤرخ تاريخ السُّودان إلى مادة مصدريَّة متنوعة، تجمع بين المصادر الأوليَّة والثانويَّة منها، لكن تنوع المدونة المصدريَّة لا يكفي وحدة لإنتاج معرفة تاريخيَّة جديدة، بل يحتاج إلى تأهيل منهجي، يمكن الباحث من مساءلة مصادره التاريخيَّة نفسها، وكيفيَّة تفكيكها، وتحليلها، وتأويلها، وربطها بمشكلة بحثه، ثم إعادة تركيبة في سرديَّة تاريخية، تحول الحدث التاريخي من حالة سكونه المادي إلى تصور ذهني حي، لا يعيد أحداث الماضي نفسها، ولكن يعطي صورة أقرب إلى الواقع. ولا شك في أنَّ هذا المحور سيجذب مجموعة من الأوراق العلميَّة التي تجيب عن الأسئلة الآتية: ما أنواع مصدر تاريخ السُّودان وأنماطها؟ وكيف يمكن تصنيفها من حيث المنشأ، والموضوع، ودرجة الصدقية؟ ما الأدوات والأسس المنهجيَّة التي يحتاجها المؤرخ والباحث للإفادة منها، وتوظيفها حسب المشكلات التي يعالجها؟ وما الموضوعات المسكوت عنها في هذه المصادر، ولماذا؟ إذاً هذا المحور يطرح سؤالاً جوهرياً مفاده كيف أجاب يُوسُف عن الأسئلة المذكورة أعلاه في أدبيات المنشورة ومحاضراته العامة؟

- ✓ **سادساً: التجربة الإدارية-الأكاديمية:**

يركز هذا المحور إلى التجربة الإدارية-الأكاديمية ليوسف، بحكم أنه قد شغل منصب مديرٍ (Vice- Chancellor) في ثلاث جامعات، وهي جامعة أم درمان الإسلامية (1984-1985)، وجامعة الخرطوم (1985-1990)، وجامعة الشارقة (1997-1998) بدولة الإمارات العربية

المتحدة، كما تولى عمادة كلية الآداب (1975-1979) بجامعة الخرطوم. فضلاً عن ذلك أسهم في تأسيس أو تطوير الوحدات الأكاديمية الآتية بجامعة الخرطوم: وحدة أبحاث السودان (1965-1972)، ومعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية (1972-1983)، وكرسي الدراسات التركية (2002)، بمعهد الدراسات الإفريقية والآسيوية.

- ✓ **سابعاً: توظيف المعرفة التاريخية في خدمة الإنسان المعاصر**

يُعد مشروع سنار عاصمة الثقافة الإسلامية من أهم المشروعات التي انجزها يوسف في مجال توظيف المعرفية التاريخية في خدمة الإنسانية المعاصر والمجتمع. وقد شكل هذه المشروع طرفاً مهماً من المشروعات التي شغلت يوسف لعقود من الزمن، ويعتبر إنجازه إضافة نوعية من الناحية الأكاديمية والخدمة المجتمعية.

- ✓ **ثامناً: تجربته في ابتدار مشروعات علمية:**

يرتبط هذا المحور بالمشروعات العلمية التي ابتكرها يوسف، وشكلت مخرجاتها جزءاً من عطائه الأكاديمي الممتدة، ونذكر منها: "مشروع طريق الحج" الذي تبلور في مؤتمر عالمي انعقد بجامعة أفريقيا العالمية، ومسلسل تلفزيوني لم ير النور بعد؛ ومشروع وثيق تاريخ مملكة الدفار الإسلامية وتراثها وآثارها، والذي عليه جامعة أفريقيا العالمية؛ مشروع تاريخ إفريقيا العام؛ ومشروع دور السودان القديم في الحضارة الإنسانية .

الحكومات الانتقالية في السودان (دراسة تحليلية ومقارنة)

أ.د. عبد العزيز محمد موسى(*)

Abstract

This paper discusses through many axes the transitional governments that Sudan witnessed in its various political stages, with a focus on the current transitional government, which was formed after the December 2019 revolution, which overthrew a totalitarian military regime that seized the reins of power for thirty years, which is the largest period of national rule that the country has passed since independence, was able to change the aspects of the Sudanese state for the worse, socially, economically, etc. Which constituted obstacles to the performance of the transitional government that was formed, in addition to the political crises within the components of the government among civilians.

المستخلص:

تناقش هذه الورقة وعبر العديد من المحاور الحكومات الانتقالية التي شهدها السودان في مراحله السياسية المختلفة، مع التركيز على الحكومة الانتقالية الحالية والتي تشكلت عقب ثورة ديسمبر 2019م والتي اطاحت بنظام عسكري شمولي قبض على مقاليد الحكم ثلاثين عاماً وهي أكبر فترة حكم وطني مرت على البلاد منذ الاستقلال استطاع تغيير مناحي الدولة السودانية إلى الأسوأ، اجتماعياً، اقتصادياً... الخ. مما شكل معوقات لأداء الحكومة الانتقالية التي تشكلت بالإضافة إلى الأزمات السياسية داخل مكونات الحكومة ما بين المدنيين والعسكر وما بين المدنيين والمدنيين الذي أصبح واضحاً للعيان وما بين العسكر والعسكر الذي ظل خفياً بسبب الطبيعة العسكرية وإن كان يظهر في فترات متباعدة من خلال أخبار عن محاولات انقلابية فاشلة، وأيضاً تعتبر الصراعات القبلية والحركات المسلحة من المعوقات لأداء الحكومة الانتقالية التي يناقشها البحث بالعرض والتحليل في إطار العديد من الاستفهامات، حول قدرة الحكومة الانتقالية على إدارة المرحلة وتسيير الحياة اليومية للمواطنين ومدى تأثير البيئة الاجتماعية على أعمال الحكومة في ظل مجتمع لا يضع أي اعتبار أو احترام للقوانيين إذ يعتمد في حل مشاكله على ما يعرف بالأجاويد أو الحكماء بمعنى آخر على الوسطاء أو كبار القوم.

المقدمة

شهد السودان خلال تاريخه السياسي الحديث والمعاصر العديد من الحكومات الانتقالية والتى كانت مهامها الاساسية الحفاظ على كيان الدولة السودانية بكل تفاصيلها، ومن ثم الانتقال إلى النظام الديمقراطي.

(*) أستاذ التاريخ الحديث - عميد المكتبات، جامعة بحري، الخرطوم

فقد كانت أول حكومة إنتقالية يشهدها السودان، تشكلت في كانون الثاني /يناير 1954م والبلاد تتجه نحو الاستقلال من الادارة البريطانية التي ظلت تحكم السودان وفقاً لاتفاقية وفاق (البريطانية المصرية) 9 كانون الثاني/يناير 1899م وبعد ثورة اكتوبر/ تشرين الاول 1964م تشكلت الحكومة الانتقالية الثانية بتاريخ 1964/10/30م وكانت ذات مهام واجل لم يتجاوز العام، وكذا الحال بالنسبة للحكومة الانتقالية الثالثة والتي تشكلت في الثاني والعشرون من نيسان/ ابريل 1985م، أما الحكومة الانتقالية الرابعة، فقد تشكلت في الخامس من ايلول/سبتمبر 2019م.

فرضيات البحث:

ان تجد الحكومة الانتقالية في السودان السند والدعم من جميع القطاعات الشعبية والسياسية وذلك لانجاز مهامها المكلفة بها بحسب الوثيقة الدستورية، من أجل الخروج من النفق المظلم الذى وضعت فيه.

أسئلة البحث:

ما مهام الحكومات الانتقالية التي قامت في السودان ؟ وما هي الأسس او المرجعية التي استندت عليها في الحكم، هل الحكومة الانتقالية الحالية تسير على نسق سابقاتها؟ وما المعوقات التي تقف في طريق انجاز مهامها، وهل لديها المقدرة علي ادارة المرحلة الانتقالية بكل تفاصيلها؟.

الحكومة الانتقالية 1964 – 1965م:

لقد كانت ثورة أكتوبر 1964م معلماً بارزاً في تاريخ السودان المعاصر، وهي ثورة مدن في الأساس قامت بها الفئات والطبقات المثقفة وفي مقدمتهم الطلاب والعمال والمثقفين ثم الأحزاب التقليدية.

لقد إنتقلت موجة المعارضة للنظام خلال تلك الثورة من المدن إلى الريف يظهر ذلك في الحياة السياسية بشكل غير مسبوق، وبدأ يسيرون المظاهرات ويعقدون المؤتمرات ويصدرون النشرات، فقد اصبح واضحاً أن الثورة هي المعلم الأول للجماهير لكي تكتشف قدراتها[1].

وفي أخر أيام الثورة التي استمرت خمسة أيام اصدر الفريق ابراهيم عبود (قائد الانقلاب العسكري الاول 1958م) قراراً بحل مجلسه العسكري وأذيع بيانه من إذاعة أم درمان، وكان ذلك بدأية النهاية العاجلة للحكم العسكري بعد الثورة، وبحل المجلس العسكري لم يبق من العسكريين في القيادة إلا ابراهيم عبود وحده،انتهت المفاوضات باسناد رئاسة الحكومة إلى شخص محايد وغير سياسي[2].

كان إقصاء المجلس الأعلى والذي تبعه اقصاء الفريق ابراهيم عبود في 15 نوفمبر 1964م من فعل مجموعات لم تكن تعتمد على التأييد الذي تلقاه المؤسسة التقليدية، فبالرغم من أن أساتذة

---

(1) زكي البحيري، الحركة الديمقراطية في السودان، 1943–1985م (دار نهضة الشرق، جامعة القاهرة، دت) ص 250.

(2) شوقي محمد بشير اسماعيل، الحكومات الوطنية والديمقراطية والعسكرية في السودان 1956م – 2005م تحليل وتوثيق، دار عزة للطباعة والنشر، 2015م، ص 63.

الجامعات والأطباء والمحامين والمهنين عموماً الذين قادوا الحركة كانوا يتمتعون بوضع رفيع في المجتمع السوداني، إلا أنهم لم يعتمدوا على الزعماء الدينين أو القبليين أو كبار التجار، وإنما اتجهوا لتعبئة العمال والطبقات الوسطى، وكان عدد من الناشطين في المجموعات المهنية من أنصار الحزب الشيوعي السوداني. وتضمنت البرامج الاقتصادية والاجتماعية التي صاغتها جبهة الهيئات مطالب راديكالية [1].

في السابع والعشرون من تشرين الاول من/اكتوبر عام 1964م أصدرت الجبهة القومية الموحدة، جملة أهداف بمثابة الميثاق الوطني:

1. إدارة البلاد وإعدادها لوضع ديمقراطي في فترة لا تتجاوز آخر من فبراير 1965م.
2. إطلاق الحريات العامة كحرية الصحافة والتعبير والتجمع.
3. إلغاء جميع القوانين المقيدة للحريات وتأمين استقلال القضاء والجامعة.
4. إطلاق المسجونين مدنيين وعسكريين.
5. إتخاز سياسة خارجية ضد الاستعمار والأحلاف.
6. تحكم البلاد خلال فترة الانتقال وفقاً للدستور الموقت السابق مع إبعاد الفصلين الخاصين بلجنة السيادة والهيئة التشريعية.
7. تنتهي الفترة الانتقالية بانتخابات حرة تشرف عليها لجنة مستقلة تعينها الحكومة الانتقالية لإنتخاب جمعية تأسيسية[2].

انعكس الدور القيادي الذي لعبته جبهة الهيئات وجبهة الأحزاب في إسقاط الحكم العسكري لتحديد شكل الحكومة الانتقالية، التي أعلنت في 31 أكتوبر وضمت سبعة وزراء من جبهة الهيئات، من بينهم السكرتير العام لإتحاد نقابات عمال السودان وسكرتير اتحاد المزارعين، كما ضمت اثنين من الجنوبين، ووزير واحد من كل احزاب الأمة والوطني الاتحادي والشعب الديمقراطي وجبهة الميثاق الإسلامي والحزب الشيوعي السوداني[3]، وبما أن وزراء جبهة الهيئات كانوا يميلون للتحالف مع الوزير الشيوعي، فقد كانت إتجاهات مجلس الوزراء في عمومها راديكالية وفي الأشهر التي اعقبت تكوينها اتجهت الوزارة نحو التغيير الراديكالي فيما يتعلق بالسياسة الداخلية والخارجية، وشكلت محكمة للنظر في قضايا الثراء الحرام، والفساد وتخريب الاقتصاد وإتخذ قرار يمنح المرأة حق التصويت في

---

(1) تيم نبلوك، ترجمة الفاتح التجاني ومحمد علي جادين، صراع السلطة والثروة في السودان، (دار الخرطوم للطباعة والنشر،دت)، ص 204.

(2) دار الوثائق القومية السودانية ،متنوعات 20175/150/1 ، ميثاق السودان الانتقالي.

(3) سر الختم الخليفة رئيس الوزراء ووزيراً للدفاع، محمد أحمد محجوب الخارجية، مبارك زروق المالية والاقتصاد، أحمد سليمان الزراعة والغابات، كلمنت امبور والداخلية، رحمة عبدالله التربية والتعليم، ازبوني منديري المواصلات، عبدالرحمن العاقب الاشغال، الشفيع احمد الشيخ سنون الرئاسة، عابدين اسماعيل الحكومات محلية، أحمد السيد حسن، عبدالرحمن العاقب الاشغال، الأمين محمد الأمين، الصحة عبدالكريم صدقي.

الانتخابات القادمة، كما شكلت لجنة لتقديم مقترحات حول الاصلاح الزراعي ووضعت استراتيجية اقتصادية لمساعدة الشركات السودانية على استلام تجارة الصادر والوارد من الشركات الأجنبية، كما الغيت القوانين المقيدة للحريات لا سيما المتعلقة بالنقابات، ووضعت الترتيبات لتنشيط التجارة مع أوربا الشرقية واتبعت سياسة نشطة في دعم حركات التحرير في افريقيا والشرق الأوسط، اثارت كثيراً من هذه القرارات قلق المؤسسة التقليدية، فقد كان هناك شك قوي في أن القصد من محكمة الثراء الحرام هو تطهير الخدمة المدنية من العناصر اليمينية وليس فقط العناصر الفاسدة، غير أن ما أثار القلق أكثر اقتراح جبهةالهيئات بتخصيص 50% من مقاعد الجمعية التأسيسية المقبلة للعمال والمزارعين، وقد أصبح جلياً أن جبهة الهيئات تبحث عن دور سياسي بعيد المدى، حين شرعت في تكوين فروع في مختلف انحاء البلاد وبات من المحتمل أن تخوض الجبهة الانتخابات القادمة، ركزت جبهة الاحزاب حملتها على الدعوى لإنتخابات مبكرة وشرعت في تعبئة جماهيرها لسحب البساط من تحت اقدام جبهة الهيئات[1].

خلال فترة حكومة اكتوبر1964م تشكلت ثلاثة حكومات الأولى من نوفمبر 1964م وحتى 18 فبراير 1965م والثانية من 23 فبراير1965م حتى 31 مارس1965م والثالثة[2] هي امتداد للثانية لكنها صنفت بوصفها ثالثة بعد قبول حزب الشعب الديمقراطي والحزب الشيوعي ملء المقاعد الشاغرة التي تركت لهم عند تشكيل الحكومات وامتدت من 31 مارس1965م وحتى 6 مايو1965م وقد اشارت د. فدوى عبدالرحمن علي طه[3]، بتواصل الخلاف حول الحكومة الانتقالية الأولى وتزايدت الشكوك حول جبهة الهيئات وإتهام الاحزاب التقليدية بسيطرة الحزب الشيوعي عليها، رغم تصريح رئيس جبهة الهيئات.أن الجبهة حسب دستورها جهاز مستقل غير تابع لحزب، ولا يوجد ما يخول لها خوض الانتخابات، كما انها لم تتحول لحزب سياسي، وصرح الصادق المهدي رئيس حزب الأمة، أن التعديل الوزاري ضرورة لا بد منها لأن جبهة الهيئات قد حادت عن طريقها رغم قيامها بدور فعال في

---

(1) شكلت حكومة اكتوبر الثانية برئاسة سر الختم الخليفة رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع، مبارك زروق المالية والاقتصاد، محمد أحمد محجوب الخارجية، محمد ابراهيم خليل الحكومة المحلية، محمد جبارة العوض وزير دولة لشئون الرئاسة، صالح محمود اسماعيل الاستعلامات والعمل، أحمد المهدي الري والقوة الكهربائية كلمنت امبورو الداخلية، ازيوني مندييري المواصلات، هيلري لوقالي الانتقال والثروة المعدنية، الرشيد الطاهر بكر الثروة الحيوانية. نبلوك، ص 205.

(2) سر الختم الخليفة رئيس الوزراء ووزيراً للدفاع، محمد أحمد محجوب الخارجية، مبارك زروق المالية، أحمد السيد حمد التجارة والصناعة والتموين، كلمنت امبورو الداخلية، احمد المهدي الري والقوة الكهربائية، الرشيد الطاهر بكر الثروة الحيوانية والعدل، بدوي مصطفى التربية والتعليم، محمد جباره عوض، شئون الرئاسة، محمد ابراهيم خليل الحكومة المحلية، مبكري لوقال الاشغال والثروة الحيوانية، صالح محمود اسماعيل الاعلام والعمل، الهادي عابدون الصحة، أحمد سليمان الزراعة والغابات.

(3) مديرة جامعة الخرطوم عقب ثروة ديسمبر 2019م.

ثورة اكتوبر، وسمحت لعناصر سياسية معينة بالتسلل لقيادتها، وشاركه الرأي كل من محمد صالح عمر عن جبهة الميثاق الإسلامي ومبارك زروق عن الحزب الوطني الاتحادي. (1)

وزاد الخلاف والتوتر بين الحكومة وداخل الاحزاب، ورأت قيادات حزب الأمة وجبهة الميثاق الإسلامي والحزب الوطني الاتحادي، بأن الوزارة الحالية تعرقل قيام الانتخابات لسيطرة مجموعة محددة عليها، وأن الجبهة القومية الموحدة (حزب الأمة، الوطن الاتحادي، جبهة الميثاق الإسلامي) تطالب باقالة، الوزارة الحالية، وكان هدف الجبهة القومية منذ عهد الحكومة الأولي وحتى الثالثة إجراء الانتخابات، فقد قام رؤساء الاحزاب الممثلة للجبهة القومية، بارسال خطابات تطالب الحكومة ورئيس الوزراء سر الختم الخليفة، بإجراء الانتخابات في آخر مارس 1965م لحد أقصى حتى بدون مشاركة، الجنوب فيها، واعتمدت الاحزاب التقليدية على الأغلبية الميكانيكية التي تمكنها من السيطرة على جماهير واسعة، تقوم عليها طوائفها الدينية تحالفاتها القبلية والعشائر فقد تمكنت الاحزاب الكبيرة بالديمقراطية الشكلانية التي اقتصرت على الجانب السياسي واستبعدت الديمقراطية ذات المضمون الاجتماعي الاقتصادي أو حتى الثقافي، أي الذي يحقق الوحدة الوطنية بإنصاف المجموعات الثقافية (الاثنية) غير العربية، إسلامية، اجتمع رئيس الوزراء بمندوبي الأحزاب والهيئات السياسية واستمع إلى وجهات نظر رؤساء الأحزاب ومندوبيهم في الموقف السياسي، والخلاف الذي ظهر في الاجتماع هو أن الجانب الذي يضم حزب الأمة والوطني الاتحادي والاخوان المسلمون، يرى أن الحكومة الحاضرة خرقت ميثاق اكتوبر ويجب أن تعدل، أما حزب الشعب الديمقراطي والحزب الشيوعي وجبهة الهيئات فيرون أن الحكومة دستورية حتى 31 مارس1956م بمقتضى ميثاق أكتوبر.

كان من ضمن مهام الحكومة الانتقالية، الأشراف على الانتخابات العامة تمهيداً لعودة البلاد إلى النظام الديمقراطي، فاصدرت قانون الانتخابات وكان أبرز سماته:

1. أعطى المرأة حق التصويت لأول مرة في تاريخ الانتخابات السودانية.
2. خفض سنة الناخب إلى ثماني عشر سنة بدلاً من واحد وعشرين.
3. خصص خمس عشر دائرة للخريجين بدلاً عن خمسة.
4. حدد كثافة سكان الدائرة بما يتراوح ما بين الخمسين والسبعين الف نسمة(2).

تم نشر قوائم الناخبين في يوم 17 مارس1965م بعد أربعة أيام من نهاية التسجيل، وبدأت فترة الترشيح عقب التسجيل في 15 مارس1965م، عارض حزب الشعب الديمقراطي والحزب الشيوعي

---

(1) فدوى عبدالرحمن علي طه، في ذكرى 21 اكتوبر 1964م، حكومة 21 اكتوبر 1964م، الانتقالية وسائلها من تطورات، سودانايل، 23 اكتوبر 2017م.

(2) محمدمحمد احمد كرار، انتخابات وبرلمانات السودان، تحليل وتوثيق، (دار البلد للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، الخرطوم1998م)، ص 76.

السوداني، قيام الانتخابات وطالبوا بمد الفترة الانتقالية لثلاث سنوات، كانت حجتهم في ذلك أن الانتخابات ستكون جزئية في الشمال فقط بسبب مشكلة الجنوب والحرب الدائرة هناك ووصل الأمر بالحزب الشيوعي السوداني في معارضه اجراء الانتخابات أن رفع قضية دستورية ضد قيام الانتخابات، لكنه خسر القضية، بعدها شارك الحزب الشيوعي في الانتخابات بينما استمر حزب الختمية، حزب الشعب الديمقراطي في المقاطعة، استمرت الانتخابات بعد هذه الاحداث في هدوء لتنتهي بشكل عام في بداية مايو 1965م، وأعلنت جميع النتائج حيث حصل حزب الأمة على اثنين وتسعون مقعداً والوطني الاتحادي ثلاث وسبعون مقعداً وحزب سانوعشرة مقاعد[1] والمستقليين علي ثمانية عشر مقعداً واتحاد جبال النوبه اثنتا عشر مقعداً وخمسة لجبهة الميثاق الإسلامي، ومقعدين لحزب الاحرار الجنوبي وحزب السلام والوحدة مقعدين، ولم يفز الحزب الشيوعي في أي دائرة جغرافية، لكنه اكتسح انتخابات دوائر الخريجين حيث حصل وحده على إحدي عشر دائرة من خمسة عشر دائرة[2].

وبالنسبة لسياسة الحكومة الانتقالية تجاه جنوب السودان، فقد اذاع رئيس الوزراء الانتقالي بياناً حول سياسة حكومته، أشار بأن مسألة الجنوب من أهم المسائل الوطنية، وأنها ستحظى بالاهتمام العاجل وأن الحكومة ترى أن القوة لن تحل هذه المشكلة الانسانية، وأن استخدام القوة قد زاد من تعقيدها، فنتج عن ذلك صرف أموال على الأمن كما كان يمكن صرفها على الخدمات الضرورية الأخرى، والحكومة تعترف بكل شجاعة بفشل الحلول السابقة، وتعترف بالفوارق الثقافية بين الشمال والجنوب التي تسببت فيها العوامل الجغرافية والتاريخية، على أساس هذا الاعتراف ستقوم الحكومة باتخاذ سياسة تهدف إلى اعادة الثقة بينن الشمال والجنوب وستأخذ آراء المثقفين من أبناء الجنوب حول الطريق الذي يؤدي إلى حل هذه المشكلة[3].

وخلال الفترة من 16 مارس – 19 مارس 1965م عقدت الحكومة الانتقالية مؤتمر المائدة المستدير بالخرطوم، شاركت فيه المعارضة الجنوبية وجميع الاحزاب السودانية، خرجت ببعض التوصيات بحيث أشار المؤتمرين، ضرورة تحقيق الوئام الوطني وأن الطرق السلمية هي السبيل الوحيد لحسم الخلافات واتفقت الاحزاب المشاركة في المؤتمر، باتخاذ خطوات بواسطة الحكومة الانتقالية لإعادة الحالة الأمنية (4) في الجنوب إلى طبيعتها، أشار المؤتمر في توصياته على حرية العقيدة وحرية التبشير

---

(1) نسبة للظروف الأمنية في ذلك الوقت، اجريت الانتخابات التكميلية في الجنوب لاحقاً، في ابريل/ 1965م، وفي عام 1967م.

(2)كرار ، ص 77 ، 78.

(3) مدثر عبدالرحيم، مشكلة جنوب السودان، طبيعتها وتطورها وأثر السياسة البريطانية في تكوينها، (الدار السودانية للكتب 1970م)، ص 118.

(4) من الحوادث العنيفة التي شهدتها الخرطوم في 6 ديسمبر 1964م تجمهر أبناء الجنوب في مطار الخرطوم في انتظار هبوط طائرة وزير الداخلية كلمنت امبورو قادماً من زيارة رسمية من الجنوب، انتشرت اشاعة بأنه قتل، =

وفقاً للقانون كما أصدر المؤتمروت قراراً بتكوين لجنة الاثنى عشر، لتتولى بحث الوضع الدستوري والإداري للجنوب بصفة خاصة وللبلاد بصفة عامة (1) من خلال هذا العرض المقتضب عن فترة الحكومة الانتقالية التي تشكلت في نوفمبر 1964م وانتهت مهامها في مايو 1965م، بظهور نتيجة الانتخابات العامة، وبالرغم من قصر الفترات التي أشرفت عليها إلا أنها استطاعت أن تعبر بالبلاد إلى التجربة الديمقراطية، واجهة فيها كثيراً من المصاعب، بسبب الصراع الذي كان دائر بين القوة اليسارية التي كان لها دور رئيسي في نجاح الثورة، وبين القوة التقليدية والاحزاب الاسلامية التي كان لها دور ثانوي في اقتلاع النظام العسكري، انتهى هذا الصراع لصالح القوة التقليدية والاسلامية، ثم بدأ الصراع داخل الاحزاب التقليدية، نموذج لذلك الانشقاق داخل حزب الأمة، كما كان طرد نواب الحزب الشيوعي السوداني من البرلمان عام 1966م، امتداد للصراع الذي بدأ في فترة الحكومة الانتقالية وضربه الدستور المؤقت لعام 1964م والذي ينص في المادة (اوج) يتمتع جميع الأشخاص بحرية الاعتقاد وبالحق في أداء شعائرهم الدينية بحرية بشرط الا يتنافي ذلك مع الآداب العامة أو الصحة كما يقتضيها القانون، لجميع الأشخاص الحق في حرية التفسير عن أرائهم والحق في تأليف الجمعيات والاتحادات في حدود القانون (2).

ومن ايجابيات الفترة الانتقالية، منح المرأة حقوقها السياسية واصدار مجلس الوزراء بعض القرارات، تمثلت في الغاء قانون الهيئة القضائية لسنة 1959م والعودة بالعمل بنصوص دستور سنة 1956م الخاصة بالهيئة القضائية.

وقد اعتمد دستور 1956م معدلاً لعام 1964م، الغاء قانون جامعة الخرطوم تعديل 1960م والعودة إلى قانون الجامعة الصادر عام 1956م واطلاق سراح جميع المعتقلين والمسجونين السياسين واعادة الضباط المفصولين من القوات المسلحة، الغاء المواد المقيدة للحريات من قانون العقوبات، اصدار الحكومة بعض القرارات لتدعيم الثورة، مثل قانون الثراء الحرام لسنة 1964م، وقانون العزل السياسي لسنة 1965م وتكوين لجنة الاصلاح الزراعي وقرار بفصل القضاء عن الإدارة الأهلية، وتكوين لجنة للتحقيق عن الأسباب التي أدت إلى قيام انقلاب 17تشرين الثاني/ نوفمبر1958م، أيضاً من أهم إنجازات هذه الفترة المحاولات الجادة، لحل مشكلة الجنوب حيث اصدر رئيس الوزراء في 19 تشرين الثاني /نوفمبر 1964م بياناً عن الجنوب، ناشد فيه المواطنيين العمل على اقرار السلام والتفاوض ورفض العنف كوسيلة لحل المشكلة (3).

=فخرجوا في مظاهرات في شوارع الخرطوم، اثاروا الفزع والهلع وجرح العشرات من الابرياء، وحطمت المئات من السيارات والبصات، وتعرضت بعض المتاجر والمنازل للتخريب.

(1)دار الوثائق السودانية،قرارات مؤتمر المائدة المستديرة للجنوب المنعقد بدار البرلمان بالخرطوم من 16- 29 مارس/اذار 1965م،

(2)دار الوثائق السودانية، دستور السودان المؤقت المعدل منه 1964م (تعديل) رقم 2 لسنة 1965م.

(3)طه، 23 اكتوبر 2017م.

الحكومة الانتقالية الثالثة1985م – 1986م

في 25 مايو 1969م ظهر العقيد جعفر محمد نميري في المسرح السياسي السوداني، عبر انقلاب عسكري على التجربة الديمقراطية الثانية (1965- 1969م) وظهر على الواجهة السياسي أعضاء الحزب الشيوعي السوداني، مؤيدين لهذا الانقلاب، لكن شهر العسل السياسي بين قائد الانقلاب والحزب الشيوعي لم يستمر طويلاً، أثر محاولة انقلابية في 19 يوليو 1971م قام بها أعضاء من مجلس انقلاب 25 ايار/مايو من العسكرين المنتمين للحزب الشيوعي وبدعم من المدنيين قادة الحزب الشيوعي السوداني، ولم يستمر هذا الانقلاب سوي ثلاثة أيام فقط، حيث فشل واستولي جعفر نميري علي السلطة واستمر حكمه للسودان، حوالي ستة عشر عاماً وفي سنوات حكمه الأخيرة دخل في تحالف مع الاخوان المسلمين، وفي العام 1983م اعلن جعفر نميري تطبيق القوانين الإسلامية في السودان، وهي ما عرفت بقوانين ايلول /سبتمبر، وقد وجدت هذه القوانين انتقاداً وهجوماً شديداً في الأوساط العالمية والداخلية، التي تنكر لها جعفر النميري في مارس 1985م عندما اختلف مع آخر حلفائه السياسيين الاخوان المسلمين وطالب بمراجعة الأحكام التي صدرت تحت مظلتها[1].

وشهدت الخرطوم عدداً من المظاهرات إحتجاجاً على الأوضاع المتردية في شتى مناحي الحياة المختلفة، وفي صباح يوم السابع والعشرين من 1985م غادر الرئيس جعفر نميري السودان، متوجهاً إلى الولايات المتحدة الأمريكية بغرض اجراء فحوصات طبية، تاركاً وراءه الخرطوم في حالة بركان من المظاهرات المعادية لحكمه، وعمت الاضرابات جميع مرافق الدولة وشلت الحياة تماماً، رغم محاولات التجميل التي حاول أن يجريها انصار حكومة مايو وبدأ الستار يسدل على المسرح السياسي لحكومة 25 مايو مع بزوغ فجر السادس من 1985م، أعلن الفريق عبدالرحمن محمد سوار الدهب[2] القائد العام للجيش السوداني انحيازه للشعب، والاستيلاء على السلطة وانهاء حكم مايو ونقلها للشعب عبر فترة إنتقالية محدده (3) واصدر الجيش عدداً من القرارات توضح ملامح سياسته ونهجه.

وأشارت أهداف المرحلة الانتقالية بأنها لا تهدف استبدال نظام عسكري بآخر، وأنها تعمل من أجل إحتواء كل الآثار المترتبة في فترة الحكم الماضي في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، بالإضافة إلى اعداد ميثاق عمل سياسي وطني يقوم على مرتكزات أساسها الاستقلال التام، الحفاظ على الوحدة الوطنية، استقلال القضاء، حرية النشر والتعبير، ضمان الحريات الأساسية للفرد وحرية المعتقدات الدينية، ديمقراطية التنظيمات السياسية والتمثيل الحزبي وتكريس الوحدة الوطنية، ووقف نزيف الدم الناتج عن الاقتتال في الجنوب عن طريق الحوار المباشر، واعادة الحياة إلى جنوب الوطن بفتح طرق المواصلات وتنمية الاقاليم الجنوبية، الاشراف على مرحلة التحول

---

(1) موسى ، ص 228.

(2,) تخرج في الكلية الحربية السودانية 1952، عرف عنه الاستقامة والصدق.

(3) موسى، ص 320.

الديمقراطي، بالعمل على قيام التنظيمات السياسية والتعاونية، مع خلق المناخ الديمقراطي المحايد لضمان إجراء انتخابات حرة محايدة وتسليم السلطة للشعب في إطار النظام الذي يعكس اصلاح هذا الشعب وأهليته للحكم الديمقراطي(1).

وبعد استلام السلطة وتكوين مجلس عسكري(2) إنتقالي عال، ومن ثم تم الاتصال بقيادة التجمع الوطني التي كانت في تلك اللحظة، غير متفقة على أي خطط واضحة ومحددة، ويبدو أن جاهزية الضباط لتقديم بديلهم الخاص والمحدد، جعلت البعض يشك في وجود قوى خارجية تعمل على دفع القوات المسلحة للسير في هذا الاتجاه، وبدأت أصابع الاتهام تشير إلى الولايات المتحدة ومصر بشكل خاص، والمهم أن قبول التجمع الوطني بالمجلس العسكري الانتقالي، كخطوة في طريق نقل السلطة للحكم المدني أدى إلى صعود هذا المجلس إلى قمة السلطة، بقيادة القائد العام للجيش (3) والتجمع الوطني لأنقاذ البلاد. الذي تحمل مسؤولية التفاوض مع المجلس العسكري حول تطورات الاحداث، كان هو الآخر مختلفاً في نهجه وتوجهه عن التنظيمالمماثل له في ثورة اكتوبر، فهذا التجمع، بطبيعة القوى المتحالفة في داخله كان يمثل جوهرياً، نفس التوجه والروح الأساسية، التي ظلت تميز الحركة الوطنية العلمانية وسط طبقة المتعلمين، المعروفة بتاريخها الطويل ودورها القيادي البارز في السياسة السودانية. وذلك رغم تعرضهم بشكل متواصل ، لعمليات ابعاد وتهميش من الأحزاب والقوات المسلحة من قبل الفئات العليا المسيطرة (4). في الثاني والعشرين من شهرنيسان/ أبريل عام 1985م أعلن الفريق أول عبدالرحمن محمد حسن سوار الدهب رئيس المجلس العسكري التشكيل النهائي لمجلس الوزراء (5) برئاسة الدكتور الجزولي دفع الله (6) واشار رئيس المجلس العسكري الانتقالي، بأن المعايير التي تم بموجبها اختيار الوزراء الجدد، التمتع بالحس الوطني والصدق والأمانة،

---

(1) صحيفة الصحافة، العدد 8026 بتاريخ 7 ابريل/1985م.

(2) تكون المجلس العسكري الانتقالي برئاسة الفريق أول عبدالرحمن محمد حسن سوار الدهب، والفريق أول تاج الدين عبدالله فضل نائباً له، وعضوية كل من الفريق محمد ميرغني، الفريق بحري يوسف حسين، الفريق محمد توفيق خليل، اللواء فابيان اقام لونق، اللواء جيمس لورو، اللواء عثمان الأمين السيد، اللواء يوسف العوض الجعلي، اللواء عبدالعظيم حماده، العميد عثمان عبدالله، العميد فضل برمة ناصر ، العميد عبدالعزيز محمد الأمين، العميد فارس عبدالله حسن.

(3) ودوارد، ص 34.

(4) المرجع نفسه، ص 235.

(5) الجزولي دفع الله رئيساً للوزراء، صمويل ارو نائباً له، العميد عثمان عبدالله وزيراً للدفاع، عوض عبدالمجيد وزيراً للمالية، ابراهيم طه ايوب وزيراً للخارجية، سيد أحمد السيد وزيراً للتجارة والتعاون، عبدالعزيز عثمان موسى وزيراً للطاقة والصناعة والتعدين، بيتر فان كوش عثمان موسى وزير للنقل والمواصلات، صديق عابدين للزراعة، الموارد الطبيعية، الدكتور حسين ابو صالح للقمة، اوليفر البنو للخدمة العامة، الفريق عباس مدني الداخلية، امين مكي لنشيد الاستقلال، محمد بشير حامد للثقافة والاعلام، بشر حاج التوم التربية والتعليم.

(6) ولد عام 1935م،تخرج في كاية الطب جامعة الحرطوم عام 1959م ..

وقوة الشخصية والكفاءة والمقدرة على القيادة، والمبادرة وعدم الانتماء الحزبي وعدم شغل منصب سياسي أو وزاري خلال فترة الحكم المباد (1).

وخلال الفترة الانتقالية وما بعدها تقدمت العديد من الأحزاب بمقترحات، لميثاق السودان الانتقالي ليكون بمثابه خطوة للأنتقال الديمقراطي وكان أهم ما جاء فيه أن السودان دوله ديمقراطية متعددة الاحزاب، اللغة العربية هي لغة الدولة الرسمية وتعتبر اللغة الانجليزية هي لغة رئيسية في جنوب السودان، وفقاً لقانون الحكم الذاتي الاقليمي للمديريات الجنوبية لسنة 1972م، اللغات المحلية التي تتحدثها بعض المجموعات العرقية في مناطق واقاليم السودان المختلفة تعتبر جزءاً من التراث الوطني وعلى الدولة رعايتها وتطويرها، يحق لكل سوداني العمل وتولي المناصب العامة السياسية والإدارية، تكون إدارة الجنوبي وفقاً لقانون الحكم الذاتي الاقليمي للمديريات الجنوبية لسنة 1972م في وضعه المطبق لا مركزياً الآن، يجب أن يكون هناك توزيع عادل للموارد القومية بين مناطق واقاليم السودان المختلفة، بذل الجهود لإزالة اثار الحرب عند تحقيق السلام، الإسلام والمسيحية، هما الديانتان الرئيسيتان في السودان، فالإسلام دين الأغلبية بينما المسيحية هي ديانة لعدد كبير من السودان، على أن تنال مسألة الدين في السياسة القدر الكافي من النقاش في المؤتمر القومي الدستوري، الاحكام والقوانين التي تطبق على كل المواطنين في كل أقاليم البلاد هي القوانين التي تصدرها الجهات المختصة، علي الحكومة أن تسرع باصدار القوانين البديلة لقوانين ايلول /سبتمبر 1983م والتي هي تحت الاعداد لتطبق في الفترة الانتقالية التي سبق انعقاد المؤتمر القومي الدستوري (2).

وخلال الفترة الانتقالية عقد مؤتمر الحكم اللامركزي في ظل الديمقراطية وذلك خلال شهركانون الثاني/ يناير 1986م، جاءت توصياته الختامية نوجزها في النقاط الآتية:

التأكيد على مبدأ الوحدة الوطنية التي لا يمكن أن تتأتى إلا عن طريق تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية العادلة والمتوازن ، والإدارة الشفافة لتحقيق المشاركة الديمقراطية وبحسبانه مطلباً شعبياً، يؤمن المؤتمر على انتهاج اللامركزية كاسلوب للحكم، في مجال الهياكل التنظيمية للحكم اللامركزي الأبقاء على مستويات الحكم (المستوى المركزي، المستوى الاقليمي، المستوى المحلي)(3).

في مطلع العام 1986م شهدت الخدمة المدنية العديد من الأضرابات عن العمل، مما أدى أن يصدر مجلس الوزراء بياناً إلى الشعب السوداني، يوضح فيه حقيقه الوضع الاقتصادي والسياسي للبلاد في ظل الأضرابات التي اثقلت كاهل المواطنين وقطعت عنهم العديد من الخدمات، وأن استمرارظاهرة الأضرابات رغم الموقف المالي الذي لا يتيح للحكومة تلبية الطلبات يعرض إقتصاد البلاد للخطر ويزيد

---

(1) صحيفة الصحافة العدد 8042 بتاريخ 23 نيسان /أبريل 1985م.

(2) دار الوثائق السودانية، متنوعات 2175/150/1 ، ميثاق السودان الانتقالي.

(3) صحيفة الصحافة، العدد 8267 بتاريخ 22 /يناير 1986م.

معاناة المواطنين، وإن الحكومة تعترف بعدالة المطالب النقابية مبيناً أن الوقت والإمكانيات لا يسمح بالإستجابة الفورية لها (1).

بالنسبة للإنتخابات فقد نص ميثاق ثورة 6 /أبريل 1985م على قيام الانتخابات العامة لإنتخاب جمعية تأسيسية بعد عام والتزم المجلس العسكري الانتقالي بذلك، طلب المجلس العسكري الانتقالي من الأحزاب السياسية بناء أجهزتها والاستعداد للأنتخابات، ثم طلبت لجنة الانتخابات من الأحزاب مقترحاتها مكتوبة حول شكل الإنتخابات، اتفقت الأحزاب جميعاً على الدوائر الجغرافية لكنها تباينت اراؤها في كيفية تمثيل الخريجين، الحزب الاتحادي الديمقراطي والجبهة الإسلامية أنه لا مناص من ذلك إلا بتعديل عدد دوائر الخريجين 10% من المقاعد الكلية للجمعية التأسيسية على أن يتم تخصيص مقاعد للعمال والمغتربين، حزب الأمة واليسار عموماً بما فيهم الحزب الشيوعي السوداني، تطرق كثيراً لتمثيل القوى الحديثة وظلت الاحزاب اليسارية تقدم اقتراحات متباينة حول القوى الحديثة وكيفية تمثيلها، قام المجلس العسكري الانتقالي بدراسة مقترحات الاحزاب، ووجد صعوبة في تحديد القوى الحديثة وكيف يمكن تمثيلها، حدد قانون الانتخابات تخصيص 28 دائرة للخريجين على مستوى القطر توزع علي الأقاليم ويتم التسجيل والترشيح والتصويت فيها على أساس اقليمي، وثم تخصيص 274 دائرة جغرافية ليصبح حجم الجمعية التأسيسية لعام 1986م (301) عضواً(2).

لم يشهد السودان في تاريخه البعيد أو القريب معركة ديمقراطية مثلما شهدت الفترة من ابريل 1985- 1986م، لقد كان الصراع حاداً استخدمت فيه كل الأسلحة الإعلامية وأساليب الاتصال العام وقد كان المجلس العسكري الانتقالي بلا منازع هو نجم تلك السنة الكاملة، بسط جناحي الزل والرحمة على كافة القوى السياسية في حنكة وصبر واناء وسعة افق وفهم عميق بالنفس السودانية وطبعها وانطباعها السياسي، استقبل المشير عبدالرحمن سوار الذهب كل زعماء الاحزاب السياسية السابقة واللاحقة وكل من سولت له نفسه تأسيس حزب، أسسه وعقد مؤتمر صحفياً بالفندق الكبير، أعلن فيه مبادىء حزبه، الكتل التي انشقت من أحزابها، أعلنت نفسها احزاباً جديدة، ظهر في إطارهم الحزب الاتحادي الديمقراطي، الحزب الوطني الاتحادي بجناحين يقود الأول على محمود حسين ويقود الثاني أحمد زين العابدين، حزب الشعب الديمقراطي يقوده مامون علي عبدالرحمن، تجمع الاتحاديين بدار المهندسين، الخ...، حزب الأمة تفرع إلى حزب الأمة القومي الجديد بزعامة الصادق المهدي، حزب الأمة وكيان الانصار بزعامة أحمد المهدي، حزب الأمة أنصار الإمام الهادي المهدي، بقيادة ولي الدين الهادي المهدي، الحركة الإسلامية ظهرت فيها الجبهة الإسلامية القومية بزعامة دكتور حسن عبدالله الترابي والاخوان المسلمين بزعامة صادق عبدالله عبدالماجد، حزب

---

(1)صحيفة الصحافة، العدد 8289 بتاريخ 17فبراير 1986م.

(2)كرار ، ص 138.

المؤتمر الإسلامي بزعامة علي حمدون، أنصار السنة بزعامة الشيخ محمد هاشم الهدية، الحزب الاشتراكي الإسلامي بزعامة ميرغني النصري ونصر الدين السيد وصلاح المصباح، اليسار السوداني، وظهر فيه الحزب الشيوعي السوداني، منظمة العمل الاشتراكي حزب العمال والمزارعين، إتحاد القوى الوطنية الديمقراطية، الحزب الشيوعي السوداني القيادة الثورية، الحزب الاشتراكي الناصري التنظيم الناصري اللجان الثورية بثلاثة قيادات، حزب البعث العربي الاشتراكي منظمة السودان، وعلى صعيد الاحزاب القبلية والاقليمية ظهر إتحاد جبال النوبه، الحزب القومي السوداني، جبهة نهضة دارفور، جبهة نهضة كردفان، مؤتمر البجة، الجبهة القومية السودانية، تضامن قوى الريف، إتحاد عام الفونج، أما الأحزاب الجنوبية فقد بلغ عددها أكثر من خمسة عشر حزباً(1).

وفي الخامس من مايو 1986م عقدت الجلسة الافتتاحية للبرلمان السوداني المنتخب (الجمعية التأسيسية) التي خاطبها المشير عبدالرحمن سوار الدهب الذي قاد المرحلة الانتقالية بكل شفافية، مشيراً بأن السودان يواجه مشاكل وتحديات عظيمة تقعد به وتثقل عن كاهله ولا سبيل لمنازلة هذه التحديات إلا بوحدة الصف والهدف والصدق والتجرد والارتفاع إلى مستوى المسئولية العامة(2).

وبعد أن اكتملت عملية التسليم والتسلم بين الحكومة الانتقالية والحكومة الديمقراطية المنتخبة أوضح الصادق المهدي رئيس الوزراء ، بأن الحكم سيكون قومياً مهما قصر الشكل عن الالتزام، وقال هناك عقبات صاحبت الموقف الذي وصلنا إليه، وإنه يمكننا أن نحل الخلاف وصولاً لأداء أفضل وقال إن التشاور سيتم بين الحكومة والمعارضه لتنظيم المسيرة، وأن الالتزام باخلاقيات الشورى وموضوعية المنهج العلمي هي الأساس وأشار بأنه سيستجيب لرغبة الشعب في إطار حركة إسلامية صحيحة، كما ستسعى حكومته لمحاربة الفسادة (3).

الحكومة الانتقالية (2019م):

ظلت الحركة الإسلامية تحكم السودان منذ 30 يونيو 1989م عبر انقلاب عسكري خطط له مع مجموعة من الضباط داخل الجيش السوداني وفي العام 2013م بدأت بوادر المظاهرات تخرج مناهضة لحكومة الاخوان المسلمين وكان لهذه المظاهرات تأثير واضح في تغيير الحكومة لسياستها، حيث تبنت مشروع الحوار السياسي مع الاحزاب والحركات المسلحة وعقدت العديد من الحوارات والمؤتمرات وخرجت ببعض التوصيات، الا ان حكومة الاخوان المسلمين (المؤتمر الوطني) تلكأت في تنفيذ تلك المخرجات، خاصة أنها في تلك الفترة شهدت صراعاً داخلياً بين قياداتها، ثم خرجت قيادتها تستفز في الشعب السوداني وبأنها لن تسلم السلطة ومن يرقب في السلطة أن ينتظر انتخابات العام

---

(1) المرجع نفسه، ص 139.

(2) دار الوثائق السودانية، مداولات الجلسة الافتتاحية للجمعية التأسيسية بتاريخ 5 مايو1986م.

(3) المرجع نفسه.

2020م، وقد درج المؤتمر الوطني إقامت انتخابات صورية تشير كل المعطيات بان نتائجها غير حقيقية.

في شهر ديسمبر 2018م انطلقت المظاهرات في الولايات السودانية، خاصة في مدينة الدمازين وعطبرة التاريخية، معقل عمال السكة حديد السودانية.

تصاعدت الاحتجاجات والمظاهرات وأصبح الشعب السوداني يريد تغيير حكم البشير، وتزايدت ضحايا المظاهرات. هذا التزايد أدى إلى اعتصام قوي الحرية والتغيير وتجمع المهنين أمام القيادة العامة يوم 6 ابريل 2019م، اجتمعت الأجهزة الأمنية وانحازت للثوار يوم 11 نابريل2019م بعد تزايد ضحايا المظاهرات والاعتصام وتم الانقلاب على نظام البشير (1) واعتقال رموزه(2) أدت هذه الاحداث أولاً إلى ظهور الفريق عوض بن عوف(3) الذي اذاع البيان الأول للجيش وأهم ما جاء فيه:

1- الإطاحة بنظام البشير وتعطيل الدستور.
2- فرض حالة الطوارىء لمدة ثلاثة أشهر.
3- فترة انتقالية لمدة عامين.
4- تشكيل مجلس عسكري لإدارة شؤون البلاد (4).

قبل إذاعة البيان الأول للمجلس العسكري الذي تسلم السطلة، كانت الشكوك والمخاوف تتصاعد من حدوث التفاف من القصر الجمهوري ومؤسساته الأمنية لإعادة إنتاج نظام الانقاذ الفاشل من جديد، والحيلولة دون محاسبة رموزه (5) ولذلك واصل المتظاهرين إعتصامهم وإحتجاجهم واجبرالفريق بن عوف بإذاعة بيان ثان يعلن تنازله عن السلطة وتعيين عبدالفتاح البرهان(6) بديلاً عنه ليكن رئيساً للمجلس العسكري الانتقالي، والذي اذاع بياناً جاء فيه:

1- تشكيل حكومة مدنية متفق عليها بواسطة الجميع.
2- يلتزم المجلس العسكري الانتقالي بارساء دعائم حكم مدني قوي في فترة انتقالية مدتها عامان كحد اقصى يتم في نهايتها تسليم حكم الدولة لحكومة مدنية مشكلة من قبل الشعب.

---

(1) ولد في شمال السودان وتخرج في الكلية الحربية السودانية حكم السودان ثلاثون عاماء شهدت فيه البلاد حروب أهلية في دارفور وفي شرق السودان وفي جنوب السودان الذي انفصل عام 2011م.

(2) عبدالرحمن عمر حسن محمد ، رؤية في أوضاع السودان ومستقبله، (المصورات للنشر، الخرطوم 2021)م، ص 132.

(3) ولد في منطقة قري شمال الخرطوم تخرج في الكلية الحربية السودانية، عمل بسلاح المدفعية وشغل منصب الاستخبارات وأصبح وزيراً للدفاع في العام 2015م.

(4) حسن ، ص 132.

(5) صحيفة الانتباهة، العدد 4602 بتاريخ 13ابريل 2019م.

(6) ولد في شمال السودان وتخرج في الدفعة 31 من الكلية الحربية، عمل بعدد من المناطق التي شهدت حروب أهلية (جنوب السودان، دارفور)

3- ينحصر واجب المجلس العسكري طيلة الفترة الانتقالية على تأكيد سيادة حكم القانون واستقلال القضاء والمحكمة الدستورية والنيابة.
4- توفير وحفظ الأمن وبسط الطمأنينة للوطن والمواطن
5- تهيئة المناخ السياسي لكل مكونات المجتمع لبناء وتكوين احزاب وتنظيمات تمارس أنشطتها السياسية والمهنية التي تقضي للأنتقال السلمي للسلطة.

وبالرغم من ذلك تواصلت الاعتصامات والاحتجاجات رافضة أي مظهر عسكري لحكومة ما بعد الثورة، ودخلت قوي الحرية والتغيير في مفاوضات مع المجلس العسكري الانتقالي، تعثرت هذه المفاوضات أكثر من مرة لااسباب مختلفة، نذكر منها:

1. نسب المجلس السيادي بين المكونين العسكري والمدني في تشكيل الجكومة ..
2. فض الاعتصام من أمام القيادة العامة بالقوة، مما أدى إلى سقوط ضحايا من المدنين.

النقطة الثانية المتمثلة في فض الاعتصام من امام القيادة العامة، فيها تناقض مع ما جاء في بيان رئيس المجلس العسكري الانتقالي، بأنهم سيوفرون الأمن ويبسطون الطمأنينة للوطن والمواطنين، كما كان فض الاعتصام السبب المباشر في فقدان المواطنين الثقة في المجلس العسكري الانتقالي.

ارسل الاتحاد الافريقي مبعوثاً للسودان (1) وكذلك توسط رئيس وزراء اثيوبيا أبي احمد، وأيضاً مساعد وزير الخارجية الأمريكي للشئون الافريقية، وذلك من أجل الوصول إلى حل، وبعد مفاوضات طويلة بين الجانبين ، التقى الوفد التفاوضي لقوى إعلان الحرية والتغيير بالمجلس العسكري مساء 11 يوليو 2019م تم الاتفاق على العديد من النقاط نوجزها في الآتي:

1- تسمى هذه الوثيقة الدستورية للفترة الانتقالية لسنة 2019م.
2- الوثيقة الدستورية هي القانون الأعلى بالبلاد وتسود أحكامها على جميع القوانين.
3- جمهورية السودان دولة مستقلة ذات سيادة وديمقراطية برلمانية، تعددية لا مركزية، تقوم فيها الحقوق والواجبات على أساس المواطنة دون تمييز بسبب العرق أو الدين أو الثقافة أو الجنس أو اللون أو النوع أو الوضع الاجتماعي أو الوضع الاقتصادي ، أو الرأي السياسي أو الإعاقة أو الانتماء الجهوي أو غيرها من الأسباب:
4- السيادة للشعب وتمارسها الدولة طبقاً لنصوص هذه الوثيقة الدستورية.
5- تكون مدة الفترة الانتقالية تسعة وثلاثون شهراً ميلادياً من تاريخ التوقيع على هذه الوثيقة الدستورية.

---

(1) هو الموريتاني محمد الحسن لبات نبلوماسي سابق ، تقلد وزارة الخارجية الموريتانية في التسعينات من القرن الماضي ،ثم التحق للعمل في المنظمات الدولية ، عمل بالاتحاد الافريقي منذ عام 2017م مستشارا استراتيجيا لرئيس المفوضية الافريقية.

6- تكون الأولوية خلال الستة أشهر الأولى من الفترة الانتقالية للعمل الجاد لأجل إحلال السلام طبق ما يرد في برنامج الفترة الانتقالية.

7- تلتزم اجهزة الدولة في الفترة الانتقالية بانفاذ العديد من المهام (العمل على تحقيق السلام العادل والشامل وإنهاء الحرب بمخاطبة جذور المشكلة السودانية ومعالجة آثارها مع الوضع في الاعتبار التدابير التفصيلية المؤقتة للمناطق المتأثرة بالحرب والمناطق الأقل نمواً والمجموعات الأكثر ضرراً، الغاء القوانين والنصوص المقيدة للحريات أو التي تميز بين المواطنين على أساس النوع).

8- محاسبة منسوبي النظام البائد في كل الجرائم التي ارتكبت بحق الشعب السوداني منذ الثلاثين من يونيو 1989م وفق القانون.

9- معالجة الأزمة الاقتصادية وذلك بايقاق التدهور الاقتصادي والاجتماعي والمالي والتنسيق العاجل لمواجهة التحديات الراهنة.

10-ضمان وتعزيز حقوق النساء في السودان في كافة المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ومحاربة كافة أشكال التمييز ضد المرأة مع مراعاة التدابير التفضيلية المؤقتة في حالتي السلم والحرب

11-إنشاء اليات للأعداد لوضع دستور دائم لجمهورية السودان.

12-عقد المؤتمر القومي الدستوري قبل نهاية الفترة الانتقالية.

13-سن التشريعات المتعلقة بمهام الفترة الانتقالية.

14-وضع سياسة خارجية متوازنة تحقق المصالح الوطنية العليا للدولة وتعمل على تحسين علاقات السودان الخارجية وبنائها على أسس الاستقلالية والمصالح المشتركة بما يحفظ سيادة البلاد وأمنها وحدوها.

15-القيام بدور فاعل في الرعاية الاجتماعية وتحقيق التنمية الاجتماعية من خلال السعي لتوفير الصحة والتعليم والسكن والضمانات الاجتماعي والعمل على المحافظة على بيئة طبيعية نظيفة وعلى التنوع الحيوي في البلاد ورعايته وتطويره بما يضمن مستقبل الاجيال.

16-تفكيك بنية التمكين لنظام الثلاثين من يونيو 1989م وبناء دولة القانون والمؤسسات.

17-تشكيل لجنة تحقيق وطنية مستقلة، بدعم افريقي عند الاقتضاء وفق تقدير اللجنة الوطنية لإجراء تحقيق شفاف ودقيق في الانتهاكات التي جرت في الثالث من يونيو 2019م والاحداث والوقائع التي تمت فيها إنتهاكات لحقوق وكرامة المواطنين مدنيين أو عسكريين، على أن تشكل اللجنة خلال شهر من تاريخ اعتماد تعيين رئيس الوزراء ، وأن يشمل أمر تشكيلها ضمانات لاستقلاليتها وتمتعها بكافة الصلاحيات للتحقيق وتحديد المدى الزمني لأعمالها.

18-تتكون أجهزة الحكم الانتقالي من مجلس السيادة وهو رأس الدولة ورمز سيادتها ووحدتها، مجلس الوزراء وهو السلطة التنفيذية العليا للدولة، المجلس التشريعي الانتقالي وهو سلطة التشريع والرقابة على أداء الجهاز التنفيذية.

19-يتكون مجلس الوزراء من رئيس وعدد من الوزراء لا يتجاوز العشرين من كفاءات وطنية مستقلة بالتشاور، يعينهم رئيس الوزراء من قائمة مرشحي قوى اعلان الحرية والتغيير رئيس مجلس الوزراء ويعينه مجلس السيادة، وتكون مسئولية الوزراء تضامنية وفردية امام المجلس التشريعي الانتقالي عن أداء مجلس الوزراء والوزارات.

20-لا يحق لرئيس وأعضاء مجلس السيادة والوزراء وولاة الولايات أو حكام الاقاليم الترشح في الانتخابات العامة التي تلي الفترة الانتقالية.

21-المجلس التشريعي الانتقالي سلطة تشريعية مستقلة لا يجوز حلها ولا تتجاوز عضويته الثلاثمائة عضواً، على أن يراعي تمثيل كافة القوى المشاركة في التغيير، عدا أعضاء المؤتمر الوطني والقوى السياسية التي كانت مشاركة في النظام البائد حتى سقوطه.

22-لا تقل مشاركة النساء عن 40% من عضوية المجلس التشريعي الانتقالي.

23-يتكون المجلس التشريعي الانتقالي بنسبة 67 % ممن تختارهم قوي اعلان الحرية والتغيير ونسبة 33 % للقوى الأخرى غير موقعه على اعلان الحرية والتغيير والتي يتم تسميتها وتحديد نسب مشاركة كل منها بالتشاور بين قوى اعلان الحرية والتغيير والاعضاء العسكريين في مجلس السيادة.

24-يشكل المجلس التشريعي الانتقالي ويباشر مهامه في فترة لا تتجاوز تسعين يوماً من تاريخ التوقيع على هذه الوثيقة[1].

تلك بعض النقاط أو البنود الرئيسية التي وردت في الوثيقة الدستورية للفترة الانتقالية. وبعد إتفاق جوباً للسلام مع بعض الحركات المسلحة تم تعديل بعض بنود الوثيقة الدستورية حيث أضيف ثلاثة اعضاء لمجلس السيادة يختارهم أطراف العملية السلمية (2) ويجوز للجهات التي قامت بالاختيار حق تعيين واستبدال ممثليهم وتمثل اطراف العملية الموقعة على إتفاق جوبا لسلام السودان بنسبة 25% والتي تساوي 75% مقعداً من عدد المقاعد في المجلس التشريعي البالغ (300) ، تحذف عبارة لا مركزية ويستعاض عنها بكلمة فيدرالية (3) وتبدأ فترة الانتقال من تاريخ التوقيع على إتفاق جوبا لسلام السودان (4) وينشأ مجلس شركاء الفترة الانتقالية (5) تمثل فيه أطراف الاتفاق السياسي في

---

(1) جمهورية السودان، وزارة العدل، الجريدة الرسمية مرسوم دستوري رقم (38) لسنة 2019م باعتماد الوثيقة الدستورية للفترة الانتقالية، العدد رقم 1895م المؤرخ (2019/10/3م).

(2) رئيس الجبهة الثورية الهادي إدريس ،رئيس الحركة الشعبية بشمال السودان مالك عقار،الطاهر حجر

(3) هي من اشكال الحكم السلطه فيه مقسمه بين الحكومة المركزية وحكومة الاقاليم.

(4) تم توقيع إتفاقية جوبا للسلام في 3 أكتوبر 2020م.

(5) يتكون مجلس شركاء القترة الانتقالية، خمسة اعضاء من مجلس السيادة ورئيس الوزراء وثلاثة عشر عضوا من قوي الحرية والتغير ، خمسة اعضاء من قيادات الجركات المسلحة ، من اهم اختصاصاته التنسيق وتقريب وجهات النظر بين شركاء المرحلة الانتقالية.

الوثيقة الدستورية ورئيس الوزراء وأطراف العملية السلمية الموقعة على إتفاق جوبا لسلام السودان(1).

في اب/أغسطس 2019م تم تشكيل مجلس السيادة الانتقالي من احدى عشر عضواً برئاسة عبدالفتاح البرهان، خمسة عساكر (البرهان) وعضوية كل من الفريق أول محمد حمدان دقلو (حميدتي) والفريق أول شمس الدين كباشي، والفريق ياسر العطا واللواء ابراهيم جابر وحسن شيخ ادريس ومحمد الفكي سليمان ومحمد حسن التعايشي وصديق تاور كافي وعائشة موسى، ورجاء نيكولا.

في اغسطس 2019م شغل الدكتور عبدالله ادم حمدوك (2) منصب رئيس وزراء الحكومة الانتقالية في السودان، وبناءاً على الوثيقة الدستورية تم تشكيل الحكومة الانتقالية في سبتمبر 2019م من مجموعة من الشخصيات (3) ذات السيرة الممتازة.

في يونيو 2020م اجتاحت المظاهرات جميع ارجاء السودان تحت شعار (تصحيح مسار الثورة مطالبين بتحقيق السلام) عليه اعلن رئيس الوزراء في يوليو اجراء تعديلات على طاقم الحكومة ليتناسب والمرحلة الجديدة ، وتقدم ست وزراء باستقالتهم (وزير الخارجية، اسماء محمد، ووزير المالية والاقتصاد ابراهيم البدوي، ووزير الطاقة والتعدين عادل على ابراهيم، ووزير الزراعة والموارد الطبيعية عيسى عثمان، ووزير النقل والبيئة التحتية هاشم طاهر، ووزير الثروة الحيوانية علم الدين عبدالله وتم اقالة وزير الصحة اكرم على التوم).

كانت أكبر مشكلة واجهت الحكومة الانتقالية التردي في الاقتصاد من كل الجوانب، وضعت قوى الحرية والتغيير، الحاضنة السياسية للحكومة الانتقالية، عشرة أهداف من أجل النهوض بالاقتصاد السوداني وإنتشاله من كبوته تمثلت تلك الأهداف، في تفكيك مفاصل التمكين الاقتصادي لنظام الاخوان المسلمين واعداد وتنفيذ حزمة من الحلول العاجلة والسريعة للتعامل مع الاقتصاد السوداني المنهار بالاستفادة من الموارد والإمكانات الوطنية المتاحة وتنفيذ سياسات اقتصادية تنحاز لمصلحة أغلبية الشعب، إزالة الفقر وتحقيق العدالة الاجتماعية، تحقيق مشاريع اقتصادية تقوم على إدارة الاقتصاد بدرجة عالية من الكفاءة المسنودة بقدرات تقنية ومهنية متميزة تبني على مبدأ

---

(1) جمهورية السودان، وزارة العدل، الجريدة الرسمية، الوثيقة الدستورية للفترة الانتقالية تعديل لسنة 2020م بتاريخ 2 نوفمبر لسنة 2020م.

(2) ولد في قرية الدبيبات جنوب كردفان، غرب السودان 1956م، تخرج في جامعة الخرطوم 1980م، حصل على الماجستير والدكتوراه في علم الاقتصاد من جامعة مانشستر في المملكة المتحدة، عمل في العدد من المنظمات الدولية.

(3) أسماء محمد عبدالله وزيراً للخارجية، عمر مانيس وزير رئاسة مجلس الوزراء، عادل علي ابراهيم الطاقة، يوسف ادم الضي الحكم الاتحادي، لينا الشيخ التنمية الاجتماعية، محمد الأمين التوم التربية والتعليم، مدني عباس التجارة والصناعة وانتصار صغيرون التعليم العالي، الفريق شرطة الطريقي إدريس للداخلية، الفريق أول ركن جمال عمر للدفاع، ابراهيم البدوي للمالية، فيصل محمد صالح للإعلام، نصر الدين مفرح الشئون الدينية، عيسى عثمان الزراعية، ولاء البوشي الرياضة، نصر الدين الباري العدل، أكرم التوم الصحة، ياسر عباس الموارد .

الشفافية والمحاسبة وتقطع الطريق على كل أشكال إهدار المال العام ومحاربة الفساد والمحسوبية، فضلاً عن معالجة الدين بتوفير بيئة معافاة في التعامل مع وكسب احترام المجتمع الدولي والاقليمي وقيام حكم ولائي يقود إلى فيدرالية فاعله وذات جدوى مالية توظف الموارد الكافية للتعليم والصحة والبنيات التحتية على مستوى الولايات والأقاليم التاريخية الكبرى، إضافة إلى ترشيد الانفاق العسكري، وتوجيه موارد البلاد للصرف على التنمية ومعالجة قضايا التهميش والتطور غير المتوازن، وتمكين القطاع العام من لعب دور أساسي في الاقتصاد وتمكين النساء اقتصادياً وإزالة حالات تأنيث الفقر في البلاد، كما حدد البرنامج الاقتصادي خمسة ملامح رئيسية للبرنامج الإسعاف، تمثلت في السياسات المالية من خلال معالجة الإيرادات والنفقات العامة، وإدارة الموازنة بتصحيح إختلالاتها وتغيير هيكل النفقات الحكومية وكبح الاتفاق العسكري والأمني والسياسة النقدية، بإعادة الثقة في النظام المصرفي واستقلالية البنك المركزي، مع التركيز على كبح جماح التضخم لأقل من 10 % بنهاية العام 2019م، السيطرة على الكتلة النقدية، وربط زيادة الكتله بمعدلات النمو الاقتصادي وتوجيه الزيادة في الكتله النقدية لتمويل القطاعات الإنتاجية وإدارة النقد الأجنبي بما فيها سعر الصرف للعملة الوطنية. (1)

لم تسطيع الحكومة الانتقالية في تنفيذ هذا البرنامج لعدة أسباب:

أولاً: الصراع الذي اندلع داخل الحرية والتغيير وهي الحاضنه للحكومة الانتقالية.

ثانياً: سيطرة منسوبي النظام السابق على الاقتصاد السوداني وهو ما عرف بالدولة العميقة.

ثالثاً: عدم مواكبة بعض وزراء الحكومة الانتقالية لمطلوبات المرحلة.

رابعاً: اللامبالات عند أفراد الشعب السوداني، خاصة فيما يتعلق بمفومهم الخاطىء للديمقراطية وعدم احترامهم للقانون.

خامساً: الصراع بين شريكي الحكومة الانتقالية (المكون المدني والمكون العسكري).

وكان من نتائج هذه الأسباب أن تفاقمت الأزمة الاقتصادية وأصبحت ظاهرة في الحياة اليومية، صفوف في الخبز وصفوف في المواد البترولية، وتكدس الناس أمام البنوك من أجل سحب جزء من مدخراتهم وزاد الطين بله، وباء الكرونا الذي اجتاح العالم وأثر على الاقتصاد العالمي وكان له آثاره السلبية على السودان، وأيضاً تأثر السودان بالسيول والفيضانات التي اجتاحت البلاد خلال صيف 2019م. ازاء هذا الوضع بدأ الشعب يتململ، ودخل في إحتجاجات ومظاهرات أكثر من مرة.

كما شهدت عدد من مؤسسات الدولة في القطاع العام وشبه القطاع الخاص اضرابات مطلبية مثل اضرابات الكادر الطبي واضراب العاملين في البنوك، مما يعيق عمل الدولة.

---

(1) صحيفة الانتباهة العدد 4784 بتاريخ 26 اكتوبر 2019م.

ازاء هذا الوضع أجبر عدد من الوزراء على تقديم استقالتهم وتمت اقالة وزير (1). في مجال العلاقات الخارجية استطاعت الحكومة الانتقالية في السنة الأولى أن تعيد السودان إلى المجتمع الدولي، حيث رفع اسم السودان من قائمة الدول الراعية للإرهاب والتي صدرت منذ عام 1993م من قبل الحكومة الأمريكية والتي أشارت في بيان رسمي، بأن هذا الإنجاز تحقق عبر جهود حكومة السودان الانتقالية التي يقودها المدنين لرسم مسار جديد بعيد عن ارث النظام السابق ، لتلبية المعايير القانونية والسياسية للرفع (2).

وايضاً دخل السودان في إتفاق على تطبيع العلاقات مع اسرائيل وذلك من خلال اللقاء الذي جمع بين رئيس المجلس الانتقالي عبدالفتاح البرهان مع رئيس وزراء اسرائيل بنيامين نتنياهو في يوغندا خلال شهرفبراير للعام 2020م.

أما بالنسبة للعلاقات مع دول الجوار، حدثت مواجهة مسلحة على الحدود الشرقية مع دولة اثيوبيا، بسبب توغل المليشيات الاثيوبية داخل الحدود السودانية في منطقة الفشقة، ذات الأراضي الزراعية الخصبة واستغلالها لصالح المزارعين الاثيوبين.

وفي عملية تحقيق السلام الداخلي وقعت الحكومة الانتقالية مع بعض الحركات المسلحة السودانية (الجبهة الثورية السودانية) بمدينة جوبا عاصمة دولة جنوب السودان إتفاقاً في الواحد والثلاثون من اغسطس 2020م، وأهم ما جاء في المبادىء العامة في المسارات (3) المختلفة.

1. المواطنة بلا تمييز هي أساس كل الحقوق والواجبات وتقتضي أن تقف الدولة على مسافة متساوية من الأديان والثقافات دون أي إنحياز.
2. السودان دولة مستقلة ذات سيادة، ديمقراطية فيدرالية، تكون فيها السيادة للشعب وتمارسها الدولة وفقاً لأحكام الوثيقة الدستورية وإتفاق السلام وأي دستور لاحق يتفق عليه السودانيون.
3. الشعب السوداني مصدر السلطات وتخضع الحكومة في جميع مستوياتها للمساءلة من قبل الشعب.
4. أن وقف الحرب وتحقيق السلام في السودان يمثل مدخلاً سليماً لتحقيق الأمن والاستقرار وتحقيق التحول الديمقراطي في البلاد.

---

(1)الوزراء الذين تقدموا باستقالاتهم (اسماء عبدالله وزير الخارجية ، ابراهيم البدوي وزير المالية، عادل ابراهيم الطاقة والتعدين، عيسى عثمان الزراعة، هاشم طه البنية التحتية، علم الدين عبدالله الثروة الحيوانية، وتم اقالة وزير الصحة اكرم على التوم).

(2)صحيفة الانتباهة، العدد 5101 بتاريخ 2020/12/15م

(3)تم تلخيص هذه المبادىء من(إتفاق السلام النهائي بين حكومة السودان الانتقالية والحركة الشعبية شمال/ الجبهة الثورية حول احقية السودان في المنطقتين، إنفاق مسار شرق السودان، إتفاقية مسار الوسط، النازحون واللاجئون، تقسيم السلطة اتفاقية القضايات القومية).

5. الحفاظ على وحدة شعب السودان وأرضه من خلال التحول إلى نظام جديد للحكم العادل والرشيد، هدف أساسي للتداول السلمي للسلطة في السودان.
6. أهمية تمثيل المرأة في جميع مستويات السلطة ومراكز إتخاذ القرار بصورة عادلة وفاعلة وبنسبة لا تقل عن 40%.
7. العدالة والمساءلة والمحاسبة والمصالحة والعدالة الانتقالية، متطلبات جوهرية لضمان السلام المستدامة والأمن في السودان وتركيز العدالة على احترام سيادة القانون والمواثيق الدولية لحقوق الانسان المصادق عليها، والقانون الدولي الانساني ويشمل ذلك آليات تستمد من أعراف وثقافات وتراث شعوب السودان.
8. تعتبر التعددية السياسية وتكوين الاحزاب السياسية والنقابات والتنظيمات الأخرى، ممارستها الجوهري للحكم الرشيد والمشاركة السياسية في السودان. (1).كما تم الاعلان عن التشكيل الوزاري للحكومة الانتقالية في نسختها الثانية (2).

وتم التوافق بين مكونات الحكومة الجديدة على خمسة نقاط اعتبرت الإطار العام لبرنامجها:

1. معالجة قضايا الاقتصاد.
2. استحقاقات السلام بالتفاوض مع الجهات المسلحة التي لم توقع على إتفاقية جوبا للسلام.
3. توازن العلاقات الخارجية.
4. تحقيق العدالة الشاملة والانتقالية.
5. الاصلاح في مؤسسات الدولة المدنية والعسكرية.

---

(1) الأعضاء الذين تمت اضافتهم لمجلس السيادة (رئيس الجبهة الثورية الهادي ادريس، رئيس للحركة الشعبية مالك عقار، الطاهر عقار).

(2) عبدالله حمدوك رئيساً للوزراء، خالد عمر لوزارة شؤون مجلس الوزراء، مريم الصادق المهدي للخارجية، نصر الدين عبدالباري للعدل، نصر الدين مفرح للشئون الدينية والأوقاف، ياسر عباس لوزارة الري والموارد المائية، بثينة دينار لوزارة ديوان الحكم الاتحادي، جبريل ابراهيم لوزارة المالية، الفريق ياسين ابراهيم لوزارة الدفاع، الفريق أول عز الدين الشيخ للداخلية، طاهر محمد حربي لوزارة الزراعة والغابات، على جدو للتجارة والتموين، ابراهيم الشيخ وزيراً للصناعة، جاوين على الطاقة والنفط، محمد بشير نمو للمعادن، حافظ ابراهيم للثروة الحيوانية، عمر أحمد النجيب للصحة، انتصار الزين وزير للتعليم العالي، هاشم حسب الزول للإتصالات، تيسير النوراني لوزارة العمل والاصلاح الإداري، معتصم أحمد صالح للتنمية الاجتماعية، ميرغني موسى للنقل، يوسف ادم الضي للشباب والرياضة، حمزه بلول الإعلام، الهادي محمد ابراهيم للإستثمار، عبدالله يحي للتنمية العمرانية، صحيفة السودان، العدد 5241 بتاريخ 2021/2/9م.

وفي الثامن والعشرين من مارس 2021م، تم اعلان المبادىء بين حكومة الفترة الانتقالية والحركة الشعبية لتحرير السودان شمال (1) جاء في الديباجه، إحساساً من الطرفين بالمعاناة الطويلة والمستمرة للمواطنين في مناطق الحرب، وإذ تؤمن بان ثورة ديسمبر المجيدة قد مهرت بدماء وتضحيات شابات وشباب السودان، وثورات حركة الكفاح المسلح، قد خلقت فرصة تاريخية لمعالجة جذور الأزمة السودانية، وبناء دولة المواطنه التي تسع الجميع، وإذ تؤكد أهمية التوصل إلى إتفاقية سلام شامل عبر التفاوض لكي تضع نهاية منطقية للحرب في السودان ،اتفق الطرفان على مبادىء نذكر منها:

1. العمل لتحقيق سيادة السودان واستقلال وحدة أراضيه.
2. الاعتراف من جميع الأطراف على تاريخ وطبيعة الصراع وأن الحل العسكري لا يقود إلى سلام واستقرار دائمين، يجب أن يكون التوصل إلى حل سياسي وسلمي وعادل هدفاً مشتركاً لطرف التفاوض.
3. السودان بلد متعدد الأعراف والديانات والثقافات، لذلك يجب الاعتراف بهذا التنوع وإدارته ومعالجة مسألة الهوية الوطنية.
4. تأسيس دولة مدنية ديمقراطية فيدرالية في السودان تتضمن حرية الدين وحرية الممارسات الدينية والعبادات لكل الشعب السوداني، ذلك بفصل الهويات الثقافية والاثنية والجهوية عن الدولة وأن لا تفرض الدولة دينا على أي شخص، ولا تتبنى ديناً رسمياً وتكون الدولة غير منحازه فيما يخص الشئون الدينية وشئون المعتقد ، كما تتكفل الدولة وتحمي حرية الدين والممارسات الدينية على أن تتضمن هذه المبادىء في الدستور.
5. إستناد قوانين الأحوال الشخصية علي الدين والعرف والمعتقدات بطريقة لا تتعارض مع الحقوق الأساسية.
6. تحقيق العدالة في توزيع السلطة والثروة بين جميع شعوب وأقاليم السودان للقضاء على التهميش التنموي والثقافي والديني واضعين في الاعتبار خصوصية مناطق النزاعات.
7. يجب أن يكون للسودان جيش قومي، مهني واحد يعمل وفق عقيدة عسكرية موحدة جديدة، يلتزم بحماية الأمن الوطني وفقاً للدستور، على أن تعكس المؤسسات الأمنية التنوع والتعدد السوداني، وأن يكون ولاؤها للوطن وليس لحزب أو جماعة، يجب ان تكون عملية دمج وتوحيد القوات المسلحة عملية متدرجة، وان تكتمل بنهاية الفترة الانتقالية وبعد حل مسألة العلاقة بين الدين والدولة في الدستور.
8. الاتفاق على ترتيبات إنتقالية بين الطرفين، تشمل الفترة والمهام والآليات وغيرها.

---

(1) الحركة الشعبية شمال السودان، يقودها عبدالعزيز الحلو، مقرها كاودا جنوب كردفان، زارها رئيس الوزراء عبدالله حمدوك في 9 يناير 2020م، حيث وجد استقبالاً رهيباً.

ومن أجل الحصول على الدعم الاقتصادي من المؤسسات الدولية، تم تطبيق سياسة بنك النقد الدولي، برفع الدعم عن كثيراً من المواد، وتم تعويم العملة الوطنية (الجنيه) أمام العملات الأخرى خاصة الدولار الذي تصاعد سعره لحوالي 400% مقابل الجنيه السوداني، مما اثقل كاهل الشعب السوداني، وزاد معاناته.

وفي شهر مارس 2021م قامت حكومة السودان بتكملة تسديد متأخرات السودان للبنك الدولي، تم ذلك بتمويل تجسيري من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية.

بالرجوع إلى تساؤلات البحث، حول الحكومات الانتقالية التي قامت في السودان مهامها، وما هي الأسس أو المرجعية التي استندت عليها في الحكم، نجد أن الإجابة على هذه الأسئلة قد تم بشكل تلقائي عند تناول الحكومات الانتقالية السابقة.

ولكن السؤال الذي يظل قائماً حول الحكومات الانتقالية الحالية، هل تسير على نفس نهج سابقاتها؟ وما هي المعوقات التي تقف في طريق إنجاز مهامها؟ وهل لديها المقدرة على إدارة المرحلة الانتقالية في السودان بكل تفاصيلها؟ هذا ما سنناقشه في الصفحات التالية:

أولاً: مقارنة بين الحكومات الانتقالية:

لا بد في البداية أن نضع في الاعتبار عامل الزمن، من حيث التطور في التكنولوجيا أصبحت المعلومات تصل بشكل سريع ومتوفرة، بالإضافة إلى الزيادة الكبيرة في عدد السكان وارتفاع مستوى التعليم، وتغيير موازين الصراع الدولي لصالح الولايات المتحدة الأمريكية التي أصبحت تتحكم و تقرر في مصائر الشعوب اضافة إلى المنظمات الدولية والاقليمية التي أصبحت تتدخل في الشئون الداخلية للدول بشكل مباشر الخ...

الحكومة التي تشكلت عقب ثورة اكتوبر 1964م أتت بعد نظام عسكري لم يستمر أكثر من ست سنوات في دفة الحكم والحكومة الانتقالية التي تشكلت كان قوامها وزراء مدنين، بعد أن رفض الشعب أي مظهر عسكري، فتنازل الفريق ابراهيم عن السلطة ورجع الجيش إلى ثكناته، وكان أجل الحكومة الانتقالية أقل من عام، تشكلت الوزارة فيها ثلاث مرات بسبب الصراع الذي كان دائر بين الأحزاب السياسية، ورغم تلك العواصف السياسية، استطاعت الحكومة أن تنجز مهامها، عقدت مؤتمر المائدة المستدير بالخرطوم في مارس 1965م لإيجاد حل حول مشكلة جنوب السودان، استطاع هذا المؤتمر وضع توصيات عملية من أجل الوصول إلى حل.

خلال فترة الحكومة الانتقالية 1964م كان الوضع الاقتصادي والأمني مستقراً نسبياً. ولذلك استطاعت الحكومة أن تجري الانتخابات العامة في شمال السودان، مع تأجيلها في جنوب السودان لعدم استباب الأمن.

لقد نجحت الحكومة الانتقالية 1964م أن تعبر بالتحول الديمقراطي في السودان، إلى بر الأمان وذلك بقيام النظام البرلمان في ايار/ مايو 1965م.

الحكومة الانتقالية 1964م أتت بعد نظام عسكري استمر ست سنوات في حكم البلاد.

أما بالنسبة للحكومة الانتقالية التي تشكلت في ابريل 1985م، فكانت أشبه بالانقلاب العسكري على حكومة 25 مايو 1969م والتي حكمت البلاد حوالي ست عشر عاماً، إذ تشكل مجلس عسكري إنتقالي ثم دخل في مفاوضات مباشرة مع القوة المدنية ومن ثم تشكيل مجلس وزراء قوامه مدنيين مع الاحتفاظ، بالمجلس العسكري الانتقالي وتقلد وزارة الدفاع ووزارة الداخلية، ومن الناحية الاقتصادية استطاعت ان تحل جانب من الازمة ، كما حدث تقدم كبير في المفاوضات حول مشكلة الجنوب وذلك من خلال المبادرات التي قامت بها الحكومة الانتقالية وبعض الاحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني والأفراد، أجل الحكومة الانتقالية 1985م كان سنه، لم يشهد أي صراع داخل مكونات الحكومة العسكرية والمدنية وكان الوضع مستقراً من الناحية السياسية، وقد اجريت الانتخابات البرلمانية في موعدها، وتم التحول إلى النظام الديمقراطي.

الحكومة الانتقالية التي تشكلت في العام 2019م بدأت بثورة شعبية (ثورة ديسمبر) اقتلعت الحكومة التي ظلت تحكم السودان ثلاثون عاماً، عبر إنقلاب عسكري منذ العام 1989م. وكانت ثورة ديسمبر فريدة في نوعها، إذ اتخذت القيادة العامة للجيش السوداني، منطقة إعتصام، مما أجبر قيادات الجيش للإنحياز للشعب، واقتلاع النظام السابق وإعتقال قيادته، إلا أن الشعب لم يقتنع بهذا الأمر، فواصلوا في الاعتصام وقفز عدد المحتجين إلى الملايين أمام القيادة العامة، فاذاع قائد الجيش بياناً آخر تنازل عن السلطة، وتم تسليمها للفريق عبدالفتاح البرهان، الذي شكل مجلس عسكري إنتقالي ودخل في مفاوضات مع قوى الحرية والتغيير، بينما واصلت مجموعة كبيرة من المواطنين اعتصامهم أمام القيادة العامة مطالبين بالحكم المدني، رافعيين شعار (مدنياووو) معلنين رفضهم لأي مظهر عسكري في الحكم، بعد عدة أيام ثم فض الاعتصام بطريقة وحشية راح ضحيتها مجموعة من الشباب السوداني ، فكانت تلك بداية غير موفقة للمجلس العسكري الانتقالي في السودان خاصة بعد محاولة عدم تحمله لمسئولية فض الاعتصام الذي أقر به الناطق الرسمي للمجلس العسكري الانتقالي، أمام وسائل الاعلام المحلية والعالمية. وأصبحت هناك عدم ثقة بين المكون العسكري والمدني الذي تشكل وزارته بعد ست أشهر من عمر الثورة، وبعد وساطه افريقية اثيوبية.

في ثورة أكتوبر 1964م عندما أصر الشعب على تكوين حكومة قوامها مدنيين ، استجاب الفريق ابراهيم عبود لمطالبهم وإنسحب من المشهد السياسي، بينما أصر المجلس العسكري الانتقالي الذي تشكل عقب ثورة ديسمبر التمسك بالسلطة.

ورثت الحكومة الانتقالية لثورة ديسمبر،دوله شبه منهاره في جميع المناحي، تعاني من الحروبات الأهلية أدت إلى انفصال الجنوب بكل موارده في العام 2011م وحركات مسلحة في دارفور ومناطق جبال النوبه والنيل الأزرق، بالإضافة إلى الصراعات القبلية وفي الجانب الاقتصادي ثم القضاء على البنيات الأساسية للدوله مثل مشروع الجزيرة وتم التخلص من المصانع وقطاعات السكه حديد، واستشرى

الفساد والمحسوبية التي أصبحت السمه البارزة، داخل الدولة السودانية، تدهور في التعليم والصحة وجميع مناحي الحياة المختلفة.

في العلاقات الخارجية كان السودان يعاني من العقوبات الاقتصادية المفروضة عليه من الولايات المتحدة الأمريكية، وتوتر في العلاقات مع كثيراً من دول العالم.

وقد استطاعت الحكومة الانتقالية وخلال فترة لا تتجاوز العام أن تعيد السودان الي المجتمع الدولي، وهذا في تقدير الباحث يعتبر اعجاز، وستظهر نتائجه في المستقبل القريب.

ثانياً: المعوقات التي تقف في تحقيق الحكومة الانتقالية إنجاز مهامها:

تعددت المعوقات التي ظلت تقف عقبه كبيرة، في سبيل تحقيق جميع الحكومات التي قامت في السودان، بما فيها الحكومه الانتقالية التي تشكلت عقب ثورة ديسمبر، في سبيل تحقيق مهامها، بعض هذه المعوقات لها جذور تاريخية ممتده، والبعض ظهرت مع تطور المجتمع السوداني.

من الناحية التاريخية، تظل الجهوية، أو القبلية وما يتبعها من عصبية أو طائفية أو حزبية، ثم حركات مسلحة ضد الدولة من أخطر الأسباب التي تعوق التنمية في السودان، في جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وقد استخدم بعض السياسين السودانين الجهوية للصعود إلى المسرح السياسي من خلال حمل السلاح، بزرائع عديدة.

وكان للجهويات والطائفية والقبلية اثار سالبة في شخصية الفرد السوداني، تمثلت في الولاء للأفراد، أو الطائفية أو الحزب، أو القبيلة مع عدم الاحترام للقانون، بالإضافة إلى عدم الولاء للسودان الوطن.

وخلال الفترة الانتقالية 2019م – 2021م أي في أقل من عام لعمر الحكومه الانتقالية، شهدت البلاد من حركات العنف ذات الطابع القبلي في مختلف ولايات السودان، لعدة دوافع، منها اجتماعية، والبعض دوافع سياسية، ولذلك رأينا من المهم أن نتناول نماذج منها، خاصة ذات الطابع السياسي.

عندما اعلن تعيين حكام مدنين بتاريخ 22 يوليو 2020م للولايات السودانية، في إطار إنتقال الحكم إلى الديمقراطية (1) وقعت احتجاجات عنيفة في مدينة كسلا شرق السودان، بسبب رفض بعض القبائل للوالي الجديد، بحكم أنه ينتمي جهوياً لإحدى القبائل المشتركة بين السودان وارتريا ،وازاء

---

(1) أسماء الولاة الذين تم تعينهم (عبدالله ادريس ولاية الجزيرة، يوسف النعيم سنار صالح محمد صالح كسلا، محمد حسن عربي شمال دارفور، امال محمد عز الدين الشمالية، امنه أحمد الفكي نهر النيل، عبدالله الدومه غرب دارفور، أيمن خالد الخرطوم، عبدالرحمن نور الدائم النيل الأزرق، حامد البشير جنوب كردفان، عبدالرحمن صالح غرب كردفان، خالد مصطفى شمال كردفان، موسى مهدي جنوب كردفان، أديب عبدالرحمن يوسف وسط دارفور، محمد عيسى على شرق دارفور، سليمان، على القضارف، عبدالله شقراء البحر الأحمر.

هذه الاحتجاجات العنيفة، لم يستلم الوالي مهامها إلى أن تم اعفاؤه من منصبه، فقامت قبيلته بأعمال عنف داخل الولاية استمرت لمدة طويلة.

في ولاية نهر النيل، مدينة شندي شهدت أعمال عنف بحجة أنهم لا يرغبون في حكم امرأة.

وفي غرب السودان، مدينة الجنينه بولاية غرب دارفور، اندلعت اعمال عنف قبلية في مطلع العام الجاري 2021م راح ضحيتها أكثر من ثلاثة وثمانين قتيل وأكثر من مئه جريح في معسكر كريدنق للنازحين مما أدى السلطات إلى اعلان حالة الطوارىء.

وأيضاً من المعوقات للمرحلة الانتقالية في سبيل تحقيق أهدافها، سيطرت انصار النظام السابق على كل مفاصل الدولة، الرسمية والخاصة خلال الثلاثين عاماً السابقة، ويمثلون خطراً في سبيل التحول الديمقراطي، بعد أن فقدوا امتيازاتهم وزج بزعمائهم في السجون.

تشكل الصراعات بين شريكي الحكم المكون المدني والمكون العسكري، احدى مهددات الحكومة الانتقالية، وتمتد تلك الصراعات لتشمل المحاولات الانقلابية داخل الجيش والانشقاقات التي تحدث داخل الحرية والتغيير الحاضنه الرئيسي للحكومة، بالإضافة إلى الشريك الثالث للفترة الانتقالية الحركات المسلحة، خاصة تلك التي لم توقع على اتفاقيات مع الحكومة تعتبر أيضاً من معوقات المرحلة الانتقالية.

عدم تشكيل المجلس التشريعي، هو من معوقات المرحلة الانتقالية، فقد ورد في الدستور الانتقالي الفصل السابع، الفقرة (24) (يتشكل المجلس التشريعي الانتقالي ويباشر مهامه في فترة لا تتجاوز تسعين يوماً من تاريخ التوقيع على هذه الوثيقة)، إلا أنه لم يشكل المجلس التشريعي بالرغم من مرور أكثر من عام على اعتماد الوثيقة الدستورية، وقد أشارت بعض المصادر، بأن عدم تشكيل المجلس التشريعي يعود إلى خلافات داخل الحرية والتغيير.

وبالنسبة لمقدرة الحكومة الانتقالية لإدارة المرحلة والتحول الديمقراطية، فهي رغم العواصف واستياء بعض المواطنين من الأداء السلحفائي، خاصة في القضاء على الأزمة الاقتصادية الموروثة والمتلاحقة، إلا أن كل المؤشرات تشير بان الحكومة الانتقالية (سنعبر) وستنجح في المهام المكلفة بها، وستصل بالسودان إلى التحول الديمقراطي،

وفى 25 اكتوبر قام الفريق عبد الفتاح البرهان بانقلاب عسكرى ادخل السودان في نفق مظلم لم يشهده السودان فى كل مراحله الساسه .

الخاتمة:

عندما نال السودان استغلاله من الاستعمار البريطاني في الاول من يناير1956م، تعاقبت عليه العديد من الأنظمة السياسية، إذ بدأ بتجربة برلمانية في العام 1955م، وتشكلت حكومة انتقالية، منتخبة استلمت زمام الأمور من الإدارة البريطانية في مطلع العام 1956م، شهدت خلالها صراعاً سياسياً وتم اعادة تشكيل الحكومة أكثر من مرة، وفي العام 1958م أجريت انتخابات برلمانية للمرة الثانية وتم تشكيل حكومة ديمقراطية، شهدت صراعاً سياسياً بين نخبها، أدت في النهاية ألى تسلم

الجيش للسلطة في 17 نوفمبر 1958م، بإيعاز من رئيس الوزراء في ذلك الوقت وهو ذو خلفية عسكرية، وبذلك انتهت التجربة الديمقارطية الأولى في السودان، والتي استمرت حوالي ثلاث سنوات فقط (1956- 1958م).

وفي وأخر العام 1964م نجحت ثورة شعبية في الإطاحة بالنظام العسكري وتشكلت حكومة انتقالية لم يتجاوز أجل حكمها أكثر من عام استطاعت أن تقود البلاد إلى تجربه ديمقراطية في العام 1965م للمرة الثانية، استمرت التجربة الديمقراطية للعام 1969م، شهدت انتخابات برلمانية في العام 1968م. وكان الخلاف بين الاحزاب السياسية هذه المرة أكثر عنفاً، وفي 25 مايو 1969م نجح انقلاب عسكري للمرة الثانية واستولي على السلطة، حيث استمر يحكم البلاد لمدة ست عشر عاماً إلى أن قامت ثورة شعبية في السادس من أبريل 1985م أعلن الجيش انحيازه للشعب، وقامت حكومة انتقالية لمدة عام، تشكلت من مجلس عسكري ومكون مدني استطاعت أن تقود البلاد إلى تجربة ديمقراطية للمرة الثالثة في تاريخ السودان الحديث والمعاصر، وخلال التحول الديمقراطي الثالث 1985- 1989م، اطلت الصراعات الحزبية مرة أخرى، مما سهل إلى قيام انقلاب عسكري، خطط له الاخوان المسملين الذين سيطروا على الحكم لمدة ثلاثين عاماً، إلى أن استطاعت الثورة التي قامت في ديسمبر2018م من اقتلاع قيادتهم في الحادي عشر من ابريل 2019م حيث دخلت البلاد في مرحلة انتقالية وسط ظروف بالغة في التعقيد، دوله منهارة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، فقدت كثيراً من مواردها الطبيعية، بسبب انفصال الجنوب، بالإضافة إلى الصراعات الأهلية، والعلاقات الخارجية السيئة والعقوبات الأمريكية التي نهشت الاقتصاد السوداني، وسط هذه الأجواء وفي خلال عام من تسلمها زمام الأمور، استطاعت الحكومة الانتقالية لثورة كانون الأول/ديسمبر، أن تعيد السودان إلى المجتمع الدولي وترفع العقوبات الأمريكية بالإضافة إلى عودة العلاقات الخارجية مع دول العالم إلى وضعها الطبيعي، وداخلياً استطاعت أن تصل إلى سلام دائم مع بعض الحركات المسلحة وذلك من خلال إتفاقية جوبا، إلا أن الجانب الاقتصادي وتأثيره على الحياة اليومية، ما زال في وضع حرج. كما ان الوضع الداخلي يشهد إختلافاً وتبايناً بين قوى مكونات الثورة (الحرية والتغيير) وما زالت الحركات القبلية، تطل علي السطح من حين لآخر، لأسباب سياسية وغير سياسية.

النتائج:

1- قامت في السودان ثلاثة ثورات شعبية نجحت في اقتلاع الحكم العسكري.
2- الحكومة الانتقالية التي تشكلت في عام 1964م كان قوامها مدنيين، بينما الحكومة الانتقالية التي تشكلت في 1985م و 2019م تكونت شراكة بين مدنين وعسكريين.
3- تعتبر العصبية الجهوية والطائفية أكبر مهدد للتحول الديمقراطي في السودان.
4- بعض المواد الواردة في الدستور الانتقالي 2019م، لم يتم تنفيذها، بالرغم من أنها مقيدة يزمن محدد، مثل المجلس التشريعي.
5- لم تكتمل الفتره الانتقالية 2019 بسبب الانقلاب العسكرى الذى قام به قائد الجيش .

التوصيات:

لا بد من نبذ العصبية والقبلية والطائفية من المجتمع السوداني، وترسيخ مفهوم الديمقراطية وسط الشعب.وبناء جيلاً جديداً أساسه السلوك الأمثل.

المراجع والمصادر:

1. بشير محمد شوقي اسماعيل، الحكومات الوطنية والديمقراطية والعسكرية في السودان 1956-2005م تحليل وتوثيق،(دار عزه للطباعة والنشر، 2015م).
2. تيم نبلوك، صراع السلطة والثروة في السودان، ترجمة الفاتح التجاني ومحمد على جادين(دار الخرطوم للطباعة والنشر،دت).
3. جمهورية السودان ، وزارة العدل، الجريدة الرسمية، الوثيقة الدستورية للفترة الانتقالية تعديل لسنة 2020م بتاريخ 2 نوفمبر لسنة 2020م.
4. جمهورية السودان وزارة العدل، الجريدة الرسمية مرسوم دستوري رقم (38) لسنة 2019م باعتماد الوثيقة الدستورية للفترة الانتقالية، العدد رقم 1895م المؤرخ (2019/10/3م).
5. دار الوثائق، السودانية.،متنوعات 20175/150/1، ميثاق السودان الانتقالي
6. دار الوثائق، السودانية، متنوعات 2178/150/1، مشورع ميثاق حكومة قومية تهدف إلى ت حقيق الوحدة الوطنية مقدم من حزب الأمة والاتحادي الديمقراطي
7. دار لوثائق، السودانية SOUTH1/20/245، قرارات مؤتمر المائدة المستديرة للجنوب المنعقد بدار البرلمان بالخرطوم من 16 – 29 مارس 1965م.
8. دار السودانية، دستور السودان المؤقت المعدل سنة 1964م (تعديل) رقم ج لسنه 1965م
9. زكي البحيري، الحركة الديمقراطية في السودان 1943 – 1985م، (دار نهضه الشرق، جامعة القاهرة، د ت)
10. عبدالعزيز محمد موسى، صفحات من تاريخ السودان، دراسة للتاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي قديماً وحديثاً، (الدار العالمية، القاهرة، 2013م).
11. محمد محمد أحمد، كرار، إنتخابات وبرلمانات السودان، تحليل وتوثيق،(دار البلد للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، 1998م)
12. مدثر عبد الرحيم، مشكلة جنوب السودان، طبيعتها وتطورها وأثر السياسة البريطانية في تكوينها،(الدار السودانية للكتب، 1970م)
13. الوثائق دار الوثائق السودانية، مداولات الجلسة الافتتاحية للجمعية التأسيسية بتاريخ 1986/5/5م

الديمقراطية الزائفة : إرث من حكومة السودان "البريطانية"

أ.د. ميمونة مرغنى حمزة(*)

Abstract

Fake Democracy inherited by Political Parties from the Colonial Regime. The paper discusses a vital issue related to the understanding of the historical process which is a composition of events but each of these should not be treated as a separate entity. The historical process is like a flowing river each flow of water is connected with the other. So are historical events they are connected with each other a and no event erupts suddenly or separately. So to understand an event logically a deep analysis of its background is imperative in order to follow the historical process which is actually a result of continuous events. In view of events of 2023 the paper is concerned not with what happened but why did it happen .To answer this question there is a need to review a recent background of the history of the Sudan choosing a land mark for this. A suitable land mark is dual the invasion of the Sudan followed by events running up to the second half of the twentieth century. Following and analyzing events of these two eras historical roots can be marked and provide an answer to the question stated above .

المستخلص

تهدف هذه الورقة إلى عرض قضية حيوية تتعلق بكيفية فهم أحداث التاريخ وهل ممكن فهم حدث ودوافعه ومراميه بمعزل عن ما سبقه لأن مسيرة التاريخ هي عبارة عن سلسلة من الأحداث معينة ولا يمكن فصلها عن بعضها البعض. تشبه مسيرة التاريخ كما النهر الجاري لا يؤدي إلى التغيير وما مسيرة التاريخ إلا رصد لمتغيرات ولا شيء ينبت عشوائياً.

لا تحاول الورقة رصد لأحداث 2023 ومعرفة ما حدث لأن هذا ليس هو الوقت المناسب قد يأتي هذا في عقود قادمة عندما تتوفر مصادر على درجة من المصداقية. الورقة تحاول الإجابة على سؤال لماذا وقع ما وقع وهو أمر ما يتطلب دراسة متعمقة لخلفيته خلال حقبتين لهما مغزى كبير في تاريخ السودان: النصف الأول من القرن العشرين ثم النصف الثاني من ذلك القرن. إن تحليل متعمق لأحداث الحقبتين تكشف لنا الجذور التاريخية للإجابة عن ذلك السؤال.

بعد معركة امدرمان خططت بريطانيا لحكم السودان عبر (اتفاقية الحكم الثنائي) *لتبدو أن مصر شريكة لبريطانيا. وقد ابتدع "كرومر" القنصل العام لبريطانيا في مصر هذا الإجراء لفائدة بريطانيا فإيهام مصر بانها شريكة في حكم السودان يفرض عليها تحمل اعباء الحكم الذي شرعت بريطانيا في تأسيسه. وضعت الاتفاقية السلطة العليا السياسية والعسكرية في يد "موظف" دون تحديد جنسيته (2)تختاره بريطانيا ويعين بمرسوم من الخديوي بمعني انه يصبح موظفا مصريا تدفع الخزينة المصرية

(*) أستاذ التاريخ الحديث، جامعة النيلين، الخرطوم

راتبه وجميع استحقاقاته. تشكلت في الخرطوم ادارة سميت "بـ حكومة السودان" علي راسها الحاكم العام وفريق من الموظفيين البريطانين.وفي 1910 اعلن قيام مجلس الحاكم العام لم يدخل فيه اي من السودانيين .

تم اقناع مصر ان الغزو كان لصالحها وعليها بالتالي تحمل تكاليف الادارة وقد ظلت تدفعها حتي 1913 .(3)

اختيار الحلفاء

الا ان بريطانيا نظرت لهذه الترتيبات بانها "مؤقتة" علي اساس ضرورة ازاحة الشريك من اجل الانفراد بالسطة في السودان . اقتضي هذا البحث عن مؤيدين لها من الداخل، وقد توفرت لها حصيلة وافرة من المعلومات عن تركيبة المجتمع من شخصيات مثل رودولف سلاطين وبعض الاسري الذين كانوا في قبضة دولة المهدية .

مثل اغلب المجتمعات في تلك الازمنة تشكلت في السودان طبقات مختلفة من منطلقات عرقية او دينية او قبلية وتمكنت قيادات من بناء عناصر تدين لها بالولاء يمكن وصفه بالاعمي فتوفرت بسبب غياب الوعي والحس الوطني الحقيقي و في ظل انعدام " الدولة " ، فالقبيلة هي الدولة وشيخ الطريقة او الطائفة هو من يوفر لاتباعه سبل العيش ويبقون رهن اشارته خاضعين لتوجيهاته .هذه هي بيئة يمكن ان يستغلها الغزاة لتنفيذ اهدافهم . تبني كتشنراول حاكم عام السودن في 1899 هذا المخطط اذ صرح خلال ولايته القصيرة عبارة ذات مغزي " انه ليس من الحكمة تطبيق انظمة حكم غربية علي مجتمعات شرقية " (4) مما يعني الاستفادة من كيانات محلية من مشايخ قبائل وزعماء طوائف دينية تصبح رهن اشارة المسؤولين البريطانيين الذين توكل لهم ادارة السودان .

نفذ كتشنر المخطط بارسال كتيبة من 100 جندي بقيادة الضابط مكريل لاصطحاب السيد علي المرغني المقيم في سواكن لياتي الي الخرطوم حيث منح اراضي شيد عليها دور له ولاسرته وكان "كرومر" قد منحه وسام من رتبة فارس تقديرا لخدماته للجيش الغازي. اما ريجنالد ونجيت فقد منح السيد على اراضي شاسعة في منطقة العلياب قرب الدامر(5). وتخصيص مبلغ 65 جنيه استرليني شهريا(6) .

رأي السيد عبد الرحمن المهدي التقارب مع ونجت بالرغم من ماالحقته الحملة بأسرته. فخصص له راتبا شهريا بلغ خمسة جنيهات يتقاضاه من خزينة البلدية ولكنه حصل فيما بعد علي اراضي زراعية شاسعة تمتد من القطينة حتي الجزيرة أبا استغلها في الزراعة فنمت ثروته بشكل كبير(7). ومنح وسام الامبراطورية من رتبة "فارس" أسوة بما حصل عليه السيد علي المرغني سابقاً. أصبحت الحكومة تعتمد على أتباعه في تنفيذ مخططاتها ومنحت السيد عبد الرحمن الحرية في تنظيمهم. أما مشايخ القبائل التي عرفت بالعداء للمهدية فقد فكانوا يتقاضون مبالغ مقابل ما يقومون به في مجال تحديد العشور والضرائب (8) بناء علي توصية من سلاطين، إضافة لقبول أبنائهم في بكلية غوردون ليشكلوا فيما بعد صغار الموظفين في الإدارة بعد أن يلقنهم المعلمين الانجليز ما هو مطلوب منهم(9).

وكان مخطط "ونجت" استخدام هذه المجموعات التي اصبحت تعرف ب "الإدارة الاهلية " كترياق مضاد للقضاء علي أي حركة مقاومة للسلطة الجديدة *، وما هو مهم استغلالهم ضد أي دعاية مصرية تسعي لتمديد النفوذ المصري وحرص على التشاور معهم قبل أن يؤسس لجنة اقتصادية ومجلس الحاكم العام، وعندما انتشرت دعوات عالمية ضد الرق وتجارة الرقيق صرح ونجت باته سوف يستشير زعماء القبائل ولن يتأخذ أي إجراء قبل عام1920 مما أثار غضب رئيس الوزراء البريطاني "سالسبيري " (10).

تم اختبار هذه الخطة عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى فاراد "ونجت" إظهار ولاء المجتمع السوداني للمعسكر البريطاني وإعاقة أي استجابة لنداء الجهاد الذي أطلقه السلطان العثماني وشيخ الإسلام. فوجه كل من السيد علي المرغني والسيد عبد الرحمن المهدي والشريف يوسف الهندي بالقيام بجولات حول السودان لحشد الاتباع لمساندة بريطانيا وقد تكللت "المهمة" بالنجاح ولم يكتفي الزعماء بهذا بل أرسلوا تبرعان نقدية للصليب الأحمر إضافة إلى معونة عينية متمثلة في الجمال والحبوب (11). ولم يفكر القادة باستغلال الظرف لتحقيق مكسب للشعب السوداني مقابل هذا التأييد، بل ربما أشادوا بتحرك حكومة السودان عند إرسال حملة بقيادة "هدلستون" * إلى دارفور للتصدي للسلطان علي دينار الذي قرر الاستجاب لنداء الجهاد وتجهيز قوة عسكرية تتجه شمالاً. قضت الحملة على سلطنة الفور واستشهد السلطان علي دينار في معركة برنجية.

بإيعاز وتشجيع من الحكومة أسس الزعماء الثلاثة صحيفة "الحضارة" لتصبح بوقا لتزيين كل ما تقوم به . وبعد نهاية الحرب تم ترتيب زيارة للمشايخ والزعماء لبريطانيا بواسطة "ونجت" رغم أنه كان قد غادر منصبه*. وقد تبارى أعضاء الوفد في القاء كلمات الثناء والتمجيد لبريطانيا أمام الملك معبرين عن الرغبة في استمرار حكمها منفردة بمعني التخلص من شراكة مصر. وراجت معلومة أن السيد عبدالرحمن قدم سيف والده هدية للملك ولكنه أعاد له طالباً منه استخدامه "دفاعاً عن الامبراطورية البريطانية".

البحث عن هوية جامعة

التحدي الأكبر لحكومة السودان كان في ثورة اللواء الأبيض لأنها تختلف كلياً عن حركات المقاومة السابقة إذ أن الدافع لها جاء التعبير عنه في عنوان عريضة التي رفعتها جمعية اللواء الأبيض للحكومة بعنوان "مطالب الأمة" وهو مصطلح ارتبط بوجود هوية جامعة. عقدت قيادة الجمعية لعلي عبداللطيف فسارعت الحكومة للزج به في السجن وبعد انتهاء محكوميته خرج المتظاهرون لاستقباله ويهتفون باسمه "كأنه سعد زغلول السودان" (12).

جندت الحكومة مخابراتها للهجوم على الثورة فصدر تقرير "ايوارت" يفند دوافع الثورة والتقليل من شأنها ذاكراً أن من قام بها هم "المحرومون من حقوقهم" ويعني بهم "المولدون" وهم من امهات سودانية واباء اتراك او مصريون فقدوا الانتماء القبلي . اما الفئة الثانية هم الزنوج " المنبتين قبليا " بمعني انهم جاء من اطراف السودان وغالبا جذورهم مرتبطة بالاستعباد . كما اشار الي ان عقدة

العرق والشعور بالدونية والتهميش من قبل الفئتين امام العرب هو الدافع الرئيس لما سماه "التمرد". وهو تفسير خاطئ فلم تكن السلالة والنسب جدار ا في المجتمع السوداني . (13) وقد استند "ايورت" في تفسيره الي وجود مولدين ومنبتين قبليا في قيادة الجمعية فهذايخالف المنطق والواقع فهذه التقسيمات ابتدعها البريطانيون ولم يعرف في السودان تميزا عنصريا كما ان القوائم التي نشرتها المخابرات تضم اعضاء ينتمون لكل قبائل السودان: رفاعة ومحس وشايقية وعباابدة وبشارين ودينكا(14).

واغلب الذين كتبوا عن ثورة اللواء الابيض اعتمدوا علي هذه التقارير مما اوجد لبسا خطيرا في دور الثورة ولابد من تمحيص الكم الهائل من الوثائق وتقارير المخابرات والمخطوطات والمقالات الصحفية والاعمال الادبية والروايات الشفوية التي لم تستخدم الا جزئيا او تم تجاهلها*.

وواضح ان ما اثار حكومة السودان ضد الثورة ما جاء في العريضة من عرض حقيقي لمظالم التي الحقها البريطانيون بالسودان .* وما يعزز هذه المظالم . الانتشار الجغرافي للثورة في مراكز حضرية مثل بورتسودان وعطبرة وبربر ووادي حلفا وتلودي والابيض وبارا وملكال ورنك وكوستي، كانت تحمل دعوة لتاكيد هوية الشعب ووحدته والتذكير بان الهوية تعني ان تكون "سوداني اصيل" بعد ان اذلت بريطانيا السودانيين وحطمت وحدتهم(15).

وقد كان هذا ما تخشاه حكومة السودان فقد علق مدير الخرطوم كوربين "ان هناك وسيلة واحدة للتعامل مع شعب بعقلية شعب هذه البلاد فاذا اثار افرادها المشاكل فاضرب واضرب واستمر في الضرب"(16).

وهذا ماحدث بمؤازرة من الزعماء والمشايخ الذين عقدوا اجتماعا في منزل السيد عبد الرحمن المهدي واعلنوا مساندة موقف الحكومة من الثورة ووصفوه بانها ثورة "الرعاع والغوغاء". ولم تستوعب تلك القيادات الطائفية ان ثورة اللواء الابيض هي مقدمة لمعركة استقلال السودان .

طوال الفترة من 1922- 1924 انشغلت الحكومة بالتفكير في كيفية التخلص من مصر وفكرت في عرض بديل للمصريين: منحهم "برقة" مثلاً. لكن جاءت الثورة لتوفر الفرصة التي انتظرتها بريطانيا فسارعت باتهام الموظفين والعسكريين المصريين بالتحريض علي الثورة ووضعت خطة مباشرة لابعاد الضباط، واذا رفضت مصر يتم الاجلاء بالقوة ويتم تشكيل قوة دفاع السودان ويستقيل الحاكم العام من منصب سردار الجيش المصري. جاء اغتيال "لي ستاك" في 19 نوفمبر 1924 فاقتنصت حكومة السودان السانحة لتنفذ ما كانت تخططه باخراج القوات المصرية مهما كان الثمن * والواقع ان هذا الثمن دفعه ضباط سرايا من الفرقة السودانية الحادية عشرالتي ارادت مساندة القوة المصرية في الخرطوم بحري عندما رفضت تنفيذ امر الجلاء .تحركت كتيبة بريطانية و سدت طريقهم د وحاصرتهم في المستشفي وجاءت بالمدفع "هاويزر" الوحيد الذي لديها واطلقت عليهم170قذيفة من علي بعد 100 ياردة كانت كفيلة بهدم المستشفي علي رؤوس المحاصرين . استشهد 15 ضابطا واعدم من نجا واعلنت جائزة الف جنيه لمن يدلي بمعلومات عن سيد فرج الذي تمكن من الفرار الي مصر .

ثم جاءت مرحلة الانتقام لاجبار الطبقة المتعلمة للانزواء بعيدا عن ما يتعلق بشؤون بلادهم فجاء "جون مافي" حاكما عاما في 1927 فراي في"الادارة الاهلية" درعا يقف حائلاً بين "المشاغبيين" والادارة الاهلية هي الغدد الواقية من "الجراثيم" (17). تم التوسع في السلطات التي منحت للمشايخ في مجال القضاء والادارة مع احتفاظ البريطانيين بالمناصب العليا .

السودان في الحرب العالمية الثانية

إلا أن المتغيرات الاوربية مع بداية الثلاثينات متمثلة في ظهورالانظمة الاستبدادية: الفاشستية في ايطاليا والنازية في المانيا اثارت مخاوف كل من بريطانيا وفرنسا ورأت ضرورة التهدئة في المستعمرات خاصة بعد احتلال موسوليني للحبشة ومشروع الخط الاخضر الذي يربط مستعمرة ايطاليا في طرابلس الغرب مع ارتريا والحبشة عبر مصر والسودان (18)

.اذاع "هدلستون" * خطابا من اذاعة امدرمان ذكر فيه ان ما قامت به ايطاليا من وضع خطة توسعية تصل الي البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمريحتم علي السودان الانجليزي المصري أن يدخل في نطاق العمليات العسكرية النشطة وللدفاع المحلي عن السودان وان القوات البريطانية البرية والجوية الموجودة في القطر ستناهض العدو بقوة ....." (19)

تحركت بريطانيا علي الفور لعقد معاهدة 1936 مع مصر التي ازالت كل القيود التي وضعها اعلان الاستقلال 1922 مع وضع بند خاص بالسودان (رقم 11). والذي يعني اعادة الاتفاقية الثنائية ووضع صيغة لمعالجة المظالم المصرية التي نتجت عن احداث 1924 . . اصيب السودانيون بخيبة أمل من الموقف المصري الجديد تجاه السودان كما جاء في المعاهدة اذ تحول الموقف المصري من استقلال وادي النيل الي شركاء مع البريطانيين يحصلون علي جزء من السيادة علي السودان (20) وسوف يأتي جيش احتلال ثان. وهو وضع يختلف عن ما كان عليه في 1924 عندما كانت مصر نفسها محتلة الان هم حلفاء لبريطانيا .احس السودانيون بالمهانة ولابد من تطوير هوية منفصلة عن مصر وبريطانيا ولعل هذا هو المحرك الاساسي لقيام مؤتمر الخريجين. تشكلت لجنة تنفيذية اخطرت الحكومة بقيام المؤتمر في 1938. اتخذت مصر موقفا عدائيا من المؤتمر واعتبرته خدعة بريطانية. إلا أن بريطانيا اعترفت به علي امل استغلاله لصالحها (وهو ما حدث) وخوفا من ان يتحول الي حركة سرية او يتجه نحو مصر. ولكنها "اعتبرته حركة قومية مستقلة عن مصر وهي ما يخدم مصلحتها.

عند قيام الحرب العالمية الثانية 1939 وتشكيل " محور- روما برلين " ضد "الحلفاء" نجح الحاكم العام في حشد الدعم لمعسكر الحلفاء " بريطانيا وفرنسا "عسكريا واقتصاديا. وقد اشاد الحاكم العام بالدور "النشط والناجح" الذي قامت به قوة دفاع السودان في الحملة ضد ايطاليا في شرق افريقيا ، (21) ورغم هذا لم يحصل السودان علي مكافاة ولم تبدي الحكومة اي اعتراف بالجميل بل مازالت الحكومة مطمئنة لوضعها .علق لامبسون "سفير بريطانيا في مصر ان الشعور القومي في السودان ما زال مضطربا... ويعاني من انحرافات في اتجهات عدة (21)".ولكن حدث تحول عند مرور

الوزير "ستافورد كربس" ببورتسودان في طريقه للهند مبتعثا من حكومته لاقناع القادة الهنود بمساندة بريطانيا في الحرب مقابل الوعد بالاعتراف باستقلال الهند .وفي طريق العودة ابدي تعاطفا مع طموحات السودانيين .(22). والتقي بالسكرتير الاداري "دوجلاس نيوبولد" وعبر عن استغرابه بعدم مشاركة السودانيين في الحكم عبر هيئات تشريعية كما هو حادث في نيجريا وغيرها وذلك بعد اربعة عقود من الاحتلال.

تم البحث في الفكرة خاصة مع ازدياد شعبية المؤتمر اثر رفعه مذكرة في 3 ابريل 1942 للحاكم العام تحتوي مطالب للشعب. اعتقد الحاكم العام انها كانت بتشجيع من موقف كربس. وقع إبراهيم احمد المذكرة وهو رئيس المؤتمر و من قيادات حزب الامة وهي موجهة للحاكم العام بوصفه ممثلا لـ"صاحب الجلالة الملك جورج وحكومة جلالة الملك فاروق الاول"(23). علق "هدلستون" علي المذكرة بقوله: "ستتضح اكثر من مرة ان المتعقلين والاكثر توازنا من الاعضاء انجرفوا وراء الشبان المتطرفين مما قادهم الي تصرفات ندموا عليها لاحقاً" (24) وحذر من ان المؤتمر بدا يتخذ شكل حركة قومية.

كلف الحاكم العام السكرتير الاداري باعادة المذكرة للمؤتمر في 29 ابريل* موضحا بصورة استفزازية الي ان الحاكم العام يري ان المطالب تتعلق بدستور السودان المحدد في اتفاقية الحكم الثنائ وهو امرلا يمكن تعديله الا برغبة الدولتين وان حكومة السودان غير مستعدة لمناقشة مراجعتها " مع اي مجموعة من الاشخاص " واذا قررت مراجعتها فتامل في استشارة " الراي السوداني المسؤول ". وان الحكومة لن تتمكن من منح وعود " لاي هيئة من الاشخاص " باسم دولتي الحكم الثنائي" (25) . واشار نيوبولد الي اخطاء وقع فيها المؤتمر بتقديم هذه المطالب لان الحكومة منفردة هي التي تدرك حاجات السودانيين ومتي يتم تحقيقها كوصي علي اهل السودان وتصر أن يحصر المؤتمر نفسه في الشؤون الداخلية ويقلع عن اي دعاوي في تمثيل البلاد بشكل عام. ثم وجه "نيوبولد" منشورا إلى الاعيان والشيوخ والمامير والموظفين في المديريات بعدم الاشارة او إجراء أي نقاش حول المذكرة وما جاء فيها "... وهي ليست للنقاش رد عليها الحكام العام "وارجعت المذكرة وقفل الموضوع ". (26). ثم عقد السكرتير الاداري اجتماعا مع من اعتبرهم" معتدلون" بينهم ابراهيم احمد * في 16 يوليو". ثم اجتمع مرة اخري في 17 يوليو مع ابراهيم احمد منفردا ربما اراد ان يوثق ما دار في الاجتماع السابق كتابة . ذكر في الاجتماع "ان الحكومة تعني ما تقول" ولها سياسة تعلنها من وقت لاخر لعامة اهل السودان "وليس لفئة معينة" واذا رات إجراء اتصالات مع قادة الراي فيجب ان يكون هذا بشكل "شخصي وسري". كتب ابراهيم احمد ردا لنيوبولد " عبر فيه عن ا رتياحه للروح الودية التي ميزت محادثاته مع ممثلي المؤتمر في16 يوليو ويبدو انه سار علي نهج الاتصالات "السرية والشخصية" التي تريدها الحكومة وهو رئيس المؤتمر(27).

غير ان تزايد النشاط المضاد للحكومة اثار مخاوف الحاكم العام ولكنه علق "فكيف ما صارت الزيادة في الشعور الشعبي مقلقة فانها بالتاكيد افضل من التغلغل المصري ... وانا شاكر لاشادتك بالطريقة

التي نحاول فيها وضع الحركة الوطنية تحت نوع من السيطرة غير القمعية" وأضاف "إن صعوبتنا الحالية في هذا الشأن هي اجتياز الفترة الانتقالية التي ربما تكون عاما او عامين او ثلاثة قبل ان نتمكن من اقامة مجلس استشاري سوداني محترم". اشار "الي وجود فراغ في السلطة المركزية والطبيعة تمقت الفراغ" ومن غير ترو دخل مؤتمر الخريجين في هذا الفراغ ولكنا ازحناه برفق غير انه ينبغي ملء هذا الفراغ" (28).

مشروع الحكم الذاتي

مع بداية 1943 ترسخت فكرة صواب إقامة هيئة تشريعية يشترك عبرها السودانيون في إدارة البلاد بشكل صوري تحت ذريعة السير بالسودان نحو الاستقلال اذ لن يتم ابعاد مصر الا عند قيام دولة السودان المستقلة تحت رعاية بريطانيا. كون الحاكم العام لجنة من كبار الموظفين البريطانيين في يناير 1943 لمناقشة الامر وبعد عقد ثلاثة جلسات قدمت مقترحا لقيام هيئة باسم "المجلس الاشتشاري لشمال السودان" ليجيزه مجلس الحاكم العام.

بعث الحاكم العام رسالة الي لامبسون اخطره بهذه التطورات فكتب لامبسون الي ايدن وزير الخارجية معبرا عن موافقته للمقترح اذ انه يوفر للادارة جهازا مركزيا لمعرفة احتياجات السكان وفرصة لتدريب السودانيين، واضاف عبارة "قبل ان يعيق التململ السياسي تعاون المستنيرين من السودانيين مع الحكومة" (29). ويبدو ان هذا التخوف هو الذي دفع الحكومة لتقديم المقترح.

كما وردت اشارة من القنصل "علينا ان نتوخي الحذر حتي لا نخرج من مصر والسودان عبر تطبيق للديمقراطية وما هذه الا عملية "زائفة" والغرض منه تامين المصالح البريطانية".

تم تشكيل المجلس من 28 عضو يمثلون الشعب السوداني: 18 منهم يتم تعينهم بتوصية من مديري المديريات البريطانيين وعشرة يختارهم الحاكم العام من العاملين في القطاعات المهنية. المجلس عبارة عن هيئة استشارية تحت مسمي سوداني تساعد الحكومة في تنفيذ مخططاتها وصفها زورا الحاكم العام في جلسة الافتتاح "بانها اول هيئة تمثيلية في تاريخ السودان" (30) وقد انطلت هذه الفرية علي بعض الاحزاب* التي سارعت بادخال من يمثلهم من العمد ونظار القبائل وبعض الموظفين متوهمين انها ممارسة ديمقراطية بينما قاطعها حزب الاشقاء الذي انبثق من المؤتمر. وقد وصف احمد خير الهيئة بأنها آلية" لتنفيذ مخططات بريطانياعن طريق اعضاء ينفذون ما يطلب منهم"(31).

كان المعيار الذي تتخذه بريطانيا لاختيار الحلفاء هو وقوفهم بجانبها ضد التغلغل المصري وكما جاء في رسالة لهدلستون ان تحقيق اهداف بريطانيا يتطلب "مقاومة الدعاية المصرية وخلق رأي عام في السودان مؤيد لنا ولسياستنا الرامية الي تحقيق الحكم الذاتي ... مما يتطلب استقطاب السودانيين خاصة المتعلمين" يتطلب الامر توضيح هدف بريطانيا وهو "الحكم الذاتي" (32). وقد شدد هدلستون علي ضرورة بذل بريطانيا مزيدا من الجهد لاقناع السودانيين بانها تهتم بمصالحهم وفي هذا الصدد لام حكومته بتجاهل طلبه لتقديم هبة مالية لكلية غوردون واقترح ان يفتح المجلس

البريطاني فرعا له في الخرطوم "ليساهم في بث الدعاية البريطانية"(33) واضاف "من الضروري تشجيع العناصر المؤيدة لنا لاتخاذ سياسة ربما ضد الوجود المصري كليا في السودان" *(34)
أيدت الخارجية البريطانية التزام حكومة السودان لتحقيق الحكم الذاتي واول خطواته تكوين المجلس الاستشاري لشمال السودان (35) .
أي تاخير في تنفيذ الحكم الذاتي سوف تستغله مصر وتطالب بموضوع الوحدة بما يعني تغييرا في ما جاءت به اتفاقية الحكم الثنائي وهو لن تقبله بريطانيا وقد يدفعها لتصفية الوجود المصري في السودان. وضح ان هدف بريطانيا المحافظة علي وضعها "المتميز في هذه المنطقة الاستراتيجية الهامة" وسياستها ترمي لمساعدة "شعب متخلف" عبر حكومة رشيدة تسعي الي تحقيق حكم ذاتي "تدريجي"(36) .
نجحت حكومة السودان في تشكيل الجبهة الاستقلالية بشكل يتوافق مع مشروع الحكم الذاتي الذي يتطلب التصدي للنفوذ المصري ومن اركان هذه الجبهة حزب الامة . في رسالة من روبرتسون * الي مساعد قنصل السو.دان في القاهرة وضح علاقة هذا الحزب بالحكومة، اشار الي بداية ظهور مجموعة في 1926 موالية للحكومة اثر احداث 1924 بقيادة جريدة الحضارة ورئيسها حسين شريف. ولم يظهر الحزب الا في 1944 عندما سيطرت مجموعة " الاشقاء " الموالية لمصر علي اللجنة التنفيذية للمؤتمر مما ازعج من سماهم "المعتدلين" الذين سعوا "للحكم الذاتي" أشار روبرتسون ان حزب الامة ليس صنيعة بريطانية بل الحكومة شجعته لاستغلاله ضد الخطر المصري خاصة بعد مساندة الختمية للاشقاء. كما ان فكرة الاستقلال تتماهي مع طموحات الحزب ليصبح السيد عبد الرحمن ملكا علي السودان كما روج لهذا اتباعه ولهذا تمسكوا بالاستقلال الفوري ولم ينفي المهدي الفكرة. وفي حقبة "نيوبولد" ابدي تخوفه من أن تدفع نزعات السيد عبد الرحمن "الانفصالية وطموحاته الملكية" طائفة الختمية نحو مصر. كانت الحكومة علي علم بهذه النوايا، ورد في رسالة من "بيلي" ان المهدي تحدث مع الحاكم العام مبديا رغبته في مساندة الحكومة له ليكون هو او ابنه ملكا علي السودان خاصة انه ساعد الحكومة في تنفيذ مخططاتها ويريد منصبا سياسيا لنفسه (37) وفي رسالة من شابمان اندروز الذي جاء في زيارة الي السودان كتب "إن السيد عبدالرحمن يعيش في قصر وهو يطمح ان يكون ملكا علي السودان ويستغل الدين لتحقيق طموحاته".(38)
دفع تشجيع الحكومة عبد الله خليل لتقديم طلب في 18 فبراير 1944 للحصول على ترخيص لإقامة حزب الأمة ورغم ان الحكومة لا تعترف بالاحزاب فقد وافق الحاكم العام علي الطلب وصدرت جريدته "الامة". تبني الحزب سياسة مؤيدة للحكومة علنا مما افقده اي تعاطف شعبي مؤثر. اضافة الي ان ارتباط الحزب بالمهدية اثار شكوكا في عودتها مرة اخري، فتمويل الحزب كان من دائرة المهدي ويعقد اجتماعاته في مقرها وتولي الدعاية للحزب مهدويون صارخون مثل محمد الخليفة شريف ومحمدعلي شوقي عضو المجلس الاسنشاري .

بحلول عام 1946 اثارت مصر قضية مراجعة اتفاقية 1936 حسب النص الذي يقضي بمراجعتها بعد عشرة سنوات وبضغط من مصر وافقت بريطانيا علي اجراء المفاوضات التي عرفت بمفاوضات "صدقي بيفن" وما تمخضت عنه هذه من نتائج اثارت موجة من الاضطرابات في السودان بسبب اعتبارها استجابة لرغبة مصر في تحقيق مكاسب لها في السودان وترجع بريطانيا عن موضوع الحكم الذاتي. قاد حزب الامة هذه الاضطرابات بتحريض وتشجيع من الحكومة فاجبرت بريطانيا بالغاء المفاوضات وقد وضح لبعض المسؤولين البريطانيين ان حكومة السودان تقف وراء السيد عبد الرحمن في مطالبته باستقلال السودان لقطع الطريق امام مصر فالحاكم العام يتصرف كموظف في الحكومة البريطانية وليس حاكم عام يمثل دولتي الحكم الثنائي لهذا ظلت حكومة السودان تضع العراقيل امام اي تسوية انجليزية مصرية بشأن السودان(39).

في الواقع كان هناك توافق بين اغلبية المسؤولين البريطانيين عدم تقديم أي تنازلات لمصر في السودان. كتب سرجنت الي بيفن "أي استجابة للمطالب المصرية في السودان سيفقدنا أصدقاءنا في الجبهة الاستقلالية ويمكنهم استعداء البلاد كلها ضدنا واذا لم نكن حذرين في هذا الخصوص فربما نجد انفسنا مطرودين من مصر والسودان معا. اذا غادرنا مصر ينبغي مهما كلف الامر ان نحافظ علي سيطرتنا علي السودان" (40). "ولا بد من دعم مركز بريطانيا في السودان عبر تقوية الكتيبتين المدرعتين الحاليتين باضافة قوة مدرعة وبضع قاذفات قنابل"(41)

بعد انهيار مفاوضات "صدقي – بيفن" قررت الحكومة المصرية رفع قضية السودان ومصر لمجلس الامن وقد حشدت بريطانيا كل دبلوماسيها لعرقلة اتخاذ المجلس اي قرار يضر بمصالحها.

وفي رسالة سرية من شابمان اندروز ان الحاكم العام روبرت هاو* طلب ان تقول بريطانيا للمصريين "ارفعوا ايديكم عن السودان" فالتسهيلات التي تجدها بريطانيا من السودان اكثر مما تقدمه مصر، يمكن لبريطانيا ان" تقهر مصر ولا يمكن ابدا ان تقهر السودانيين" بسبب اتساع رقعة البلاد ولان "المقاتل السوداني المتعصب يختلف عن المقاتل المصري"(42) اقترح تجاهل اتفاقية الحكم الثنائي لان السودانيين انفسهم يرفضونها حتى "الاشقاء". وقد ابرمت قبل خمسين سنة ولم يشتركوا فيه فاصبحت حبر علي ورق (43).

جاء في إعلان العرش المصري في نوفمبر 1949 ان مصر متمسكة بوحدة وادي النيل فأعلن السكرتير الإداري امام الجمعية تشكيل لجنة لاعادة النظر في قانون الجمعية التشريعية والمجلس التنفيذي الذي حلا مكان المجلس الاستشاري عرفت هذه بلجنة "التعديلات الدستورية "برئاسة القاضي ستانلي بيكر (44). علي أساس تضع قانون الحكم الذاتي.

وقد علق السكرتير الاداري في 1950 أن هذه الترتيبات الادارية بعيدة عن صورة الحكم الديمقراطي الذاتي الذي تهدف الاحزاب له، ما يهم بريطانيا في هذه البلاد تاخير يوم الحكم الذاتي لا طول وقت، الانقسام بين الامة والختمية يخدم مصالح بريطانيا"(45). عقدت اللجنة احد عشر اجتماعا وسلمت توصياتها للحاكم العام رغم أن أربعة من الأعضاء السودانيين استقالوا من اللجنة قبل أن تكمل أعمالها.

في 8 أكتوبر 1951 اعلن مصطفي النحاس الغاء اتفاقية 1899 ومعاهدة 1936 من داخل البرلمان المصري واعقب هذا اصدار الملك دستور خاص بالسودان ليكون تحت التاج المصري. قررت الحكومة عرض توصيات لجنة التعديلات الدستورية واجازتها فارسلت نسخا الي كل من بريطانيا ومصر. أعلنت بريطانيا اجازتها وانها تساند الحاكم العام في إجراءات الحكم الذاتي الذي يفضي الي تقرير المصير. رفضت مصر تقرير لجنة التعديلات الدستورية وفي مذكرة من السفير المصري في لندن الي وزير الخارجية البريطاني ان مصر تصر علي وحدة مصر والسودان تحت التاج المصري وان بريطانيا تختلق الاختلافات بين الشعبيين وهي واضحة متمثلة في الجغرافيا واللغة والدين وتصر الحكومة المصرية عدم فصل موضوع الجلاء عن وحدة وادي النيل تحت التاج المصري وتاسيس الحكم الذاتي في اطار الوحدة. وقد فسرت بريطانيا هذا الموقف المصري بانه مبنيا علي عدم فهم للاوضاع في السودان وان اغلبية السودانيين يرفضون سيطرة مصر علي بلادهم وانهم "لا يخفون احتقارهم للمصريين" ويريدون حكم ذاتي حقيقي(46).

تاكد الان لبريطانيا ان السبيل الوحيد لانهاء النزاع مع مصر بشأن السودان هو بإعلان السودان دولة مستقلة والعمل علي إيصال مؤيديها الي الحكم.

جاء استيلاء الضباط الاحرار علي السلطة في مصر ليتم التوافق مع بريطانيا لتوقيع اتفاقية الحكم الذاتي للسودان في 12 فبراير 1953* وقعها رالف ستفنسون عن بريطانيا ومحمد نجيب عن مصر(47).

في رسالة سرية من انتوني ايدن للحاكم العام كتب "بإمكاننا تقليص السلبيات عند التطبيق وهذا يعتمد علي صبر وتحمل الموظفين البريطانيين ونعتمد عليكم في الحفاظ علي ما بنيناه طوال 50 عاما، مصلحتنا في السودان تامين الاتصالات برا وبحرا وعند استقلال السودان تقوم حكومة رشيدة ولا يصبح السودان وكرا للشيوعية ولا يثيراضطرابات في المستمعمرات البريطانية في شرق افريقيا (48).

انتخابات 1953 الاولي في تاريخ السودان

بعد توقيع الاتفاقية واستعدادا للانتخابات عينت بريطانيا موظفاً تحت غطاء مندوب تجاري (رتشيز) ليعمل حلقة وصل مع حلفائها وهو يتحدث العربية وسوف يلتحق به مستشرق ومندوب علاقات عامة يزوود بمواد اعلامية كتب ومنشورات من مكتبها في بيروت واعادة فتح المجلس البريطاني الذي اغلق في 1951 لضغط المصروفات. خصصت 10 الف جنيه استرليني لهذا النشاط واضيفت لها

عشرة اخري. ويوصي المكتب الاعلامي بتمويل صحيفة ناطقة بالعربية. كل هذا عبء يقوم به الموظفون البريطانيون استعداداً للانتخابات التي سوقف تقرر سمعة بريطانيا في افريقيا والشرق الاوسط(49).

عند اقتراب موعد الانتخابات كتب "رتسيز" رسالة لحكومته ان السيد عبد الرحمن يطلب مساعدة بريطانيا لتمويل الحزب عن طريق شراء القطن من مزارعه بسعر اعلي من السوق ولكن "رتشيز" اخبره ان هذه المساعدة غير مضمونة وسبق ان ناقش الامر مع لويد جورج اثناء زيارته للسودان فوضع له شروط لهذه المساعدة:

1. يعلن حزب الامة موقفا واضحا بالنسبة للعلاقة مع مصر.
2. **تشكيل** جبهة من مؤيدي الاستقلال في الانتخابات خاصة الحزب الجمهوري الاشتراكي.
3. التعاون مع الجنوبيون بمنحهم تاكيدات ببقاء الموظفين البريطانيين لعدة سنوات قادمة.

أبدي المهدي موافقته علي الشروط ومناقشتها مع ابنه الصديق وذكران ما يهمه استمرار التعاون مع بريطانيا. وقد تم لقاء بين الصديق و"لوس" مستشار الحاكم العام وكرر الشروط ووافق عليها الصديق. وفي رسالة من "رتشيز" الي حكومته قبيل الانتخابات عرض ما جاء في لقاء اخر مع السيد عبد الرحمن مبينا له ان بريطانيا قدمت ما التزمت به لكنه قدم مطالب غير مقبولة منها اعلان بريطانيا موقفا صريحا مؤيدا لحزب الامة وترتيبات في دوائر انتخابية الامر الذي يعتبر تدخلا في الانتخابات وسوف ترفضه اللجنة (50).

تم الاتفاق علي اجراء الانتخابات في نوفمبر -وديسمبر فشرعت الحكومة ورجال مخابراتها في التواصل مع حلفائها في الجبهة الاستقلالية تقدم لهم النصائح من اجل ان يكسبوا الانتخابات لكن النتيجة اصابتهم بصدمة اذ فاز الحزب الوطني الاتحادي ب 51 من جملة 97مقعدا مقابل 22 لحزب الامة و3 للجمهوري الاشتراكي(51). وضح لهم ان الاتحادي فاز في كل دوائر الخرطوم واغلب دوائر كسلا وكردفان ولا يستبعد ان يفوز بكل دوائر الخريجين. تردد ان السيد عبد الرحمن اعلن في حالة شكل الاتحادي حكومة سيعلن حكومة في الغرب(52) اجتمع "كباتريك" مستشار الحا كم العام مع السيد عبد الرحمن وابنه، لام المهدي بريطانيا لانها لم تقدم ما يكفي من مساعدات، كان رد "كبانريك" بان حزبهم هو السبب في الهزيمة لانه لم يتبع نصائح بريطانيا التي أشارت لهم بالتعاون مع كل دعاة الاستقلال مهما كان توجهاتهم ولكن حزبهم أصر علي ان يعلن المرشح انتمائه لحزب الامة، كما دخلوا في معركة مع الحزب الجمهوري الاشتراكي واضاعوا الكثير من الوقت والجهد الذي كان يجب ان يوظف ضد الحزب الوطني الاتحادي ونصحهم تشكيل جبهة استقلالية معارضة في البرلمان(53).

في 9 يناير 1954 شكل الحزب الوطني الاتحادي أول حكومة منتخبة في تاريخ السودان* برئاسة اسماعيل الازهري وقد وجدت شعبية كبيرة إذ رأي السودانيون أن هذا الحزب هو الذي ناضل وكافح ضد الاستعمار البريطاني بينما حزب الامة لم يقف في جانب الانجليز فحسب؛ بل سعي لقيام ملكية مهدوية يكون علي رأسها السيد عبد الرحمن أو أحد ابنائه. وقد انتشر خبر لقاء السيد عبد الرحمن

بوزير خارجية بريطانيا اثناء حضوره حفل تتويج الملكة اليزابث في لندن وقد اصطحب معه في اللقاء "يودل" مدير كلية غوردون كمترجم عوضا عن أحد أعضاء وفده. استفسر السيد عبدالرحمن في اللقاء عن نوع الحكم الذي تريد بريطانيا اقامته في السودان وهو علي اعتاب الاستقلال فرد الوزير ان بريطانيا تفضل الملكية لان هذه اثبتت نجاحها في السعودية والعراق حيث ساد الاستقرار عكس سوريا ولبنان(54) وقد سارع الحاكم العام إلي نفي الخبر خشية من اثارة السيد علي المرغني وبريطانيا تخطط لإبعاده عن مصر.

فكر حزب الامة في بدائل لاسقاط حكومة الاتحاديين واتته فرصة عندما تقرر دعوة محمد نجيب لحضور افتتاح البرلمان في الأول من مارس. وضعت خطة لتنظيم مظاهرة تهاجم موكب محمد نجيب وقعت اشتبكات مع الشرطة وسقط عدد من القتلي. توقع الحزب اعلان الحاكم العام إعلان حالة الطواري التي نص عليها قانون الحكم الذاتي وما يترتب عليها من اجراءا لكن الازهري وقف ضد الاجراء*.

بدأ حزب الامة يتخوف من زيادة نفوذ الازهري ووجد نفسه الاضعف فالمرغني نجح في اسقاط الازهري وان كان لفترة وجيزة في نوفمبر 1955 وكان ان حاول بعض اقطاب حزبالامة احداث تقارب بين االمهدي والمرغني كطريق للوصول للحكم. أبدي المهدي موافقته علي الفكرة بينما لم يفصح المرغني عن رايه صراحة وان أصبح يدرك ان موضوع الوحدة قد تلاشي واصبح من مويدي الاستقلال. وهناك اشارة الي ان المرغني حسم امره بلقاء المهدي بعد ان كشف له عبدالله خليل تقريرا طبيا من طبيب معالج للمهدي ذكرفيه بان صحته لا تمكنه من حكم البلاد، وينظر لعبد الله خليل كاحد المهندسين لفكرة اللقاء واقتنع المرغني وتم "لقاء السيدين" في1 ديسمبر 1955. (55)وتفاءل الشعب علي اساس ان اكمال الاستقلال قد اقترب . رغم ان محمد احمد محجوب وصف هذا التحالف بانه "اسوا كارثة في تاريخ السياسة السودانية ففي هذا التحالف سعي عدوان لدودان مدى الحياة بدافع الجشع والتهافت علي السلطة والغرور والمصالح الشخصية للسيطرة علي الميدان السياسي". في ظل هذه الفوضي والتجاذب الحزبي.

قرر الازهري عرض موضوع إعلان الاستقلال من داخل البرلمان للتصويت بضغط من بريطانيا ومعروف ان تقرير اللجنة الدولية وضع هذا الخيار عوضا عن الاستفتاء وبالفعل في19 ديسمبر تم هذا الترتيب بالتشاور والاتفاق مع الحكومة واعلن الاستقلال من داخل البرلمان بموافقة الجميع وعلي ان يكون استقلال السودان رسميا في الاول من يناير1956.

تم تشكيل الحكومة القومية برئاسة الازهري ووزراء من كافة الاتجاهات عبدالله خليل ومرغني حمزه ومحمد نور الدين مبارك زروق وصفت باغرب حكومة تضم كل المتناقضات. ادت اليمين في 2 فبراير وقد سادت حالة من التفاؤل لكن بصورة مفاجأة اعلن المرغني قيام حزب جديد "حزب الشعب الديمقراطي" في20 يونيو 1956 واعلن في بيان الهدف من قيام الحزب ثم اعلن مرغني حمزة دمج الحزب الذي شكله سابقا باسم "حزب الاستقلال الجمهوري" في حزب الشعب.

وقد انشغلت الحكومة بهذه المناورات المتكررة التي تهدف لاستمرارها فعمليا لم تتمكن من اجراء اي اصلاحات ولم يلحظ الشعب اي تغيير يذكر.

في 25 يونيو في جلسة للبرلمان تقدم كل من مرغني حسين زاكي الدين ورحمة الله محمود ويعقوب حامد من حزب الامة وعبدالحميد مادبو من الجمهوري الاشتراكي وبولين اير من الاحرار الجنوبي باقتراح "إن من رأي المجلس ان رئيس الحكومة فقد ثقة المجلس" فتم التصويت واجيز ب 60 صوتا مقابل 31 للاتحاديين واعقب هذا انسحاب 17 من نواب الوطني الاتحادي والانضمام لحزب الشعب. جرت مفاوضات بين الامة وحزب الشعب والاحرار لتشكيل حكومة، ائتلافية وتشكلت في 5 يوليو 1956 برئاسة عبدالله خليل. وقد علق الازهري "علينا ان نثبت للعالم ان السودان فهم الديمقراطية فهم صحيح". أما المؤرخ البريطاني ب م هولت فقد وصف التحالف بانه "انتهازي اصطناعي قصد به إبعاد الازهري ونوابه اذ ان كل حزب كان له راي مختلف في قضايا كبري"(56) .

وضح ان ما تقوم به الاحزاب يهدف للبقاء في السلطة - كما كانت تفعل حكومة السودان سابقا - دون اي اهتمام بالاوضاع الاقتصادية المتردية حتي حكومة الازهري الاولي لم تتمكن من تحقيق أي انجاز حقيقي بسبب جرها في مناورات الاحزاب لاسقاطها وتحريض النواب ووضع العراقيل امامها بل انهم يطالبون بزيادة المكافآت للحصول علي اصواتهم فكان من المألوف انتقال النواب من حزب الي اخر.

تم اجراء انتخابات لقيام جمعية تأسيسية في مارس 1958 حقق حزب الامة فوزا بالحصول علي 67 مقعدا والوطني الاتحادي 46 مقعدا والشعب الديمقراطي 32. اتخذت حكومة يوليو الائتلافية قرارين بشأن الانتخابات: زيادة اعضاء مجلس النواب من97 الي 173 والغاء دوائر الخريجين. في حوالي عامين تشكلت ثلاثة حكومات وحكومة ائتلافية رابعة في اكتوبر 1958 (57). بينما فشلت اي منها بتحقيق انجاز علي المستوي الاقتصادي والخدمي.

سرعان ما ظهرت خلافات بين اطراف الائتلاف حول عدة قضايا: مشروع ايزنهاور والسياسة الخارجية وعجز في الميزانية وصعوبة تسويق القطن وازمة في العملات الاجنبية وندرة في السلع الاستهلاكية. تدفق المتظاهرون في الشوراع منددين بسياسة الحكومة وتوالت اضرابات بين الموظفين والعمال .واشتد الخلاف عندما وافق حزب الامة علي قبول المعونة الامريكية بينما عارضها حليفه علنا كما رفض منح امتياز لشركة امريكية لاقامة مصنع للحوم في كوستي.

بدأ كل فريق يبحث عن حلفاء في الداخل والخارج، وتردد ان حزب الشعب الديمقراطي يخطط لإسقاط الائتلاف وتشكيل تحالف مع الاتحادي وان علي عبد الرحمن غادر الي القاهرة بدعوة من جمال عبد الناصر لاكمال الصفقة. ثم انتشر خبر برقية من السفير السوداني في القاهرة اشارت الي اجتماعات مع جمال عبد الناصر لإبرام اتفاق حول مياه النيل وقد اعلن الازهري استعداده للاعتراف باتفاقية 1929م.

شهدت هذه الفترة نشاطا دبلوماسيا مكثفا واتصالات مع القيادات السياسية وهي ممارسة استمرت للعقود القادمة رغم ما حملته من تدخل في شؤون البلاد. تم تبادل رسائل بين السفراء في الخرطوم وحكوماتهم فكتب وزير الخارجية الامريكي"فوستر دالاس" رسالة بتاريخ 4 نوفمبرالي سفيره في الخرطوم: "يجب ات تجتمع سرا مع رئيس الوزراء عبالله خليل وتسأله عن تقارير صحفية في الصحف السودانية باننا نخطط لانقلاب عسكري في السودان وهناك تقارير من مسؤولين بريطانيين وفرنسيين اشارت الي أنهم حصلوا علي معلومات بان عبدالله خليل يخطط لانقلاب عسكري قريبا". واشار الوزير ان هذه الاخبار قد تعرقل تنفيذ الخطة " هل كان لامريكا دور في الانقلاب خاصة انه ختم الرسالة بعبارة "اننا نفضل ان يضع خليل جانبا أي خطة لتنفيذ الانقلاب في الوقت الحالي". وقد رد السفير "حسب تعليماتكم جمعنا معلومات واتصالات ان حزب الامة يخطط ليكون عبد الرحمن المهدي رئيسا للجمهورية".

أشارت رسالة من السفير الامريكي في باريس الي واشنطن بتاريخ 5 نوفمبر 1958 الي ان مبارك زروق ابلغه ان عبد الله خليل لا يفكر في تحالف بل يريد ان يحكم منفردا نكاية في الشعب الديمقراطي وانه يخطط لانقلاب عسكري وبدأ اتصلات مع ضباط وقد وصلت جماهير الانصار للخرطوم لدعمه(58).

وفي رسالة اخري بتاريخ 6 نوفمبر كتب السفيرالامريكي الي وزير خارجيته ان مصادر سودانية ابلغته ان حزب الامة يبحث في خيارات قبل استئناف جلسات البرلمان في 17 نوفمبر من هذه الخيارات شراء النواب من داخل البرلمان خاصة الجنوبيين واغراء بتقديم خدمات اكثر في الجنوب. اذا نجحت الخطة يعلن رئيس الحكومة قانون بتجميد البرلمان ويحكم مجلس الوزراء منفردا وقد يعرض وزارات علي الجنوبيين ومن يقبل التعاون معه من الاتحاديين والختمية. في حالة الفشل الخيار الثاني استخدام القوات المسلحة وبمساعدة الانصار لضمان البقاء في السلطة. وفي 7 نوفمبر كتب السفير رسالة اخري ذكر ان صحيفة الميدان وجهت اتهاما لامريكا بالتخطيط لانقلاب عسكري مع حزب الامة كما فعلت في دول امريكا اللاتينية واسيا .

كما ذكر تقرير للمخابرات البريطانية وصل في نفس يوم الانقلاب ورد فيه ان عبدالله خليل ابلغ صحفي بريطاني قبل شهرين انه سيسلم السلطة للجيش (59) .

إذن أدرك عبدالله خليل قرب انهيار الائتلاف وخروج حزبه من الحكم وفقدانه لمنصب رئيس الوزارة فتذكر الدرس الذ ي تعلمه من التجربة البريطانية للمحافظة علي السلطة فما هذه الا ديمقراطية "زائفة". فاتصل بقائد الجيش ابراهيم عبود واقنعه باستلام الحكم في 17 نوفمبر 1958. رغم ان الجيش لم تكن له نوايا في الولوج الي العمل السياسي واغلب القيادات تدربوا علي ايدي الانجليز الذي وضعوا الابتعاد عن العمل السياسي مبدأ مقدسا.

وقع اول انقلاب عسكري في السودان، وهو الاول في افريقيا جنوب الصحراء، من حزب سياسي وتوالت الانقلابات إذ رصدت 19 محاولة بعدها. اخرها 1989*.

أصبح هذا هو النمط الذي طبع المشهد السياسي عل مدي سبعين عاما وكانت النتيجة اعاقة مسار الحكم المدني الطبيعي وما نتج عن هذا من تردي اقتصادي اجتماعي سياسي، فمنذ الحكومة الأولى 1954 اصبح مبدأ الاحزاب الوصول الي السلطة فتعددت الحكومات حتي في ظل الفترة الانتقالية 1954: أربعة حكومات في عامين، وبعد ثورة ابريل تتشكلت سبعة حكومات مابين 1964-69 بسبب التنافس علي السلطة . وتكرر نفس الامر بعد ثورة ابريل 1985 فتشكلت تسع حكومات حزبية في اربع سنوات اخرها في 1989 مما يعني ان الاحزاب السياسية استغلت الثورات التي اعادت الحكم المدني لتحقق مصالح ذاتية وحزبية بينما اوضاع البلاد في حالة تراجع ممنهج وجاء استغلال الديمقراطية في ابشع صوره. حتي لو كان الثمن ضياع الحكم المدني. أاما الحقب العسكرية التي غطت ما يقارب 50 عاما من جملة السبعين عاما من السودان المستقل فان ضررها علي السودان افدح مما يمكن تصوره*.

انشغلت الاحزاب بكيفية الوصول الي السلطة والبقاء فيها متجاهلة اساليب بناء دولة تعاني اصلا من قضايا التعدد العرقي والثقافي والجغرافي واكثر ما تحتاج له تاسيس هوية جامعة لكن الانظمة السياسية كرست الانقسام بدلا من ازالته :

شمال وجنوب وشرق وغرب وساحل وصحراء ومسلم وكافر والابقاء علي اسم السودان الذي اطلقه عليه محمد علي وهو لا يحدد ارض ولا جغرافيا بل مصطلح تمييزي اثني اطلقه الجغرافيون العرب علي منطقة شاسعة في غرب افريقيا اشارة الي "اللون" وليس الي دولة (60). ولم يكن للاحزاب ايمان حقيقي بالديمقراطية ولم تفكر في وضع اسيراتيجية لكيفية حكم البلاد ولم تحاول الاستعانة بالخبراء والمخططين في كافة المجالات الذين تذخر بهم البلاد واضطروا للمغادرة وعرفوا بالتميز والكفاءة اقليميا وعالمياحتي ان الامين العام للامم المتحدة اشارة الي" السودانيون هم بروسيو افريقيا " اشارة الي الدور الرائد لمملكة بروسيا في نهضة اوربا الحديثة. ما حدث في 2023 هو نتاج حتمي لقرن من تدخل خارجي لاسستغلال البلاد وتهاتف علي السلطة لتحقيق مكاسب ذاتية من السودانيين انفسهم.

الاحالات

The Condominium Convention 1899 Agreement Between Her Britannic Majesty, Government and the Government of His Highness the Khedive of Egypt Relative to the Future Administration of the Sudan , Muddather Abdel Ag -Rahim , Imperialism and Nationalism in the Sudan , Khartoum University Press. all Governor Generals were British nationals.

2. المادة الثالثة كل الحكام العامون يحملون الجنسية البريطانية :

3.ميمونة مرغني حمزة ، صادرات السودان في الربع الاول من القرن العشرين، دراسات حوض النيل، جامعة النيلين، المجلد الاول 1999، 83-102

4.محمد عمر بشير ، تاريخ الحركة الوطنية في السودان 1900- 1969 ، نقله الي العربية هنري رياض ، وليم رياض ، الجنيد علي عمر ، الدار السودانية للكتب ، ص27

5.ميمونة مرغني حمزة British Land Policy in the Sudan 199-1939 ,Phd , Khartoum, University, 1982 , p59-102

l Warburg, Gabrial, Administration in The Anglo -Egyptian Sudan 1900-6 1916 ,PHD ,University of London ,1968 , p .58,

7. ميمونة مرغني حمزة 143 Phd, opcit

8. Warburg , op.cit ,p 61

*ظهرت حركات مقاومة عسكرية وقبلية ودينية منذ 1900

9. محمد عمر بشير ، المرجع السابق ص 54

10. منصور خالد ، شذرات وهوامش علي سيرة ذاتية الجزء الثاني ، مسطورات ، ص 153،

11. محمد عمر بشير ص 29

12 فيزديني ، الينا ، نحو هويةوطنية جامعة : جمعية اللواء الابيض ونهضة القومية في السودان 1919-1924، ص76، مجلة اداب، ع 23 ، 2005 ، المنظومة

*. ضمت القائمة الشيخ علي الطيب احمد هاشم رئيس لجنة العلماء ، اسماعيل الازهري قاضي دار فور ومن زعماء القبائل علي التوم (الكبابيش) ابراهيم موسي (الهدندوة) عبد الكريم ابو سن (الشكرية) ابراهيم محمد فرح (الجعليين)

13 . فيزديني ، المرجع السابق ص 94

14. نفسه ص 100

15.نفسه ص 107

16. من المصادر المهمة : "حسن عابدين Index for primary and secondary sources on the 1924 revolution ومن المصادر المهمة للروايات الشفوية لثوار 1924 ، مركز الدراسات الافريقية والاسيوية ، جامعة الخرطوم .

17 . محمد عمر بشير ، المرجع السابق ص 145

18. ميمونة مرغني حمزة، معالم من التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر، ج2، جامعة النيلين، الخرطوم 1999، ص 78

*اصبح هدلستون حاكما عاما في 1940

19.خطاب من هدلستون الي لامبسون سفير بريطانيا في مصر رقم 93 ، 11 يونيو 1940 ، الوثائق البريطانية ، مركز عبد الكريم مرغني الثقافي ، امدرمان ، 2002 ، المجلد الاول

20.هدلستون الي لامبسون 12 مايو 1942 ، المصدر نفسه

21. لامبسون الي هاليفاكس ، 9 يانار ، 1940 ، نفسه المصدر

22. لامبسون الي وزير الخارجية انتوني ايدن ، 22 مايو 1942 ، نفسه

23. من ابراهيم احمد الي السير هدلستون 3 ابريل ، 1942نفسه

24. هدلستون الي لامبسون ، 13 مايو 1942 نفسه

* دافع روبرتسون (كان حل مكان نيوبولد بعد وفاته) عن تصرف الحاكم العام بسبب ضغوط الحرب في كتابه Transition in Africa

25. من السكرتير الاداري الي ابراهيم احمد "رد" 29 ابريل رقم 3 ومرفق 536 الي ايدن الوثائق البريطانية المصدر السابق

26 . مقتطفات من منشور نيوبولد ، نفسه

* دستور المؤتمر يحظر اجراء اي مفاوضات فردية

27 . خطاب ابراهيم احمد الي نيوبولد 23 يوليو 1942 ، الوثائق البريطانية

28 . هدلستون الي لامبسون 18 نوفمبر 1942 اقترح ا قامة مجالس مديريات تعبيرا عن شراكة بريطانية سودانية

29 . لامبسون الي ايدن 10 ابريل 1943 ، الوثائق البريطانية

30 . كيلرن سفير بريطانيا في مصر الي الي ايدن 12 يناير 1945

British Documents on the end of Empire, Sudan 2 Parts edited by D Nicolson , part 2

* بدأ ظهور الاحزاب مع بداية الاربعينات

31.احمد خير ، كفاح جيل حركة الخريجين وتطورها في السودان ، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر ، 1972 ، ص 83

32 . هدلستون الي كيلرن ، 12 ابريل 1945

British Documents opcit

33 .ibid

34Ibid

كان هنا ك اقتراح باستخدام مياه النيل للضغط علي مصر ولكن استبعدت بسبب ان الموضوع يحتاج لوقت وامكانيا ت لتعديل مجري النيل وتفضل عقوبات عسكرية وبحرية

35. مذكرة هدلستون الي كليرن ترسل الي وزارة الخارجية 13 سبتمبر 1945 بعنوان مستقبل السودان ، الوثائق البريطانية

36 ، نفسه

37 رسالة من ا. ر. بيلي "سري للغاية" بعنوان عبد الرحمن المهدي 23 مايو 1949 الوثائق البريطانية ، المجلد الرابع

38 . تقرير شابمان اندروس عن زيارة الخرطوم ، نفسه

39. رسالة كامبل الي بيفن 30 نوفمبر 1948، الوثائق البريطانية، المصدر السابق المجلد الخامس

40 .ورقة مجلس الوزراء من من سيرجنت الي بيفن 2 سبتمبر 1948 نفس المصدر

41 . نفسه

ارسل كل من حزب الامة والاتحادي وفودا الي نيويورك

حل " روبرت هاو " حاكما عاما " مكان هدلستون في 1947

42. شابمان اندروس ، برقية سرية من القاهرة الي وزارة الخارجية 6 يناير 1948

الوثائق البريطانية ، المصدر السابق ، المجلد الرابع

43. نفسه

44. تقرير الحاكم العام نفسه

45. رسالة السكرتير الاداري نفسه

46. رسالة الحاكم العام ديسمبر 1948 نفسه

47. اتفاقية بين حكومة الملكة المتحدة ومصر بشأن الحكم الذاتي في السودان

جاءت الاتفاقية في 15 بند والحق بها قانون الحكم الذاتي

48 . رسالة سرية من انتوني ايدن الي الحاكم العام British Documents,1953, op.cit

49 . برقية " رتشيز" 16 اكتوبر سري للغاية ، ibid

50. ibid

51 . برقية مشفرة من مستشار الحاكم العام كيركباتريك الي وزارة الخارجية ibid. 1953

52. ايمن كمال امين السيد ، المرجع السابق ، ص67

53. كيركباتريك ، British D0cuments op cit

54. لقاء السيد عبد الرحمن مع ايدنibid

* ادانة المحكمة اعضاء في حزب الامة

55. ايمن كمال امين السيد ، المرجع السابق

56. Holt, p. Modern History of the Sudan , Nicolson London ,p176

57. موقع النيلين وثائق امريكية عن السودان الراكوبة نت

58. وثائق امريكية عن السودان – فترة عبود، نفسه

59.* احتل السودان المرتبة الاولي في افريقيا في الانقلابات والمرتبة الثانية عالميا بعد بوليفيا التي شهدت 23 انقلابا منذ 1950

60 . عزالدين عمر موسي ، محاضرة " الجذور التاريخية للازمة السودانية" نيو جرسي 2024

انظر منصور خالد ، السودان والنفق المظلم قصة الفساد والاستبداد، مالطا ، 1985

ومنصور خالد ، شذرات من هوامش علي سيرة ذاتية ج 3 ، 2018

*عبد الرحيم عمر محي الدين ، صراع الهوية والهوي فتنة الاسلاميين في السلطة من مذكرة العشرة الي التفاهم مع قرنق، ط4، 2009، دار كاهل للدراسات والنشر.

مستقبل السودان: صراع بريطاني مصري 1946-1951

د علي محمد الصافي(*)

Abstract

The aim of this paper is to throw light on one of the complicated proplems in the modern history of the Sudan as it deals with last phase of the Condominium regime and each party was trying to secure its interests. The role of the National Movement was determintal as it tried to make use of the contradicting stands of the parties. The paper revealed steps followed by the political parties despite their differences and positive results were achieved.

By the end of the Second World War 1945 the Middle East witnessed a new era as a conflict was in progress between the great powers to dominate the area whth Egypt having a central role and this can only be achieved with the agreement with the Egyptian government. And this can only be done by settling the Sudan Question in a way satisfactory to Egypt. At the same time Egypt realized that there is a chance to restore her lost rights by calling Britain to revise the Treaty of 1936 after expiry of ten years as one of its terms specified. Britain agreed reluctantly and the round was a failure in 1946 . Another round was held in the premises of the Security Counci when Egypt called for British withdrawal from the Nile Valley in1947 but with British allies in the Council Egypt achieved nothing . A third round was "khashaba – Campel ' which was a failure . A fourth round was held on the coming of the second ministry of Mustafa al- Nahas in1950-1951 which was determental to Egypt as al-Nahas declaed the abolution of the Covenant of 1899 and the Treaty of 1936 unilaterally within the parliament .

Keywords: Sidgie- Beven, Protocol Anglo- Egyptian Negociations, Abolition of 1936 treaty, Sudan question in Security Council

1 . قضية السودان في مفاوضات صدقي-بيفن 1946م

إن وقوع السودان تحت قبضة دولتين بنظامين مختلفين واهداف تباينة جعله في حالة عدم يقين بسبب محاولة كل طرف استمالته لصفها وظهر هذا في تعقيدات العلاقات بين الددولتين ، ومن القضايا التي اقحم فيها السودان ما عرف ب" مفاوضات صدقي – بيفن ".

بعد إلحاح من الجانب المصري وتردد من الجانب البريطاني، تم الإتفاق بين الطرفين على مراجعة معاهدة1936 وذلك بعد أن مضت عشر سنوات على توقيعها؛ ترأس الوفد المصري رئيس الحكومة إسماعيل صدقي فيما ترأس وفد بريطانيا وزير خارجيتها .Beven E"بيفن" وكانت قضية السودان أحد أهم القضايا التي يأمل طرفا المعاهدة الوصول لتوافق بشأنها، فقد شكلت هذه القضية على الدوام مصدر خلاف بين مصر وبريطانيا، إذ تعذرت التسوية النهائية بشأنها حتى في المعاهدة المراد

(*) استاذ التاريخ الحديث المساعد، جامعة النيلين، الخرطوم.

مراجعتها، فبريطانيا الساعية لتأمين مصالحها في مصر كانت حريصة على تسخير قضية السودان كمصدر ضغط على مصر من أجل الحصول على تسهيلات اكبر بخصوص قواتها في قاعدتها العسكرية بقناة السويس، أما مصر فقد تمسكت بالسودان باعتباره جزءاً أصيلاً منها1.

أما في جانب السودانيين، فقد كانوا يدركون أن آمالهم وتطلعاتهم نحو مستقبل بلادهم مرهونا بموقف دولتي الحكم الثنائي من مستقبل السودان، لذا تقدم مؤتمر الخريجين في نهاية أغسطس ١٩٤٥م بمذكرة عبر الحاكم العام في السودان موجهة لدولتي الحكم فيه، كان مطلبها الأساسي إقامة حكومة ديمقراطية حرة في حدود السودان المعروفة آنذاك، تحت ظل التاج المصري، كما طالبت المذكرة بإطلاق الحريات العامة، والاهتمام بالتعليم والصناعة وتدريب السودانيين ليحلوا محل الموظفين الأجانب في السودان2.

رفض الحاكم العام الموافقة على إستلام المذكرة بحجة أن المؤتمر لا يمثل كل السودانيين، فضلاً عن أن المذكرة لم تجد الإجماع الكامل من عضوية المؤتمر، وترتب على هذا الرفض تطور خطير كان له الأثر السيء ليست على وحدة المؤتمر فحسب، بل على وحدة المطلب الأساسي المتمثل في قضية استقلال السودان، وبموجب ذلك بدأ الخلاف بين أعضاء المؤتمر حول الوسيلة المثلى التي ينبغي إتباعها لتحقيق الاستقلال، وإنقسم هؤلاء الأعضاء إلى مجموعتين؛ الأولى منهما تبنت إستقلال السودان في إطار الوحدة مع مصر، فيما فضلت المجموعة الثانية أن يتحقق استقلال السودان التام بدون الإرتباط بمصر أو بريطانيا إلا بالعلاقة الحسنة3.

أن اختلاف المواقف والرؤى بين السودانيين يمثل عامل ضعف ومهدد لقدرتهم في الوصول بقضية استقلالهم الى غايتها؛ في ظل الإصرار المصري بالتمسك بالسودان كجزء لا يتجزأ عن مصر، ومحاولات بريطانيا المستمرة لتسخير قضية السودان لخدمة أهدافها التفاوضية مع مصر، وبالتالي تخوف السودانيين من ضياع قضيتهم، في ظل هذا الاختلاف، فكانت الدعوة الى وحدة الجهود بين جميع العناصر الوطنية السودانية، من أجل تحقيق الاستقلال هذه المره عبر المشاركة في المفاوضات التي يجري الإعداد لها في مصر وبريطانيا بشأن مراجعة معاهدة ١٩٣٦م، ولا شك أن السودانيين كانوا يمنون أنفسهم بالمشاركة في التفاوض على إعتبار أنهم طرف أصيل في شأن مستقبلهم السياسي.

في خطوة نحو توحيد المواقف والرؤى إستبقت القوى الوطنية السودانية عملية التفاوض المزمعه بين بريطانيا ومصر بالتوافق على ميثاق بشأن مستقبل السودان السياسي، يلزم دولتي الحكم الثنائي

1- letter From Stansgate to Beven,27 Aug1946,Douglas H. Johnson, **British Document On the End Of Empire(Sudan) Part 1, 1942-1950.(London), 1998, p162.**

2 23Aug1945, Ibid, p p80-82.- Letter From Azahari to (Attlee)and (Sidgi)

3- هيئة الأعمال الفكرية، **ماسي الانجليز في السودان**، وثيقة قدمها وفد السودان في مصر1946، الخرطوم، د/ت، ص163

بإصدار تصريح مشترك يضمن للسودانيين إقامة حكومة سودانية حرة، تكون في إتحاد مع مصر وتحالف مع بريطانيا، ومطالبة الدولتين أيضاً بتسهيل الخطوات العملية نحو سودنة الإدارة في البلاد وإطلاق الحريات الصحفية وحرية الإجتماعات والتنقل والتجارة1.

بعد الإتفاق على الميثاق المذكور تقرر تشكيل وفد سوداني موحد يمثل فيه كل حزب بعضو واحد؛ من أجل السفر الى القاهرة وعرض موقف السودانيين حول مستقبلهم السياسي لوفدي التفاوض، وقد تكامل وصول أعضاء هذا الوفد الى القاهرة في يوم 3ابريل1946م2.

فور وصول الوفد السوداني الى القاهرة دخل أعضاؤه في لقاءات مع قادة الأحزاب والهيئات المصرية، ومن خلال الندوات والإحتفالات التي أقيمت على شرف هذا الوفد شرح أعضاؤه مهمتهم التي توافقوا عليها والتي رفعوا بشأنها المذكرة من قبل للدولتين؛ كما تقدم أعضاء الوفد بخطاب لرئيس الحكومة المصرية "صدقي" أعلنوا فيه عدم إعترافهم بالمجلس الإستشاري لشمال السودان الذي تأسس انذاك بامر الحاكم العام، غير أن صدقي لم يلتزم للإعضاء بأي حقوق سياسية للسودانيين3.

في ذات الإتجاه تعرض الوفد السوداني في القاهرة لضغوط هائلة من قبل الجهات الرسمية والشعبية في مصر من أجل التأثير على أعضائه لكي يتبنوا حل القضية السودانية في إطار الوحدة مع مصر، الأمر الذي أدى إلى قيام حملة إستنكار واسعة في بعض الصحف السودانية لهذه الضغوط على إعتبار أن القضية في المقام الأول تهم السودانيين وحدهم دون سواهم4.

نجحت الضغوط المصرية في التأثير على بعض أعضاء الوفد خاصة(اسماعيل الازهري)، وظهر ذلك من خلال البيان الذي أصدره الأخير في ١١ابريل ١٩٤٦م، وقد وضح من خلال هذا البيان أن الوفد بدأ يميل الى إرضاء الجانب المصري، فقد إحتوى البيان على تأكيد وجوب الجلاء البريطاني من وادي النيل(مصر والسودان) جلاءاً عسكرياً واقتصادياً وسياسياً، ومن ثم فإن مسألة علاقة السودان بمصر تعتبر شأناً داخلياً يخص السودانيين والمصريين، وبخصوص الرغبة في الإشتراك في عملية التفاوض أكد البيان أن الوفد يتبنى ذات الهدف الذي يتبناه المصريون، وهو الجلاء البريطاني من وادي النيل؛ وكانت تلك إشارة واضحة بعدم تمسك الوفد بعملية المشاركة في المفاوضات، كما يؤكد سيطرة ونفوذ العناصر ذات التوجه الوحدوي مع مصر، وقد استنكر حزب الأمة ما جاء في هذا

1-المعتصم أحمد الحاج، **تغطية الصحف المصرية لاعمال مؤتمر الخريجين**،(الاهرام نموذجاً)مركز محمد عمر بشير، امدرمان الأهلية، 2009 ص ص 36-37

2- ترأس الوفد اسماعيل الازهري، وكان وصول الاعضاء على فوجين، الاول: يضم الأزهري ومبارك زروق ومحمد نورالدين، اما الفوج الثاني فقد ضم نقدالله ويوسف التني ومحمد احمد عمر ويحي الفضلي وعبدالله ميرغني ومحي الدين البرير واحمد خير واحمد اسماعيل. **صحيفة الراي العام،24مارس1946م**، دار الوثائق القومية، الخرطوم.

3- المعتصم احمد الحاج، مصدر سابق، ص ص23-24

4- خطاب وفد لرئيس الحكومة المصرية "صدقي" بتاريخ 7ابريل 1946،دار الوثائق القومية، الخرطوم، **ملف المستودعات (أ)** ص11وما بعدها

البيان؛ واعتبره مخالفه صريحة لأهداف الوفد التي سافر من أجلها الى مصر، وبالتالي إنسحب بعض أعضاء الوفد وعادوا إلى السودان كتعبير عن رفضهم لهذا البيان؛ وإستنكر(الازهري) عملية الإنسحاب وعدها مؤامرة مدبرة من حكومة السودان بقصد إضعاف الوحدة بين السودان ومصر1.

من جانبها عبرت حكومة السودان عن رفضها الإعتراف بالوفد ممثلاً للشعب السوداني، وإعتبرته ممثلاً فقط لجزء محدود من شريحة الطبقة المثقفة، وأشارت الحكومة إلى أن بإمكانها تشكيل وفد من كل الفئات في السودان، وقد بذلت حكومة السودان جهودها في كل من القاهرة ولندن من أجل عدم إعطاء الشرعية للوفد السوداني والإعتراف بهذا الوفد ممثلاً للسودانيين في عملية التفاوض الخاصة بمراجعة معاهدة 1936م، ولتدعيم حجته بعدم تمثيل أعضاء لجميع السودانيين أرسل الحاكم العام(هدلستون) الى السفارة البريطانية في القاهرة؛ رسالة أوضح فيها أن الوفد يغيب عنه ممثلين للإدارة الأهلية في السودان التي تمثل 90% من عامة الشعب السوداني، كما لا يوجد أيضاً ممثل لجنوب السودان في هذا الوفد2.

كانت حكومة السودان حريصة على فصل قضية السودان عن القضية المصرية، وإتخذت في سبيل ذلك تدابير عملية، وذلك بالبدء في إعداد السودانيين لإدارة شئون بلادهم، وتأهيلهم للحكم الذاتي والتأكيد على أن القرار النهائي بشأن مستقبل بلادهم رهين بإستشارهم3.أما الحكومة البريطانية ومن خلال سفارتها في القاهرة وبيانات وزارة خارجيتها فقد رفضت هي الأخرى الإعتراف بتمثيل الوفد لعموم السودان، لكنها في ذات الوقت أرادت عدم إثارة العناصر الإستقلالية في هذا الوفد، والعمل على احتوائها والإستفادة من عامل الزمن؛ فقد علق وزير خارجيتها (بيفن)في مجلس العموم على مهمة هذا الوفد بالقول: أن حكومته تنتظر اليوم الذي يصبح فيه السودانيين قادرين نهائياً ليقرروا في مصير بلادهم؛ وأن ليس لبريطانيا نية في التأثير على قرارهم النهائي؛ وفي ذات الإتجاه طلبت السفارة البريطانية من أعضاء الوفد ضرورة التنسيق مع حكومة السودان؛ وأكد المستشار الشرقي للسفارة Smart(سمارات) للأعضاء إستحالة اشراكهم عملياً في عملية التفاوض؛ ولكي تتفادى التأثير المصري على أعضاء الوفد وبالتالي عامة السودانيين إقترحت السفارة أن يتم الإستعانة ببعضهم في الوظائف الإدارية العليا في السودان، مثل مجالس المديريات وغيرها من الوظائف4.

1-المعتصم احمد الحاج، **مصدرسابق**، ص42

2**صحيفة الايام 16يوليو 1957م مجلد(125)** مذكرات أزهري، دار الوثائق؛ الخرطوم

3- أكد الحاكم العام للسودان،(هدلستون)للسفارة البريطانية في القاهرة أن الادارة وأتباعها يمثلون نسبة90% من مجموع الشعب السوداني ولا يوجد في الوفد من يمثلهم، فضلاً عن غياب ممثلين للجنوب، الرأي العام، عدد24مارس 1946م، دار الوثائق القومية، الخرطوم.

4-جمال علي الشريف، **الصراع السياسي على السودان 1841-2008**، مطبعة العملة السودانية، الخرطوم، 2004،ص 577

من خلال ما سبق بيانه من مواقف مصر وبريطانيا يتضح إتفاق الدولتين ضد تمثيل الوفد وعدم الإعتراف به كممثل للشعب السوداني، وكانت لكل طرف مخاوفه الخاصة؛ فبريطانيا كانت تخشى من الظهور اللافت للعناصر الوحدوية في هذا الوفد، بما في ذلك رئيسه الازهري، بجانب خشيتها من أن إعترافها بهذا الوفد ممثلاً للقضية السودانية يمكن أن يؤثر على سياستها حول تسخير قضية السودان في مفاوضاتها مع مصر، رغم التصريح السابق ل(بيفن)بعدم التأثير على قرار السودانيين حول مستقبلهم السياسي1.

أما الجانب المصري ورغم وجود عناصر وحدوية في مقدمتها رئيس الوفد إلا أن وجود العناصر ذات التوجه الإستقلالي في الوفد تسبب في خشية المصريين من أن يكون لهذه العناصر الإستقلالية أثر واضح على القرار النهائي بشأن المستقبل السياسي للسودان، في حال الإعتراف بهذا الوفد ممثلاً للسودانيين في هذا الشأن، فضلاً عن أن الإعتراف بالوفد يعني الإعتراف بقضية منفصلة للسودان عن القضية المصرية2.

بدأ مسار التفاوض حول السودان بين الوفدين المصري البريطاني بوجهات نظر مختلفة ومتعارضة أحياناً، فالرؤية التي تمسك بها الجانب المصري تصر على أن أي أساس للإتفاق حول قضية السودان لابد أن يتم وفق وحدة وادي النيل تحت التاج المصري، بينما أصر الجانب البريطاني على التمسك بمبدأ مشورة السودانيين بخصوص أي تسوية تتعلق بمستقبلهم السياسي، واتضح منذ بداية عملية التفاوض أن موضوع السودان سيكون العقبة الرئيسية في هذه العملية3.

وبخلاف الادعاء المصري بالسيادة على السودان؛ والإصرار البريطاني على عدم الإعتراف بذلك، فإن هناك عقبات أخرى كانت تنتظر وفدي التفاوض حول السودان؛ فالوفد السوداني المتواجد في القاهرة، والرأي العام في السودان، ومندوب الحكومة السودانية هناك المتابع لعملية التفاوض سيشكلون عامل ضغط إضافي على المتفاوضين، مما يجعل من العسير على كل طرف من طرفي التفاوض التنازل عن رؤيته؛ وبالتالي ستكون عملية التفاوض بأكملها مرهونه بموقف هؤلاء.

كانت الحكومة السودانية قد أوفدت السكرتير الاداري Robertson .J "جيمس روبرتسون" الذي أجرى لقاءت مع بعض الوزراء المصريين، وأعضاء من السفارة البريطانية في القاهرة، وكان لتواجده في القاهرة أثر كبير على وحدة وفد السودان هناك؛ حتى أن رئيس الوفد " الازهري" قد حمله مسئولية إنسلاخ مندوب حزب الأمة عن الوفد والعودة الى السودان4.

بادرت الحكومة البريطانية بإعلان موقفها من التفاوض حول قضية السودان بالتأكيد أن الوضع الأداري فيه سيظل على ما هو عليه، وأن مستقبله مرهون باستشاره أهله الذين ستتولى بريطانيا

Dglas Johnson, **op. cit**, p137-1

2-المعتصم احمد الحاج، **مصدرسابق**، ص27

3- الهيئة القومية للكتب والوثائق ، **مصدرسابق**، ص 97

4- **صحيفة الايام**، عدد 16يوليو ،1957مذكرات أزهري، دار الوثائق القومية ، الخرطوم،

إعدادهم وتأهيلهم من أجل تحقيق غايتهم ومطالبهم السياسية بالوسائل الدستورية، ويتضح من هذه الرؤية أنها كانت بحاجة إلى قاعدتين ليتم تنفيذهما على أرض الواقع أولاهما؛ ضرورة توفر إدارة ثابتة للبلاد يمكنها تشكيل أنظمة أساسية للحكم الذاتي في السودان تمهيداً للإستقلال التام، أما القاعدة الثانية فقد كانت تتطلب توظيف عدد مقدر من السودانيين في الإدارة العليا في السودان لتهيئتم لإدارة بلادهم1.

لم تجد تجد الرؤية البريطانية التي صرح بها (بيفن) حول مسألة السودان التأييد من بعض القوى الوطنية في السودان، بحجة أن التقدير النهائي الذي تضمنته هذه الرؤية حول أهلية السودانيين لادارة شؤونهم لا يتقرر بأيديهم وإنما بأيدي البريطانيين الذين لم تظهر منهم أي بادرة جدية نحو تمكين السودانيين من إدارة شؤون بلادهم؛ رغم مرورنصف قرن من الزمن على وجودهم في السودان2.

وفي موقف مشابه لموقف الحكومة البريطانية؛ أكد الحاكم العام للسودان آنذاك Huddelston (هدلستون) لأعضاء المجلس الاستشاري لشمال السودان أن لديه الثقة التامة بأن السودانيين سيتولون مسؤولية بلادهم خلال العشرين عاماً القادمة، وأن حكومته ستعمل بكل جد وإجتهاد للوصول بهم الى هذه الغاية، وكانت تلك أول مرة تحدد فيها حكومة السودان مدىً زمنياً يخص مستقبل السودان السياسي؛ وقد إحتج وفد السودان في القاهرة على حديث هدلستون السابق، وقدم برقيات إحتجاج لسفراء كل من فرنسا وبريطانيا وروسيا وأمريكا والصين، ندد فيها بهذا التصريح الذي يشير إلى عدم إمكانية نيل السودان لإستقلاله خلال فترة نهاية التفاوض الجارية بين مصر وبريطانيا، حول موضوع الجلاء البريطاني عن مصر والسودان3.

أما الحكومة المصرية فقد تمسك وفدها بمبدأ السيادة على السودان، وأكدت في ذات الوقت أن موضوع هذه السيادة غير قابل للتفاوض، وأنها حريصة على مصالح السودانيين ورفاهيتهم، ورفضت في ذات الوقت أن تعترف بالسودان كوحدة سياسية وفق ما هو عليه الحال آنذاك، ولم يكتف الجانب البريطاني برفض هذه الرؤية المصرية بل لجأ إلى تسريبها إلى خارج طاولة التفاوض من أجل إظهار مصر كدولة ذات مطامع استعمارية في السودان، من خلال تمسكها بمبدأ إثبات السيادة عليه4.

1-المعتصم احمد الحاج، **مصدرسابق**، ص27

2-**نفس المصدر** ص31

3-Doglas, **Op. cit**, p141-142

4-الهيئة القومية للكتب والوثائق، **مصدرسابق**،ص93

ونتيجة للضغوط الهائلة من حكومة السودان ومجلس العموم البريطاني شددت الحكومة البريطانية في التوصية لمفاوضيها في القاهرة، بعدم تقديم تنازلات لمصر حول قضية السودان، وعدم الإعتراف كذلك بالسيادة المصرية عليه1.

زاد من تعقيد مسألة التفاوض حول مسألة السودان التسريبات التي جاءت بالصحف المصرية حول مؤتمر إدارة السودان، والإقتراح الخاص بتوسيع مشاركة السودانيين في شؤون الإدارة في بلادهم، عبر ما عرف لاحقاً بالمجلس التنفيذي والجمعية التشريعية التي صارت البديلة للمجلس الاستشاري لشمال السودان، إذ أصر الجانب المصري على المشاركة الفعلية في إدارة السودان، كما إحتج وفد السودان في القاهرة على ما جاء في هذه التسريبات، وطالب الوفد بإبعاد حاكم عام السودان بحجة أنه خالف النظم واللوائح التي تحددت له بموجب معاهدتي 1899و1936.2

في بداية مايو ١٩٤٦م كان وفد السودان المتابع لسير التفاوض في مصر قد قرر إبعاد ممثل حزب الأمة في الوفد نتيجة لمواقف الحزب وبيانه الذي أكد فيه إنحراف الوفد عن مهامه نتيجة لما سبق ذكره من قبل حول تعرض الوفد لضغوط مصرية، وفي نهاية يونيو من ذات العام ناشد الوفد السوداني الحكومة المصرية بعدم مواصلة التفاوض مع بريطانيا، وإلغاء المعاهدة التي يجري التفاوض حول تعديلها، ورفع القضية لمجلس الأمن بحجة أن بريطانيا غير جادة في عملية التفاوض، غير أن المناشدة لم تجد الإستجابة من الحكومة المصرية، وبالتالي تواصلت العملية التفاوضية بين مصر وبريطانيا؛ ففي٢٠سبتمبر١٩٤٦م تقدمت بريطانيا بمشروع يخص قضية السودان يتضمن إعترافها بوحدة وادي النيل تحت تاج مصر مع التأكيد على ضرورة إعداد السودانيين والتشاور معهم من أجل إقامة نظام يؤهلهم لأن يتولوا بأنفسهم إدارة شؤونهم، وذلك من خلال إيفاد بعثة مشتركه بين مصر وبريطانيا تكون مهمتها التحقق من إستيفاء السودانيين لذلك3.

رفض الجانب المصري المشروع البريطاني السابق بحجة أنه لا يتضمن إعتراف بريطانيا بسيادة مصر على السودان، ولا يجعل الوحدة أساس لهذا النظام المقترح، فضلاً عن أن هذا المشروع بما هو عليه يمهد لإنفصال السودان عن مصر، بحكم أن الحاكم العام في السودان سوف يعمل على إعداد السودانيين للحكم طبقا لتوجهات حكومته في لندن4.

1- Doglas op. cit, pp153-157

2 -المعتصم احمد الحاج ، **مصدرسابق** ص ص60-61

3- الهيئة العامة للكتب والوثائق ، **مصدرسابق** ، ص ص74-76

4- **نفس المصدر** ، ص ص94-96

جدير بالتذكير أن طرفي التفاوض سبق وأن توصلا لصيغة مقبولة من الطرفين، حول النصوص العسكرية في معاهدة ١٩٣٦م، وقد كان هذا شرطاً لازماً، أصرت بريطانيا عليه قبل حسم مسألة الخلاف بشأن قضية السودان1.

أسهم التفاهم الذي تم حول النصوص العسكرية في تشجيع طرفي التفاوض لمواصلة التفاوض في قضية السودان، فقد بدأ الجانب المصري بقيادة (صدقي) يميل إلى عدم التشدد في موقفه بشأن السيادة على السودان، في موقف مخالف للتوجه التقليدي لمصر بشأن هذه القضية، فيما كان الجانب البريطاني بقيادة (بيفن) يأمل في أن تتم تسوية مسألة السودان من أجل إنجاح خطط بلاده ومصالحها في مصر خاصة والشرق الأوسط عموماً، والتى تفوق في الأهمية مسألة سيادة مصر على السودان2.

وتبعاً لذلك إقترح (صدقي) على السفارة البريطانية في القاهرة إمكانية السفر إلى لندن والتفاوض المباشر مع وزير خارجيتها (بيفن)، وإيضاح وجهة النظر المصرية حول السودان، وعلى الفور وجد الترحيب من الجانب البريطاني الذي إستبق وصول (صدقي) بإعداد مقترح من الخارجية البريطانية إستشارت فيه حكومة السودان، تضمن هذا المقترح إعترافاً بريطانياً بما سُمي بحقوق مصر في السودان، إلا أن حكومة السودان إعترضت على هذا المقترح بحجة أن السودانيين يعارضون مبدأ السيادة المصرية عليهم، فضلاً عن أن ذلك يحصر مهام هذه الحكومة في الإشراف الإداري فقط في السودان ولم تكترث الحكومة البريطانية للإعتراضات التي أبدتها حكومة السودان حول إقتراحها، ودخل الوفدان المصري والبريطاني بتاريخ 18اكتوبر1946م في عملية تفاوض وفق المقترح البريطاني السابق3.

أثناء عملية النقاش حول قضية السودان كان الجانب المصري يميل إلى الإستشهاد بالروابط التي تجمع بين شعبي وادي النيل في مصر والسودان، والوحدة بينهما التي يسندها التاريخ، والمصالح التي تجمع شعبي الوادي، وترى مصر أن تظل الادارة القائمة في السودان إلى حين التوصل إلى تسوية نهائية لقضية السودان، أما الجانب البريطاني فقد كان يحرص على تضمين الإتفاق المزمع إعترافاً مصرياً بحق السودانيين الكامل في رفض أو قبول هذه الوحدة، وحاول بيفن التأكيد على ذلك بالإستناد للمواثيق الدولية التي تعطي الشعوب المستعمرة الحق في تقرير مصيرها؛ وفي ذات الإتجاه أصر(بيفن)على أن تعترف مصر بأن النظام الإداري الماثل في السودان لن يتغير بل يتم تدعيمه؛

1-جيمس روبرتسون؛ **السودان من الحكم المباشر الى فجر الاستقلال**، ترجمة مصطفى عابدين، دار الجيل، بيروت، ص 156

2-هدى جمال عبد الناصر ، **الرؤية البريطانية للحركة الوطنية المصرية، 1936-1952م**، دار المستقبل، القاهرة، 1987م، ص226.،

3-Doglas, **Op. cit**, p176 وقد خطأ روبرتسون موقف بلاده بشأن هذا المقترح، جيمس روبرتسون، **مصدر سابق**، ص 154.

وعدم ربط جلاء القوات البريطانية عن مصر بجلاء مماثل في السودان سواء كان ذلك في الحاضر أو المستقبل1.

انتهت عملية التفاوض بين (بيفن) و(صدقي) إلى اتفاق مبدئي حول قضية السودان، أقرا فيه إتباع سياسة في السودان يكون هدفها الأساسي رفاهية السودانيين وتنمية مصالحهم تحت التاج المصري، وأحقيتهم في الإستشارة بشأن مستقبل بلادهم السياسي في الوقت المناسب، وأن يقوم الحاكم العام للسودان بتقديم تقرير دوري لمصر وبريطانيا بشأن إعداد السودانيين للحكم الذاتي، وقد ضم هذا النص لبقية نصوص المعاهدة، بما عرف ببرتكول السودان2.

من خلال النظر لهذا البرتكول يتضح أن التمسك المصري بتضمين مبدأ السيادة المصرية على السودان قد تم تجاوزه بعد تثبيت النص الخاص بضرورة استشارة السودانيين حول الأحقية في تقرير مصيرهم وفق التقارير التي يعدها الحاكم العام للسودان، وبالتالي من الراجح أن يعمل الأخير للتأثير المباشر أو غير المباشر عليهم، بما يجعل قرارهم النهائي بشأن مستقبلهم السياسي متوافقاً مع الرؤية البريطانية القائمة على مقاومة فكرة وحدة وادي النيل.

موقف السودانيين والإدارة من البرتكول

على الرغم ان إقرار البرتكول لم يؤثر على سلطة الحاكم العام للسودان وصلاحيات إدارته إلا أن حكومة السودان أبدت ملاحظات عديده عليه، اعتبرتها معيقة لعملية تطبيقه على أرض الواقع، فقد أكدت أن هذا البرتكول مرفوض من غالبية الشعب السوداني، كما أكدت أن البرتكول رغم اعترافه بحق السودانيين في تقرير مصيرهم إلا أنه لم يشر صراحة لأحقيتهم في تقرير مصيرهم متى شاؤا؛ ولزيادة الضغوط على الحكومة البريطانية أعلنت حكومة السودان أن محاولة تطبيق البرتكول في البلاد قد يترتب عليه إنفلاتاً أمنياً وسفكاً للدماء، الأمر الذي يستوجب على الحكومة البريطانية توفير قوة إضافية على وجه السرعة، بما يمكن حكومة السودان المحافظة على حالة الهدوء والإستقرار في السودان3.

في اليوم التالي للتوقيع المبدئي على المعاهدة بما فيها برتكول السودان؛ عاد صدقي من لندن إلى القاهرة وأعلن لمستقبليه في المطار حصول مصرعلى السيادة التامة على السودان، مؤكداً في ذات الوقت أن الوحدة بين مصر والسودان قد تم إقرارها بصفة نهائية؛ وقد أحدث هذا الإعلان انقساماً واضحاً في مواقف القوى الوطنية السودانية وفق نظرة كل طرف للعلاقة مع مصر، فقد رحب به رئيس الوفد(الازهري) وأصحابه الداعمين للتوجه الوحدوي مع مصر واعتبروا ذلك خطوه مهمة تخدم قضية الوحدة بين مصر والسودان، لكنهم تحفظوا في ذات الوقت على النص الخاص بإستمرار

1-الهيئة العامة للكتب والوثائق، محاضر الإجتماعين الثاني والرابع بتاريخ 19و24 اكتوبر1946م، **مصدر سابق**، ص ص177-183.

2- **نفس المصدر**، محضر الاجتماع الخامس، ص ص114-115.

3- جيمس روبرتسون، **مصدر سابق**، ص ص152-156.

سلطة الحاكم العام في السودان وفق المعاهدتين في 1899م و١٩٣٦م، التي إعتبروها مهدده لوحدة وادي النيل1.

ومن جهة أخرى؛ وكما توقعت حكومة السودان فقد خرج أنصار التيار الإستقلالي في السودان في مظاهرات عنيفة ضد البرتكول، وقدم المتظاهرون مذكرة للحاكم العام للسودان نددوا فيها بتماطل حكومته في الإسراع بإقامة حكومة سودانية مستقلة، وللتعبير عن إحتجاجهم على البرتكول قرروا مقاطعة المجلس الإستشاري لشمال السودان، ورفضوا أن تصبح قضيتهم ثمناً لتسوية المصالح البريطانية في مصر؛ وأحدث البرتكول إضطرابا أمنياً في السودان خاصة العاصمة الخرطوم، فقد جرت صدامات دامية بين المؤيدين والمعارضين للبرتكول هناك، مما أضطر حكومة السودان إلى إعلان منع التجمعات والتظاهرات وإقامة المواكب في الخرطوم، من أجل إحتواء الموقف2.

وفي ذات السياق؛ ولطمأنة أنصار الإستقلال أعلن الحاكم العام للسودان أثناء عودته من لندن أن شيئاً لم يتغير بخصوص الوضع في السودان إلا بموافقة أهله، ودعا المحتجين إلى ضبط النفس، بينما تواصلت حملات التصعيد والإنتقادات الموجهة للبرتكول وحكومة السودان في الصحف الإستقلالية في السودان، وقد أحست الحكومة بخطورة هذه الحملات مما إستدعى إصدارها لقرار يوقف صدور صحيفة (الأمة) لمدة (15)يوماً بحجة قيامها بالتحريض مما يؤدي الى تهديد الأمن وإثارة الشغب ضد الحكومة السودانية3.

وبتشجيع من حكومة السودان ذهب زعيم التيار الاستقلالي السيد عبدالرحمن المهدي إلى لندن، من أجل الحصول على توضيحات من حكومتها بخصوص البرتكول، وفي طريق مروره بالقاهرة وجد المهدي تجاهلاً تاماً من حكومتها، بما يشير الى إستياء الحكومة المصرية من موقفه، أما في لندن فقد وجد إهتماماً ملحوظاً، وإلتقي فيها برئيس الوزارة Attley(أتلي) ووزير خارجيته(بيفن)، وقد حذرهما من أن مسألة التعاون القائمة بين بريطانيا والشعب السوداني قد تتحول إلى عداء اذا واصلت بريطانيا نهجها التفاوضي مع مصر دون مراعاة لحقوق السودانيين بخوص مستقبلهم السياسي؛ وقد حصل المهدي على تأكيدات من الحكومة البريطانية تعترف فيها بحق السودانيين في تقرير مصيرهم، كما أكدت له أن البرتكول لم يغير من الحالة القائمة في السودان، وأن الإعتراف بالمصالح المصرية فيه لا يعني حرمان أهله من تقرير مصيرهم في الوقت المناسب، بالتعاون مع الحاكم العام هناك4.

كما سافر الحاكم العام للسودان بنفسه إلى لندن أيضاً من أجل الحصول على ضمانات رسمية من حكومتها بعدم تغيير الوضع القائم في السودان دون مشورة أهله، وأكد للحكومة هناك أن موظفي إدارته بصدد تقديم إستقالتهم في حال عدم الحصول على توضيح مقنع من لندن لمسألة رمزية

1- **جريدة الأيام**،عدد 18 يوليو1957

2- **نفس المصدر**، عدد 19يوليو، وجمال الشريف، **مرجع سابق**، ص615.

3- المعتصم احمد الحاج، **مصدرسابق**، ص95.

4-Doglas, **Op. cit**, pp 227-232.

السيادة المصرية على السودان المقررة في البرتكول، وأصر الحاكم العام على ضرورة الحصول على تأكيد مكتوب من رئيس الحكومة (اتلي) يضمن للسودانيين أحقيتهم بتحديد مستقبلهم السياسي، بدون الوصاية عليهم من أحد1.

أحدثت التصريحات السابقة لصدقي عن السيادة على السودان ردود فعل واسعة في كل من لندن والخرطوم على نحو ما سبق ذكره، مما أدى الى قيام الحكومة البريطانية بمطالبة صدقي بتقديم تفسير مكتوب حول البرتكول يوضح حدود فاعلية التاج المصري المشترك لمصر والسودان في البرتكول؛ وأنه في حال تعذر ذلك فإن بريطانيا ترى أن إشتراك التاج لا يمنع السودانيين من الحصول على حق تقرير مصيرهم ونيل إستقلالهم التام في الوقت المناسب إذا أرادوا ذلك2.

كان صدقي قد تعرض لضغوض هائلة من الساسة والرأي العام في مصر بخصوص ما توصل إلليه من اتفاق مع بيفن في قضية السودان وموضوع الجلاء البريطاني عن مصر المحدد بثلاث سنوات، لذا تجاهلت حكومته الرد على الطلب البريطاني الخاص بوضع تفسير مكتوب بشأن برتكول السودان في المعاهدة، فأعلن(بيفن) في مجلس العموم البريطاني في ٦ديسمبر١٩٤٦م أن قضية السودان لم يتقرر فيها شيء بصفة نهائية، واعتبر أن كل ما جرى بينه وبين (صدقي)كان مجرد محادثات إستطلاعية، لا يترتب عليها أي إلتزام من جانب بريطانيا3.

إزداد تازم الموقف بين بريطانيا ومصر بشأن تفسير البرتكول نتيجة للبيان الذي أعلنه الحاكم العام في السودان(هدلستون) الذي أكد فيه أنه قد حصل على إفادة مكتوبة من رئيس الحكومة البريطانية(أتلي)تدعم رغبات ومطالب السودانيين في تقرير مصيرهم ؛ ورغم أن هذا البيان قد طمأن الى حد ما أنصار الاستقلال في السودان إلا أنها مع عوامل أخرى قد تسببت في قيام(صدقي) بتقديم إستقالته، وإنتهت العملية دون إقرار نهائي للبرتكول بين مصر وبريطانيا4.

كان البرتكول في الأساس محاولة من الدولتين الوصول بحل للمسألة المصرية دون أن تقف قضية السودان مانعاً في ذلك، وبما يسمح بإدعاء كل طرف من المتفاوضين بأن البرتكول موافقاً لرؤيته المتعلقة بالسودان، فالإعتراف(بالتاج المشترك) لمصر والسودان يرضي طموح المصريين؛ رغم أن المسألة مؤقتة ومشروطة بموافقة أهله في المستقبل، أما بريطانيا فإن البرتكول يضمن لها المحافظة على نفوذها في السودان عبر الحاكم العام ويفتح المجال أمامها في ذات الوقت للتفاهم مع مصر بشأن الجلاء.

وبفشل الجانبين المصري البريطاني في إكمال الإتفاق النهائي وتوقيع المعاهدة فإن قضية السودان شكلت مرةً أخرى عقبة أمام حصول مصر على إستقلالها التام، وظلت هذه القضية وسيلة إضافية

1-جيمس روبرتسون، **مصدرسابق**، ص 157.

2- الهيئة العامة للكتب والوثائق، **مصدرسابق**، ص ص115-117.

3- جميل الياس عفارم، **مشاكل السودان السياسية**، شركة الطبع اللبنانية، بيروت، 1958م، ص 77.

4- جيمس روبرتسون، **مصدرسابق**، ص 157

استغلتها بريطانيا للتهرب من الاعتراف لمصر بمطالبها في السودان ليست حرصاً على مصالح السودانيين وحريتهم بل من أجل التسويف والمماطلة إلى الإستجابة لمطالب مصر في قضية الجلاء عن وادي النيل، بعد أن تأكد لها تصميم مصر بعدم التنازل عن السودان وتحقيق وحدة وادي النيل.

2 قضية السودان في مجلس الأمن

بعد الفشل في إقرار برتكول صدقي-بيفن الذي إنتهى باستقالة الاول، تقدمت بريطانيا بمشروع جديد يخص السودان، تقوم من خلاله مصر وبريطانيا بالتشاور مع السودانيين من وقت لآخر، حول المستقبل السياسي للسودانيين وتأهيلهم للحكم الذاتي، وبما يضمن لهم ممارسة حق الإختيار تبعاً لمصالحهم السياسية ومبادئ ومواثيق هيئة الأمم المتحدة، وإلى حين تحقيق ذلك؛ تظل إدارة السودان قائمة وفق معاهدتي ١٨٩٩و١٩٣٦م1.

رفضت الحكومة المصرية الجديدة بقيادة(النقراشي)المشروع البريطاني المذكور، وبدلاً عن ذلك تقدمت بمشروع مختلف تجاهلت فيه ذكر حقوق السودانيين في حريتهم وتحديد مستقبلهم السياسي مما أدى إلى إعتراض الجانب البريطاني عليه، وأكدت بريطانيا أن المشروع المصري يحرم السودانيين من حقوقهم السياسية المنصوص عليها في المواثيق الدولية2.

من خلال النظر للمشروعين السابقين يتضح أن مجمل الخلاف بينهما كان حول تمسك بريطانيا بإستشارة السودانيين مع تمسك مصر بوحدة وادي النيل دون النظر لرغبة أهله، مما جعل الجانب البريطاني يبدو وكأنه المدافع عن حقوق السودانيين، بينما بدأت مصر كدولة ذات أطماع استعمارية في السودان لرفضها الإعتراف بحرية أهله في تقرير مصيرهم ومستقبلهم السياسي على النحو الذي يختارونه بإرادتهم .

كان رئيس الحكومة المصرية "النقراشي" قد أكد لمجلس النواب المصري في٢٠يناير ١٩٤٦م، أثناء تفاوضه مع بريطانيا حول مسألة السودان، أنه إذ تعذرعلى الدولتين الوصول الى نتائج مرضية للمطالب المصرية بالتفاوض؛ فإنه سوف يلجأ إلى طرق أخرى بديلة، وفي ٢٧من ذات الشهر، أكد للجلسة المشتركة لمجلسي النواب والشيوخ المصريين؛ أنه بذل كل جهده؛ دون أن يتمكن من الحصول على أهداف مصر؛ بشأن الجلاء البريطاني ووحدة وادي النيل، ونفى للنواب أن تكون لبلاده أطماع خاصة في السودان، بخلاف ما أسماه رفاهية أهله؛ والمحافظة على أمن وسلامة وادي النيل، الذي لا يتحقق إلا بالوحدة مع السودان3.

وكما هو معلوم فقد تم الاتفاق في هذه الجلسة على رفع القضية المصرية بما فيها مسألة السودان إلى مجلس الأمن، وتبعاً لذلك تقدمت مصر رسمياً بشكوى لمجلس الأمن في٨يوليو١٩٤٧م،طالبت فيها

1- تم تقديم المقترح من خلال مفاوضات النقراشي-كامبل، الهيئة العاة للكتب والوثائق، **مصدرسابق**، ص123.

2-نفس المصدر، ص124.

3- خطاب النقراشي للبرلمان المصري في 20و27يناير 1947م، وقرار مجلس الوزراء المصري في 25يناير 1947، **نفس المصدر**، ص127.

المجلس بإلزام بريطانيا الجلاء عن وادي النيل، وإنهاء نظام الإدارة الثنائية القائمة في السودان، إستناداً لميثاق الأمم المتحدة الخاص بوجود القوات الأجنبية المحتلة في أراضى الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة دون رضاءها1.

تم إستهلال جلسات المجلس حول الشكوى المصرية في يوم(٥)أغسطس١٩٤٧م، وتحدث النقراشي في هذه الجلسة عن القضية المصرية وقد بين من خلال حديثه أطماع بريطانيا في مصر، وفي مسألة السودان ذكر أن ما يجمع الشعب في البلدين تعززه الوحدة الاقتصادية والجغرافية واللغة والدين والثقافة والوحدة السياسية إستناداً للفرمانات التي أقرتها الإتفاقيات الدولية بخصوص حدود مصر منذ العام١٨٤٠م ؛ وتضمن خطاب (النقراشي)كذلك تقديم خلفية تاريخية للحكم في السودان منذ غزو محمد علي؛ مروراً بفترة الثورة المهدية، والغزو البريطاني المصري، والمعاهدة الثنائية في العام 1899م مع بريطانيا بشأن إدارته، وأنكر النقراشي مشاركة بريطانيا لمصر في السيادة على السودان، كما ندد بسياسة بريطانيا القائمة على إضعاف النفوذ المصري بتضييقها على مناصري الوحدة في السودان، والحد من تحركاتهم واضطهادهم، والتحريض المستمر ضد مصر بوصفها دولة مستعمرة للسودان2.

ولتدعيم حجته أكد النقراشي للمجلس أن بريطانيا مصممة على إضعاف نفوذ مصر في السودان وذلك من خلال سياسة الحد من هجرة المصريين إليه، وحرمان الخريجين السودانيين في الجامعات المصرية من العمل في الوظائف العليا في السودان، وندد بالمحاولات البريطانية هناك الخاصة بفصل جنوب السودان عن شماله عبر إتباع سياسة المناطق المقفولة، وإنشاء المجلس الاستشاري للشمال فقط، لذا طلب النقراشي من المجلس أن يقرر إنهاء الإدارة القائمة في السودان، وأن يكون البديل عنها وفق ما يقرره الشعب بإرادته في وادي النيل3.

جاء رد بريطانيا عبر مندوبها للمجلس(كادوجان)على الإتهامات المصرية لها في قضية السودان بالتشكيك أولاً في ما تدعيه مصر من وجود سند تاريخي يدعم وحدة وادي النيل على إعتبار أن جزءاً مقدراً من هذا الوادي يقع خارج نطاق مصر والسودان، وأنكر كادوجان أيضاً أنفراد دولته بإدارة السودان، وأكد أن رؤية بلاده لمسالة السودان تقوم على ترك الحرية لشعبه لإختيار ما سيكون عليه مستقبل بلاده السياسي، أما بالاشتراك مع مصر تحت تاج واحد أو الإستقلال التام بدون أي رباط قانوني مع مصر أو أي دولة أخرى4.وفي ذات الإتجاه أكد "كادوجان" أن دولته كانت حريصة على التوصل إلى إتفاق حول مسألة السودان عبر التفاوض إلا أن التفسير المصري للفقرة الواردة في برتكول السودان الوارد في معاهدة صدقي-بيفن، والتي تنص على حق السودانيين في تحديد

1- نص الشكوى التي قدمها النقراشي في مجلس الأمن، **نفس المصدر**، ص190.

2- جمهورية مصر،**مصدرسابق**، ص551.

3- الهيئة العامة للكتب والوثائق، **مصدرسابق**، ص ص191-210.

4- عبد العظيم رمضان، **أكذوبة الإستعمار المصري للسودان**، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ص122.

مستقبلهم السياسي قد أفشل المعاهدة نتيجة لتمسك مصر بشرط خضوع السودان للتاج المصري حتى في حال عدم إقرار الشعب السوداني لهذا الأمر1.

أثناء المداولات في المجلس حول مسألة السودان أكد مناديب كل من روسيا وبولندا واستراليا صعوبة إتخاذ قرار بشأن المسألة في ظل عدم معرفة رأي أهل السودان بخصوص تطلعاتهم السياسية والتي تسندها المواثيق والمعاهدات تقرها الأمم المتحدة2.

أوفدت حكومة السودان سكرتيرها القضائي لمتابعة سير القضية السودانية في مجلس الأمن، وتقديم المساعدة الممكنة للمندوب البريطاني هناك؛ بما يتوفر لديها من معلومات عن السودان وشعبه، وقد رفض الجانب االمصري الإعتراف بهذا الموفد أو بما جاء به، وكانت حكومة السودان قد أعدت كتيب عن البلاد سجلت فيه ما اعتبرته تطوراً للسودان خلال الفترة ١٨٩٩-١٩٤٧م، وتم توزيع هذا الكتيب في نطاق واسع في كل من السودان ومصر وبريطانيا ونيويورك، وذلك بالتزامن مع عرض القضية في المجلس3.

أما في جانب القوى السياسية السودانية المنقسمة على نفسها حول قضية إستقلال السودان، فقد حاولت التوصل إلى صيغة تجمع المطالبين بالإستقلال التام عن مصر وبريطانيا، والمؤيدين للوحدة مع مصر لعرضها على مجلس الأمن، وقد توافق الطرفان على نقاط إلتقاء تجمع بينهما حول قضيتهم تمثلت في ضرورة إنهاء الحكم الثنائي فوراً، وإقامة حكومة سودانية منتخبة عبر جمعية تأسيسية يشرف على إنتخابها مندوبون من الأمم المتحدة ومن خلال هذه الحكومة يتحدد مستقبل السودان السياسي بالطرق الدستورية، وإلى حين إجراء ذلك رأت هذه القوى أن تظل قضية السودان معروضة أمام المجلس وعدم السماح لمصر أو بريطانيا التحكم في مصيرها4.

عارض بعض أنصار الوحدة هذه الرؤية الموحدة التي تم التوافق حولها من معظم القوى السياسية في السودان واعتبروها خيانة لقضية وادي النيل الموحدة، ومخالفة أيضاً للتفويض الذي منحوه لوفد السودان في مصر، مما تسبب في إفشال الإجماع على القضية السودانية مرة أخرى، وأصبح كل تيار يتبنى القضية وفق رؤيته، فأنصار الإستقلال أرسلوا برقية إلى المجلس طالبوا فيها بإلغاء الحكم الثنائي وتحقيق الإستقلال التام للسودان عن مصر وبريطانيا، وعدم السماح للدولتين بتبني قضية

1- فيصل عبدالرحمن علي طه، **الحركة السياسية السودانية والصراع المصري-البريطاني 1936-1953م**، مركز عبدالكريم ميرغني، امدرمان، 2004م. ص 324.

2- جمال الشريف، **مرجع سابق**، ص 666.

3- جيمس روبرتسون، **مصدرسابق**، ص ص177-178.

4- موسى عبدالله حامد، **استقلال السودان بين الو اقعية والرومانسية**، منشورات الخرطوم عاصمة للثقافة العربية، 2005م، ص331.

السودان في مفاوضاتهما، أما أنصار الوحدة فقد تبنوا حل القضية وفق الرؤية المصرية المقدمة للمجلس1.

لم تكتف القوى السياسية السودانية بالبرقيات المرسلة الى المجلس والتي تحمل رؤى كل طرف؛ بل سافرت الى نيويورك عناصر تمثل كل من التيار الوحدوي والتيار الإستقلالي في السودان، وقد حاول كل تيار إثبات أحقيته بتمثيل القضية السودانية والدفاع عنها في مجلس الأمن، كما تدخلت الزعامات الدينية في السودان ممثلة في السيدين الميرغني والمهدي، فقد عبر الأخير عن سعادته بموقف بعض أعضاء مجلس الأمن الذين أيدوا حق السودانيين في تقرير مصيرهم، أما الميرغني فقد أعرب في برقيته للمجلس عن حرصه بالسماح للسودانيين بممارسة حقهم السياسي دون التأثير من القادة الدينيين في السودان، ولعله بذلك يعرض بموقف المهدي الذي أوفد إبنه(الصديق) إلى نيويورك، ضمن الوفد الذي يمثل تيار الاستقلاليين2.

كما هو معلوم فقد فشلت مصر في الحصول على تأييد المجتمع الدولي، بشأن قضيتها في مجلس الامن بخصوص الجلاء ووحدة وادي النيل، وظلت القضية (معلقة) بقرار من مجلس الأمن، لكن من المهم أن نذكر أن السودانيين قد كسبوا مساندة مهمة بشأن قضيتهم في المجلس؛ وذلك بخروج قضيتهم من نطاق التفاوض الثنائي بين بريطانيا ومصر بالوصول بها إلى ساحات الهيئات الدولية.

الدعم البريطاني للتوجهات الإستقلالية في السودان

1/مؤتمر إدارة السودان

كانت التجربة التي خاضتها حكومة السودان ضد الإدعاءات المصرية في السودان خلال مفاوضات (صدقي-بيفن) وخلال إستعراض القضية السودانية في مجلس الأمن قد شجعتها للمضي قدماً في تعزيز النفوذ البريطاني في السودان، والحد من النفوذ المصري هناك بإستخدام كل الوسائل بما ذلك محاولة إعداد وتأهيل السودانيين للحكم الذاتي، على أن المهم أن نذكر أن غاية الحكومة السودانية من تبنيها إعداد السودانيين لإدارة أنفسهم كانت أيضاً محاولة منها لإسترضاء التيار المطالب بالإستقلال، والتذكير بأن بريطانيا تقف الى جانب مطالبه؛ وعليه فقد أعلنت عن رغبتها في تشكيل لجنة مشتركة من البريطانيين والسودانيين لإعداد دراسة بشأن ما يمكن إتخاذه من خطوات من أجل سودنة الوظائف في البلاد، وتقديم توصيات بذلك إلى الحاكم العام في السودان3.

في الأسبوع الأخير من شهر أبريل ١٩٤٦م، صدر قرار من الحاكم العام للسودان بتشكيل لجنة مؤتمر إدارة السودان برئاسة السكرتيرالإداري "روبرتسون" وكان أبرز أعضاءها من البريطانيين السكرتير

1- **نفس المرجع**، 331.

2- جيمس روبرتسون، **مصدر سابق**، ص ص157-159، وترأس وفد حزب الأمة رئيسه(صديق المهدي) وعضوية المحجوب وعبدالله خليل، جمال عفارة، **مرجع سابق**، ص 64. المعتصم احمد الحاج، **مصدر سابق**، ص ص123-129.

3-الهيئة العامة للكتب والوثائق، **مصدرسابق**، ص 136 وما بعدها.

المالي ومديري مديريتي دارفور وأهالي النيل، ومن الأعضاء السودانيين ممثلي للمجلس الإستشاري لشمال السودان وبعض الأعيان والموظفين وبعض ممثلي الأحزاب السياسية، وممثل للتجار1.

رفض الخريجون ومناصرو الوحدة مع مصرالإشتراك في المؤتمر، فقد أبدوا شكوكهم حيال نوايا حكومة السودان من وراء تشكيل هذا المؤتمر، واعتبروا أن الهدف الأساسي الذي تسعى الحكومة في تحقيقه هو زرع المزيد من حالات الإنشقاق بين القوى السياسية السودانية وإضعاف مطالبها، كما غاب عن المشاركة في المؤتمر أيضاً ممثلين للجنوب ، مما دعا البعض لتشبيهه بالمجلس الإستشاري لشمال السودان2.

إنعقد الإجتماع الأول للمؤتمر في٢٢أبريل١٩٤٦، وتقرر في هذا الإجتماع تشكيل لجنتان فرعيتان، الأولى مهمتها وضع تصور لإشراك السودانيين بشكل أوسع في الوظائف المركزية في السودان، مع التركيز على كيفية تطوير المجلس الإستشاري لشمال السودان، وتوسيع صلاحياته والنظر في تطوير مختلف الهيئات والمجالس ذات الصلة بالحكومة المركزية، وكذلك وضع تصور بإمكانية إقامة مجالس جديدة في المديريات3.

أما اللجنة الأخرى فقد حُصرت مهامها بالطلب إليها بتقديم توصيات ومقترحات حول الوسائل الكفيلة بتطوير وترقية مسؤوليات المجالس بالمديريات والهيئات الحكومية المحلية، والنظر في قوانين هذه المجالس وتقديم تصورات بتحسينها4.

تمخضت توصيات المؤتمر عن تقديم مقترح لحكومة السودان يدعو إلى تأسيس جمعية تشريعية ومجلس تنفيذي، بغرض تأهيل السودانيين وإعدادهم لتحمل مسؤوليات الإدارة العليا في بلادهم، وبخصوص الكيفية في إنشاء هذه الجمعية يرى المؤتمر أن الوسيلة الأفضل لذلك هي عملية الإنتخاب لإختيار الأعضاء لهذه الجمعية من جميع أنحاء السودان، كما أوصى المؤتمر أن تكون للجمعية صلاحيات ومهام تشريعية ومالية وإدارية تشترك فيها مع المجلس التنفيذي الذي سيكون بديلاً لمجلس الحاكم العام5.

بخصوص عدد الأعضاء بالجمعية إقترح المؤتمر أن يكون عددهم "سبعين" عضواً، مع إمكانية زيادة هذا العدد في المستقبل ليصل الى"مائة"عضو، يتم إختيارهم عن طريق الإختيار المباشر وغير المباشر، ولم يشترط في العضوية الحصول على أي مستوى من التعليم، لكن أُشترط بلوغ سن

1Doglas, **Op. cit**, pp141-142

2- الهيئة العامة للكتب والوثائق، **مصدرسابق**، ص 142

3- **نفس المصدر**، ص126

4- **نفس المصدر** ص137.

5- **نفس المصدر**، ص ص139-142.

الثلاثين فما فوق، ولكل مديرية نسبة محددة تتناسب مع عدد سكانها، وقد سُمح لموظفي الحكومة الترشح لعضوية الجمعية عدا أفراد الشرطة1.

وبموجب الصلاحيات التي أوصى بها المؤتمر فإن للجمعية حق النظر في المشروعات المقدمة إليها من المجلس التنفيذي الذي يمثل(مجلس وزراء) للموافقة على هذه المشروعات، ومن ثم ترفع للحاكم العام للمصادقة عليها، وللجمعية الحق أيضاً في إرجاع هذه المشروعات للمجلس إذا رأت ذلك، وفي حال تعارض موقف الجمعية والمجلس بشأن مشروع ما يتم رفع الأمر الى الحاكم العام، الذي تعلو سلطته على الجمعية ومجلسها التنفيذي2.

تم رفع المشروعات والتوصيات الخاصة بإنشاء الجمعية والمجلس التنفيذي واللوائح المنظمة لعمل هاتين المؤسستين إلى الحاكم العام في 31مارس١٩٤٧م، وتضمنت هذه اللوائح تفاصيل دقيقة بما في ذلك مسألة مكافأة أعضاء الجمعية ومؤهلاتهم، والتفاصيل المتعلقة بكيفية بإدارة الجمعية نفسها، والفترة المحددة للعضوية، أما بخوص المجلس التنفيذي فقد تم إقتراح أن تكون عضويته من"12" عضواً، وأن يكون نصف هؤلاء الأعضاء من السودانيين، من ذوي الكفاءة3.

وبحسب النظام المتبع آنذاك تم إجازة مشروعات قوانين الجمعية والمجلس التنفيذي بواسطة المجلس الإستشاري لشمال السودان، ورُفعت بعد ذلك إلى الحاكم العام، للموافقة عليها في صورتها النهائية4.

أرسل الحاكم العام للسودان نسخة من قوانين هذه المشروعات، وتوصيات مؤتمر الإدارة إلى كل من بريطانيا ومصر من أجل الموافقة عليها، وقد أيدت بريطانيا هذه القوانين والتوصيات دون تحفظ، واعتبرتها عملاً مساعداً يخدم أهداف الحكم الثنائي في ما يخص تطوير الحكم الذاتي في السودان5.

أما الجانب المصري فقد كان موقفه الإحتجاج منذ بداية التفكير في هذا المؤتمر الذي أوصى بهذه المشروعات، فقد حذر رئيس الوزراء المصري آنذاك (صدقي)في خطابه إلى الحاكم العام، وخطاب آخر عبر السفير المصري بلندن لحكومتها ندد فيهما بما قام به الحاكم العام من وضع لهذه التشريعات، واعتبره تجاوزاً للصلاحيات والتفويض الممنوح له في إدارة السودان، معتبراً أن مسألة مستقبل هذه البلاد لا يمكن التخطيط لها دون إستشارة الحكومة المصرية والحصول على موافقتها مسبقاً؛

1-جاءت نسب العضوية للمديريات على النحو التالي، النيل الازرق 14، كردفان 10، الاستوائية 9، الخرطوم 6، الشمالية 6، كسلا 6، دارفور 5، اعالي النيل 4، ويكتمل الدد الكلي 70 بتعين 10 أعضاء من قبل الحاكم العام الهيئة العامة للكتب والوثائق، **مصدرسابق**، ص ص145-147.

2- بخصوص صلاحيات الجمعية، **نفس المصدر**، ص147.

3- **نفس المصدر**، ص147 وما بعده

4- في 15يونيو 1948أحيطت الحكومة المصرية علماً بنشر هذه القوانين الخاصة بالجمعية ومجلسها التنفيذي، الهيئة العامة للكتب والوثائق، **مصدرسابق**، ص ص184-189.

5- **مدولات المجلس الاستشاري**، رقم(51/14/1) الدورة السابعة، ص 93.

وسجلت الحكومة المصرية في مذكرة ردها على رسالة الحاكم العام بخصوص المشروعات السابقة عدة ملاحظات، إعتبرتها ضرورية لإخذها في الإعتبار قبل إتخاذ مصر قرار بشان هذه االمشروعات، فقد أكدت في المذكرة أن المشروعات المقترحة لا تمكن السودانيين من المشاركة الفعلية في الإدارة العليا في بلادهم، كما أن طريقة الإنتخاب لإختيار الأعضاء في الجمعية التشريعية أقرب إلى التعيين، خاصة في جنوب السودان، لأنها ستخضع لتأثير حكام المديريات هناك1.

وفي ذات الإتجاه ذهبت المذكرة المصرية إلى التأكيد بأن إحتفاظ الأعضاء بالجمعية من الموظفين العموميين بوظائفهم يقدح في نزاهة الجمعية وفاعلية سلطاتها، فضلاًعن عدم قدرة الجمعية في تقديم مشروعات تخدم قضية السودان في ظل السلطة المطلقة التي يتمتع بها الحاكم العام في السودان؛ وبدلاً عن ما سبق اقترحت الحكومة المصرية أن يتم تمكين السودانيين من تولي كل الوظائف العليا في بلادهم، حتى يتدربوا على تحمل المسؤولية، وإحتجت مصر كذلك على عدم إشراك ممثل لها في مؤتمر إدارة السودان، وختمت مصر مذكرتها بربط موافقتها على هذه المشروعات بأخذ ملاحظاتها المذكورة في الإعتبار2.

3/السودان في محادثات خشبة- كامبل مايو1948م

حاولت الحكومة البريطانية التدخل لإسترضاء الجانب المصري؛ فاقترحت إجراء مباحثات بشأن الجمعية والمجلس التنفيذي المقترح في السودان، وخلال الفترة من ٦الى٢٨مايو١٩٤٨م، جرت مباحثات بين الجانبين مثَل فيها مصر وزير خارجيتها(أحمد خشبة)، ومثَل بريطانيا سفيرها في القاهرة (كامبل)، واقتصرت عملية التفاوض فقط على مشروع الجمعية ومجلسها التشريعي، دون النظر في مستقبل السودان؛ وقد تباينت مواقف المتفاوضين في هذه المحاداثات، حول المدة الزمنية الكافية لإعداد السودانيين للحكم الذاتي، فقد أصر الجانب المصري على أن لا تتجاوز هذه الفترة الثلاث سنوات، بينما تمسكت بريطانيا بأن لا تقل عن العشرين سنة، كما بدأ الخلاف حول السلطة المطلقة للحاكم العام في السودان إذ رفضت مصر القبول بذلك، كما رفضت مصر أن تكون إتفاقية ١٨٩٩م أساس للنظام الإداري في السودان، بجانب المطالبة بوجود ممثلين لها في المجلس التنفيذي بعدد يساوي الأعضاء البريطانيين في ذات المجلس، وقد إنتهت المفاوضة دون إتفاق3.

اعتبرت حكومة السودان الإعتراضات المصرية بشأن الجمعية والمجلس التنفيذي غير ضرورية، كما دافع الحاكم العام للسودان عن صلاحياته، منوها إلى أنه لا يستخدمها إلا عند الضرورة القصوى،

1-الهيئة العامة للكتب والوثائق، **مصدرسابق**، ص131و ص ص165-175.

2- **نفس المصدر** والصفحات.

3- **نفس المصدر**، ص ص 217-237.

وبالتالي وافق على إجازة مشروعي الجمعية ومجلسها بصورة نهائية، ونشرت في الجريدة الرسمية لتكون سارية منذ تاريخ النشر1.

في ٢٨يونيو١٩٤٨م أرسلت الحكومة المصرية مذكرتي إعتراض أخرى للخارجية البريطانية والحاكم العام في السودان، بخصوص ما أعتبرته تجاوز الأخير للسلطات الممنوحة له، بإصراره على وضع التشريعات المذكورة موضع التنفيذ، وأكدت مصر تمسكها بوحدة وادي النيل والرفض التام لما جاء بشأن هذه التشريعات، غير أن هاتين المذكرتين لم تؤثرا على قرار تنفيذ مشروع الجمعية ومجلسها التشريعي الذي أصبح واقعا عمليا منذ نشره بالجريدة الرسمية لحكومة السودان2.

وهكذا تم إجازة مشروعات الجمعية بإصرار من الحاكم العام وبتشجيع من بريطانيا، دون أن يؤثر الإعتراض المصري عليها، ولعل عامل عدم الاستقرار الداخلي لمصر آنذاك، وإنشغالها بحرب ١٩٤٨م في فلسطين قد ساهما في عدم فاعلية الإعتراض المصري، مما أتاح المجال لحكومة السودان بعدم الإكتراث للإعتراضات المصرية3.

مؤتمر جوبا وتأيد وحدة الجمعية التشريعية في السودان

إن غياب ممثلين للجنوب في مؤتمر إدارة السودان أدى إلى عدم معرفة أراء الجنوبيين حول المؤتمروتوصياته، لذا كان من الضروري الحصول على تلك الأراء حتى تتمكن حكومة السودان من وضع تصور لوضع الإدارة في الجنوب بما يتناسب مع التطورات الجديدة في السودان، والنظر لمستقبل إدارة الجنوب وفق ما أقره مؤتمر إدارة السودان، والموقف الذي يحدده الجنوبيون بشأن المؤتمر.

اجتمع في مدينة جوبا عاصمة الجنوب؛ ممثليين من شمال وجنوب السودان، وموظفين بريطانيين يعملون بالجنوب للتباحث والتفاكر حول رؤية الحكومة السودانية المؤيدة لإقامة مجلس إستشاري خاص بالجنوب، ورؤية الشماليين المؤيدة لتكون الجمعية التشريعية ممثلاً لكل السودانيين، وكانت حجة حكومة السودان أن هناك فوارق كبيرة بين السكان في شمال السودان وجنوبه، تستدعي إنشاء

---

1 -**المجلس الاستشاري**، (52/15/1)المداولات الثامنة، ص34. يذكرأن صياغة هذه القوانين في صورتها النهائية قد تمت بواسطة السكرتير القضائي لحكومة السودان.جيمس روبرتسون، **مصدرسابق**، ص178.

2- رسالة النقراشي الى الحاكم العام في السودان، والخارجية البريطانية، **الهيئة العامة للكتب الوثائق**، مصدر سابق، ص186

3- **المجلس الاستشاري لشمال السودان**، رق(52/15/1) المداولات الثامنة، ص ص 35-36.دار الوثائق القومية، الخرطوم

مجلس خاص بالجنوب؛ حتى يتمكن الجنوبيون من الوصول لدرجة تماثل ما وصل إليه السكان في الشمال1.

في بداية جلسات المؤتمر تمسك الجنوبيون برؤية حكومة السودان المنادية بقيام مجلس إستشاري يخص السكان في الجنوب، وإعترض ممثلي الشمال على ذلك؛ وأكدوا أن ذلك يهدد وحدة السودان ويشجع على إنفصال الجنوب عن الشمال2.

بعد مجهودات كبيرة بذلها ممثلي الشمال إقتنع نظرائهم في الجنوب بالإشتراك في الجمعية التشريعية؛ لتمثل كل شعب السودان في الشمال والجنوب3.

كان إقرار مشروع الجمعية التشريعية ومجلسها التنفيذي لا يعني بالضرورة وصول السودان إلى مرحلة الحكم النيابي الذي يمكن الناخب من مراقبة أداء حكومته من خلال ممثليه في الجمعية، فبخلاف الدور الإستشاري المحدود لهذه الجمعية كان من المحظورعليها مناقشة الموضوعات المتعلقة بوضع التشريعات للدستور، أوالتدخل في علاقة حكومة السودان بالدول الأخرى، أو البت في أمر الجنسية السودانية، كما يحظر عليها التدخل في شأن العلاقة بين حكومة السودان ودولتي الحكم الثنائي في السودان، بحجة أن هذه الموضوعات لايمكن النظر فيها؛ إلا بعد الإستقلال التام للسودان4.

وفي جانب القوى السياسية في السودان المنقسمة على نفسها، فقد أيد التيار الإستقلالي تشريعات الجمعية واعتبروها هيئة تشريعية دستورية يمكن تسخيرها لتحقيق الإستقلال للسودان، كما أكد هذا التيار أن قيام الجمعية ومجلسها التنفيذي يعد الحدث الأبرز في السودان خلال فترة نصف القرن الأخير آنذاك، بما تتيحه للسودانيين من فرصة لإدارة بلادهم، يستطيعون من خلالها إقناع الآخرين بأهليتهم لتقرير مصيرهم، وتحديد مستقبل بلادهم بأنفسهم، بعيداً عن تأثير المصريين والبريطانيين5. أما في جانب التيار المنادي بالوحدة مع مصر، فقد تمسك برفضه التام لمشروع الجمعية والمجلس التنفيذي، وفي مقابل ذلك تبنى إقتراح قيام حكم دستوري للسودان في نطاق الوحدة مع مصر6.

1- تراس الاجتماع السكرتير الاداري لحكومة السودان جيمس روبرتسون،وعضوية(12) من الجنوبين،و(5) من الشماليين هم:محمد صالح الشنقيطي،وابراهيم بدري، ووحسن احمد عثمان، وحبيب عبدالله، وسرور رملي.جمال الشريف، **مرجع سابق**، ص675

2- جمال الشريف، **مرجع سابق**، ص676

3- **نفس المرجع** ،ص676

4- **الهيئة العامة للكتب والوثائق**، مصدر سابق، ص141-142-

5- موسى عبدالله حامد، **مرجع سابق**، ص352

6- يمثل هذا التيار(الازهري)الذي أصدر بياناً أكد فيه رفض الإتحاديين لهذه المشروعات، وانتقد كذلك مواقف مصر بشأن السودنة، جمال الشريف، **مرجع سابق**، ص682

جرت انتخابات الجمعية التشريعية في15نوفمبر١٩٤٨م، وفي ديسمبر من ذات السنة، تم إفتتاح أعمال هذه الجمعية بعد أن تم حل المجلس الاستشاري لشمال السودان، كما تم تشكيل المجلس التنفيذي، ورفضت الأحزاب الداعمة للوحدة مع مصر المشاركة في الإنتخابات، وتسبب هذا الأمر في إحراج حكومة السودان أمام العالم؛ إذ إتضح أن الجمعية بشكلها الحالي لا تعتبر ممثلاً لكل السودانيين، كما خشيت حكومة السودان من أن يستخدم السيد عبدالرحمن المهدي وأنصاره الأغلبية التي حصلوا عليها في الجمعية لتمرير وإجازة بعض المشروعات التي لا ترضي هذه الحكومة، أو جزء آخر من السودانيين المعترضين على قيام هذه الجمعية، وهي إشارة لموقف العناصر الداعمة لمصر1.

أما بخصوص تشكيل المجلس التنفيذي، فقد حاولت حكومة السودان إقناع بعض أنصار الوحدة مع مصر بإختيارهم لمناصب وزارية في هذا المجلس، لكنهم أصروا على رفض المشاركة فيه، وبذلك أصبحت مشاركة السودانيين في هذا المجلس محصورة فقط على العناصر الإستقلالية، والتي شغل أعضاؤها نصف العدد الذي يتكون منه المجلس التنفيذي2.

وبإكتمال قيام الجمعية وتكوين المجلس التنفيذي حاولت حكومة السودان إظهار الهيئتين بمظهر المؤسسات التشريعية كاملة الصلاحيات، وإعطاء الإنطباع عن فاعليتها، وإستخدامها ضد النفوذ المصري في السودان، فعندما تم تقديم (خطاب العرش)3 في مصر في نوفمبر١٩٥٠، وتضمينه إشارات واضحة لوحدة وادي النيل، تسبب ذلك في إثارة مخاوف حكومة السودان، وأنصار الإستقلال من السودانيين بما فيهم الوزراء في المجلس التنفيذي، وتبعاً لذلك عرض على الجمعية التشريعية في ٥ديسمبر1950م مقترح للتصويت عليه يطالب الحاكم العام للسودان بأن يرسل لدولتي الحكم الثنائي مطلب السودانيين بتحقيق الحكم الذاتي الفوري، ورغم أن هذا الطلب يعد من الأمور المحظور على الجمعية مناقشتها؛ إلا أنه تمت الموافقة على طرحه في الجمعية، وحصل على الأغلبية بفارق صوت واحد، غير أن الحاكم العام لم يصادق عليه بحجة أن الصوت الواحد لا يكفي

1- جيمس روبرتسون، **مصدرسابق**، ص182

2- **الهيئة العامة للكتب والوثائق**، مصدر سابق، ص ص 235-237.السودانيين الذين كانوا أعضاء بالمجلس هم:عبدالله خليل للزراعة، علي بدري للصحة، عبدالرحمن علي طه للمعارف، مع (3) وكلاء ، للوزارات ومثل الجانب البريطاني السكرتاريون الثلاثه، والقائد العام لقوة دفاع السودان و(2)آخرين عينهم الحاكم العام للسكة حديد ومشروع الجزيرة، وبعد استقالة مدير مشروع الجزيرة خلفه أحد السودانيين، وصارت لهم بذلك الأغلبية. وكان الازهري وميرغني حمزة قد رفضا المشاركة في المجلس رغم ترشيحهما.جيمس روبرتسون، **مصدرسابق**، ص183

3- خطاب العرش يقدمه رئيس الحكومة المصرية بإسم الملك عند إفتتاح دورة البرلمان كل عام، ويعد برنامج عمل ملزم للحكومة، عبدالحميد الحفناوي، **معركة الجلاء ووحدة وادي النيل 1945-1954م**،الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص278.

لمنح الحكم الذاتي1. ولعل موافقة حكومة السودان على هذا المقترح في الجمعية رغم مخالفته لصلاحياتها؛ يأتي ترجمة لسياستها الخاصة لإرضاء أنصار الإستقلال، أما رفضها لتبني المقترح رغم إجازته في الجمعية فقد كان بدافع رغبتها في التحكم في عملية السير نحو الحكم الذاتي في السودان دون إستعجال من السودانيين2.

وفي مسار آخر؛ واصلت حكومة السودان سياستها القائمة على تدعيم موقف السودانيين وأحقيتهم في إدارة بلادهم، فإنتهزت فرصة إنتهاء إنتداب قاضي القضاء الشرعي في السودان (مصري الجنسية) بعدم التجديد له، وإختيار بديل عنه السوداني الشيخ أحمد الطاهر، واحتجت الحكومة المصرية على ذلك لدى الحكومة البريطانية والحاكم العام في السودان، بحجة أن هذا المنصب هو الوحيد من بين الوظائف العليا في السودان التي يشغلها المصريون، وبالتالي فإن إنهاء الإنتداب للقاضي المصري يؤدي إلى إثارة هواجس مصر وزيادة مخاوفها بشأن سياسة بريطانيا الرامية لفصل مصر عن السودان، وتفادياً لما قد يترتب على ذلك من نتائج سيئة على علاقتها مع بريطانيا؛ إقترحت مصر إنشاء وظيفة نائب قاضي قضاة شرعي ليشغله أحد السودانيين؛ وإحتفاظ مصر بهذا المنصب3.

رغم دفاع بريطانيا عن قرار حكومة السودان بشأن القاضي المصري، على إعتبار أن ذلك من إختصاصات الحاكم العام المخولة إليه بموجب معاهدتي ١٨٩٩و١٩٣٦م، إلا أنها كانت ترى إمكانية تمديد فترة الإنتداب لهذا القاضي لمدة عام آخر، وذلك من أجل تهدئة المخاوف المصرية تجاه سياسة حكومة السودان، وفي الوقت نفسه عدم الإضرار بالمجهودات البريطانية الهادفة لتفعيل عملية التفاوض مع مصر آنذاك4.

لم تنجح محاولات بريطانيا في إقناع الحاكم العام بالتمديد للقاضي المصري، إذ أصر(هدلستون) الذي كان يشغل هذا المنصب آنذاك، أن السلطات المخوله له بموجب معاهدتي ١٨٩٩و١٩٣٦م والتاكيدات التي حصل عليها من رئيس الوزراء البريطاني (أتلي)بعدم التدخل في سلطاته الدستورية في السودان، تجعله صاحب القرار النهائي في المسألة، خاصة أن وجود الأجانب في المناصب الإدارية في السودان يحدث فقط عندما يتعذر وجود سودانيين أكفاء لهذا المنصب، كما هو مقرر في معاهدة 1936م5.

1- جيمس روبرتسون، **مصدر سابق**، ص214

2- محسن محمد، **مصر والسودان الانفصال**، مرجع سابق،ص39

3-انظر:خطاب النقراشي أمام النواب بتاريخ6يناير1946م،**الهيئة العامة للكتب وائوثائق** ، مصدر سابق، صص125-128.

Douglas Johnson. **Op.Cit**, pp224-226-4

5- جيمس روبرتسون، **مصدر سابق**، ص152

4. المفاوضات مع حكومة مصطفي النحاس الثانية 1950- 1951

شكل النحاس حكومته الأخيره في مصر في بداية العام ١٩٥٠م، ومن ثم عادت عملية التفاوض بين مصر وبريطانيا، وبالتالي عادت قضية السودان إلى طاولة التفاوض مرة أخرى بإعتبارها جزء أساسي من القضية المصرية، وتخوفت حكومة السودان من أن تستغل بريطانيا القضية السودانية والمساومة بها من أجل الحصول على تسوية مع مصر تضمن لبريطانيا بقاء قواتها في القناة للدفاع عن الشرق الاوسط؛ الذي يمثل محور الاهتمام البريطاني في المنطقة.

زاد من مخاوف حكومة السودان"التدخل الأمريكي"لدى الحكومة البريطانية من أجل إقناعها بإتباع نهج أكثر مرونة تجاه قضية السيادة المصرية على السودان، خشية أن قيام إضطرابات في مصر وحدوث فوضى قد تعرض المصالح الأوربية والأمريكية للخطر؛ وبما يسمح بتسوية المسألة المصرية؛ وقطع الطريق على النفوذ السوفيتي في المنطقة1.

كانت الحكومة الامريكية قد نصحت نظيرتها البريطانية بضرورة الإعتراف بسلطة ملك مصر الرمزية في السودان؛ وتبعاً لذلك تم تكليف سفيري البلدين "امريكا وبريطانيا" في مصر بإعداد تصور مشترك بشأن القضية المصرية؛ بما فيها قضية السودان، وجاءت المقترحات التي قدمها السفيران بشأن السودان منادية بضرورة أن يتم تحديد موعد معلوم لحصول السودانيين على الحكم الذاتي؛ مع التوصية كذلك بالإعتراف صراحةً بما أسموه الحقوق التاريخية للتاج المصري في السودان2.

شددت الحكومة السودانية على رفضها للتوصيات السابقة للسفيرين، وأكدت أن ردة فعل السودانيين ستكون عنيفة ضد هذه التوصيات ورافضة لها، ووجدت حكومة السودان المساندة لهذا الرفض من الحكومة البريطانية في لندن التي تجاهلت العمل بتوصية السفيرين؛ خاصة في ظل الرفض المصري الموافقة على حق السودانيين في تقرير مصيرهم؛ بعد وصولهم الى مستوى متقدم من الحكم الذاتي؛ من خلال قيام الجمعية التشريعية ومجلسها التنفيذي3.

وخلال جولات التفاوض بين بريطانيا ومصر في الفترة من مارس١٩٥٠ حتى العام ١٩٥١م، تمسكت مصر بوحدة وادي النيل، بما يجمع مصر والسودان، وإشترطت أن يتم التوصل إلى اتفاق مسبق حول المسألة السودانية، ومن ثم يمكن للدولتين الشروع في تفاصيل البنود العسكرية في المعاهدة4.

على النقيض من الموقف المصري؛ طلبت بريطانيا من الجانب المصري ضرورة الاتفاق اولاً على التفاصيل العسكرية قبل التسوية النهائية بشأن السودان، وإنتهت العملية بلا إتفاق بين الدولتين،

1- محمد حسنين هيكل، **ملفات السويس**، مركز الاهرام للترجمة، القاهرة، 1986م، ص ص680-683. وجيفري ارنسون، **العلاقات المصرية-الامريكية 1946**-1956م،ترجمة ترجمة السيد أمين، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م، ص20

2- فيصل عبدالرحمن، **مرجع سابق**، ص453

3- **نفس المرجع**، ص 456

4- جمهورية مصر، **مصدرسابق**، ص587

بعد تأكيد بريطانيا لأمريكا بأن المحاولات المصرية للهيمنة على السودان تتعارض مع مطالب السودانيين للحصول على الحكم الذاتي، الذي تتسارع خطواته تحت رعاية حاكم عام السودان1.

كان مجمل ما قدمته حكومة النحاس الأخيرة -في مفاوضاتها مع بريطانيا- حول السودان هو محاولة إثبات الادعاء بحقوق مصر التاريخية في السودان؛ وأنه جزء أصيل من الدولة المصرية التي تنازلت عن إدارته كرهاً لصالح سلطة الحاكم العام وإعتباره وديعة يجب على بريطانيا إعادتها لمصر؛ وترك الحرية لشعبه لإختيار شكل الوحدة التي تناسبه مع مصر من أجل تحقيق وحدة وادي النيل؛ وذلك بعد الجلاء التام للقوات البريطانية عن السودان خلال فترة لا تتجاوز السنتين2.

في الجانب الاخر قدمت بريطانيا مقترحات حول قضية السودان أخفت فيها مصالحها من القضية من خلال إظهار تمسكها بمبدأ منح السودانيين الحرية التامة في تحديد مستقبلهم السياسي ودعم مناصري الاستقلال منهم، وتكرار الحديث عن الفوارق الثقافية والجنسية والدينية بين الشعبين في مصر والسودان، الأمر الذي يسمح لبريطانيا بكسب المزيد من الوقت بإستمرار عملية التفاوض مع مصر حول هذه القضايا من أجل عرقلة الجهود المصرية التي تهدف للوصول بتسوية للقضية المصرية-بما فيها السودان- بأعجل ما يمكن 3.

من خلال النظر للرؤية المصرية يتضح أن مصر ظلت متمسكة بتحديد مساحة الحرية للسودانيين في النطاق الذي لا يتجاوز الحكم الذاتي في المسائل الداخلية؛ والاحتفاظ بالشؤون الخارجية والمالية والدفاعية وفق الإطار الكلي للدولة المصرية؛ مع تكرار الحديث عن أن الغالبية من الشعب السوداني تؤيد وحدة وادي النيل إستناداً لما يتمتع به أنصار هذه الوحدة من تأثير وفاعلية في الشارع السوداني، ولعل إصرار مصر على تحديد فترة الانتقال بسنتين فقط كان خوفاً من أن يفتقد أنصارها الداعمين للوحدة فاعليتهم وتأثيرهم في السودان؛ بسبب الدعم البريطاني للعناصر الاستقلالية هناك، على حساب أنصار الوحدة مع مصر.

لم يجد موقف النحاس المنادي بوحدة وادي النيل المساندة والدعم من عدد كبير من القوى الوطنية السودانية التي تمسك معظم مناصريها بمبدأ تقرير المصير دون الإملاء أو الوصاية من من أي طرف، وقد وجد هذا الموقف التأييد من بريطانيا التي حاولت الاستفادة من هذا الموقف للحديث عن

1- فيصل عبدالرحمن، **مرجع سابق**، ص476

2- مفاوضات "صلاح الدين" مع "بيفن"ا وكذا السفير البريطاني في القاهرة"ستيفنسون" محاضر الجلسات بتواريخ 26 أغسطس والايام 7و9 و15ديسمبرلسنة 1950، ومحاضر جلسات 8يونيو وأيام 9 و13و26 من شهر يوليو لسنة 1951. **الهيئة العامة للكتب والوثائق**، مصدر سابق، ص ص 240-278

3- مفاوضات "صلاح الدين" مع "بيفن"ا وكذا السفير البريطاني في القاهرة"ستيفنسون" محاضر الجلسات بتواريخ 26 أغسطس والايام 7و9 و15ديسمبرلسنة 1950، ومحاضر جلسات 8يونيو وأيام 9 و13و26 من شهر يوليو لسنة 1951. **الهيئة العامة للكتب والوثائق**، مصدر سابق ،ص ص 240-278

المطامع المصرية في السودان، وقد ظلت قضية السودان مصدر خلاف بين مصر وبريطانيا حتى أعلن النحاس إلغاء معاهدة 1936م ومعاهدة 1899م الخاصة بالسودان في اكتوبر 1951م.

الخاتمة

شكل قرار الإلغاء مرحلة جديدة في موضوع المفاوضات من اجل الوصول الي تسوية مقبولة لقضية السودان بل ادخل عليها مزيدا من التعقيدات وومتغيرات سياسية اخري اذ أعلنت مصر مرسوما بالحكم الذاتي للسودان بشروط معينة مما تم رفضه من الإدارة في السودان وتباينت مواقف الحركة الوطنية من إلغاء معاهدة 1899م و مرسوم إعلان الحكم الذاتي للسودان،

وآخر يختص بتشكيل جمعية تأسيسية مهمتها وضع دستور خاص للسودان؛ مع الإعداد أيضاً لوضع قانون إنتخابات في البلاد، ومن ثم عرضها ليتم التصديق على هذا الدستور وقانون الإنتخابات من قبل الملك في مصر؛ وكان بموجب هذا النظام الجديد الذي أقرته الحكومة المصرية بشأن السودان أن يتم تشكيل مجلس وزراء خاضع للرقابة من الجمعية المنتخبة، فيما تظل قضايا الشؤون المالية والدفاعية والسياسة الخارجية في السودان بعيدة عن سلطة المجلس والجمعية في السودان ليتولى أمرها الملك في مصر1.

وجدت عملية إلغاء المعاهدة الترحيب من الأحزاب السياسية السودانية؛ فأصحاب الميول الإتحادية مع مصر يرون أن العملية تتفق مع رؤيتهم حول وحدة وادي النيل، فقد عبر عن ذلك "الأزهري" واعتبر أن العملية تعد خطوة مهمة سوف تسهم في خدمة قضية الشعبين في مصر والسودان بما يكفل وحدة شطري وأدي النيل، وكانت رؤيته تقوم على أن عملية الإلغاء تجعل الوجود البريطاني في السودان يفتقد للشرعية المبرره لبقائه في السودان2.

أما أنصار الإستقلال فترحيبهم بعملية الإلغاء جاء من باب أن العملية تشجع خطواتهم نحو الحصول الكامل على الإستقلال للسودان؛ بعد التخلص من المعاهدة التي تستند إليها إدارة الحكم في البلاد؛ لكن في ذات الوقت ندد أنصار هذا التيار في الجمعية التشريعية في السودان بما أسموه محاولات مصر فرض إرادتها وسلطتها على السودانيين دون رضاهم، ووضع تشريعات قبل مشاورتهم عليها، وقد بدأت بوادر التذمر من أعضاء هذه الجمعية ضد مصر لدرجة تبني بعضهم لقرار يطالب بإعلان السودان دولة مستقلة بحجة أن مصر ألغت معاهدة 1899م التي يخضع بموجبها السودان للإدارة الثنائية البريطانية-المصرية، غير أن تدخل العضو "عبدالله خليل"حال دون ذلك؛ بتذكيره لأعضاء الجمعية أن الأمر يتعارض مع الصلاحيات الممنوحة لها، كما أن ذلك يخالف إلتزامهم المسبق لحكومة السودان بعدم تجاوز تلك الصلاحيات3.

1- **نفس المصدر**، ص ص 286-287

2- جيمس روبرتسون، **مصدر سابق**، ص222.

3قدم إقتراح الإستقلال من داخل الجمعية السيد عبدالرحمن علي طه، جيمس روبرتسون، **مصدر سابق**، ص223-

حاولت لجنة1 تعديل دستور الجمعية التشريعية الاتصال بهيئة الأمم المتحدة وتدويل قضية السودان بمطالبة الهيئة تعين لجنة دولية لادارة البلاد؛ بإعتبار أن إلغاء المعاهدة يخلف فراغاً دستورياً بجب ملئه باللجنة الدولية، ولم تجد المناشدة الاستجابة من الهيئة الدولية اذ تم تجاهل الطلب، والراجح أن الموقف البريطاني غير المشجع لاجراء عملية الاستفتاء بصورة فورية في السودان كان وراء فشل الحصول على المساندة الدولية2. وقد فشلت محاولات لاحقة من عدة دول للتوفيق بين بريطانيا ومصر لحل كل القضايا العالقة بم فيها قضية السودان الي ان تغير الوضع السياسي في مصر باستيلاء تنظيم الضباط الاحرار علي السلطة في مصر.

وفي ذات اليوم الذي قدمت فيه الدول الأربعة مذكرتها للحكومة المصرية بخصوص الدفاع المشترك3، قدم السفير البريطاني في القاهرة مذكرة للحكومة المصرية تحتوي على مقترحات بلاده بشأن قضية السودان؛ تضمنت المذكرة إقتراح تشكيل لجنة دولية لمراقبة التطور الدستوري في السودان؛ وتقديم توصيات بهذا الشأن لدولتي الحكم هناك؛ ولضمان حقوق مصر المائية في النيل أوصت المذكرة بإقامة تنمية حول النيل بمساعدة من البنك الدولي ووضع إتفاقيات ملزمة لتقسيم مياه النيل بما لا يضر بالمصالح المصرية فيه، واختتمت المذكرة التوصية بضرورة تحديد موعد لتمكين السودانيين من الحكم الذاتي حتى يتمكنوا من الوصول للقرار النهائي حول مستقبلهم السياسي4.

في ذات الإتجاه تقدمت أمريكا بمقترح حاولت فيه التوفيق بين اللقب الملكي المصري في السودان وحق السودانيين في تحقيق مصيرهم، وبموجبه تعترف بريطانيا بهذا اللقب؛ شريطة أن يتم إستفتاء في السودان تحت إشراف ثلاث دول تتفق عليها دولتا الحكم هناك، ومن ثم يمكن لبريطانيا ومصر أن تتمكنا من معرفة حقيقة أنصار الوحدة في السودان، ولم تجد هذه المقترحات الترحيب من مصر5.

1- تم تعينها من قبل الحاكم العام في مارس 1951م من 13 عضو برئاسة القاضي البريطاني "استانلي بيكر"لتعديل الدستور واعداد السودانيين لقدر أكبر من الحكم الذاتي، بإعادة النظر في الدوائر الانتخابية وطرق الانتخابات المجازة في دستور الجمعية في العام 1948م، ورفع توصياتها للحاكم العام، وقد رفض أنصار الوحدة المشاركة فيها، واعتبروها مؤامرة بريطانية ضد الوحدة مع مصر،وقد نشأ الخلاف بين أعضاءها حول مسألة السيادة خلال فترة الانتقال، فقد رأى بعضهم أن تظل تحت سلطة الحاكم العام، فيما طالب البعض الاخر أن تكون تحت لجنة دولية، وعلى إثر رفض مقترح اللجنة الدولية تقدم ستة من أعضائها باستقالاتهم أبرزهم المحجوب والدرديري محمد عثمان. محسن محمد، **سقوط النظام في 4أيام، ثورة يوليو بالوثائق السرية**، دار الشروق، القاهرة، 1992م، ص 28.

2- كانت الحكومة البريطانية قد حذرت أنصار الاستقلال في السودان من التمادي في طرح مسألة الاستفتاء وأكدت أنها ستقف بقوة ضد المسألة في الوقت الحاضر، محسن محمد، **مصر والسودان الانفصال بالوثائق البريطانية**، دار الشروق، القاهرة،1994م، ص30

3-امذكرة قدمتها بصفة مشتركة كل من بريطانيا وامريكا وفرنسا وتركيا، جمهورية مصر، **مصدر سابق**،ص 691.

4- جمال الشريف، **مرجع سابق**، ص707

5- **نفس المرجع والصفحة**

وفي السودان أعلنت الحكومة عدم إعترافها بإلغاء مصر لمعاهدة 1899م حول السودان من طرف واحد، وأكدت إستمرارها في مباشرة عملها لإدارة السودان بموجب المعاهدة المذكورة، والعمل على المحافظة على الأمن في البلاد، ومواصلة الجهود في تحقيق الحكم الذاتي الكامل في السودان وفق إرادة أهله1.

وفي ذات الاتجاه خططت حكومة السودان الى الإستفادة من قرار الإلغاء بمحاولة تجريد القوات المصرية في السودان من أسلحتها؛ بحجة أن هذه القوات ترتب لمهاجمة القوات البريطانية هناك، إلا أن الحكومة في لندن رفضت فكرة التجريد؛ وأكدت أن العملية سوف تفاقم من سوء العلاقة بين مصر وبريطانيا؛ الامر الذي يعرقل عملية التوصل الى تفاهم بين الدولتين مستقبلاً حول مسألة الدفاع المشترك عن الشرق الاوسط، وهي القضية التي تشكل محور أهتمام بريطانيا بالقضية المصرية2.

في لندن أعلنت الحكومة البريطانية تمسكها بإدارة السودان وفق نصوص معاهدة 1899م، وإعتبارهما الأساس لحكم السودان، ولتهدئة مخاوف السودانيين حول هذا الموقف أعلنت إلتزمها بمنحهم الحكم الذاتي خلال فترة لا تتجاوز العام 1952م، وهذا موقف غير معتاد من الحكومة البريطانية التي كانت ترى والى عهد قريب أن أمر إعداد وتأهيل السودانيين لحكم بلادهم قد يتطلب فترة لا تقل عن العشرين عاماً، ولعل تغير الموقف كان نتاجاً لعملية الالغاء؛ وتمسك القوى الوطنية السودانية بتياريها الاستقلالي ومناصري الوحدة بضرورة إنهاء العمل بمعاهدة الحكم الثنائي للعام 1899م، وتمكين السودانيين من تحقيق مصيرهم3.

وعندما طرح رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد مبادرته بخصوص القضية المصرية بعد إعلان إلغاء المعاهدة؛ كانت مسألة السودان القضية الرئيسية التي كانت مصدر خلاف، حتى أن الملك فاروق قد أكد "للسعيد" أن مصر على إستعداد للوصول الى إتفاق مع بريطانيا في كل المسائل المتعلقة بالجلاء البريطاني عن مصر؛ شريطة أن يتم الإعتراف به ملكاً على مصر والسودان مع الاعتراف بحق السودانيين في تقرير مصيرهم في المستقبل في حال كانت لهم الرغبة في ذلك4.وطلب الملك فاروق من

1- **صحيفة السودان الجديد** عدد 10اكتوبر 1951م، دار الوثائق القومية، الخرطوم.

2- جمال الشريف، **مرجع سابق**، ص706

3- حول تصريح وزير الخارجية البريطاني "انتوني ايدن" في 15 نوفمبر 1951م في مجلس العموم البريطاني حول قضية السودان، وإعلانه الموافقة على منح السودانيين الحكم الذاتي نظر: ريدر بولاد، **بريطانيا في الشرق الأوسط منذ أقدم العصور حتى 1952م**، ترجمة حسن السلمان، بغداد، 1956م، ص 221. وانظر أيضاً التصريحات السابقة للمفاوضين البريطانيين الذين أكدوا أن السودانيين بحاجة لفترة لا تقل عن عشر الى عشرين سنة حتى يتمكنوا من القدرة على أدارة شؤون بلادهم، تصريح السفير "ستيفنسون" في جلسة التفاوض بتاريخ 26أغسطس 1951م، الهيئة العامة للكتب والوثائق، **مصدرسابق**، ص 239,

4- هيكل ، **ملفات السويس**، مصدر سابق، ص ص721-722.

بريطانيا أن تتدخل لإقناع السودانيين لما لها من تأثير عليهم بقبول فكرة الحكم الذاتي تحت سلطة الملك في مصر؛ إلا أن الحكومة البريطانية رفضت التدخل بحجة أن السودانيين متمسكون بأحقيتهم بتحديد مستقبلهم السياسي دون التدخل من أي من دولتي الحكم فيه "بريطانيا أو مصر"1.

وفي المساعي الدبلوماسية أيضاً قدم ملك السعودية عبدالعزيز آل سعود مبادرة حول القضية المصرية تضمنت مقترح خاص بالسودان يدعو الى منح الحرية التامة لشعبه لتقرير مصيره؛ لكن يشترط أن يسبق ذلك إعترافاً بريطانياً صريحاً بوحدة وادي النيل، وهو شرط على ما يبدو كانت مصر بحاجة إليه من أجل اللحصول على سند يدعم إدعاءتها التاريخية في السودان، ولم يكتب النجاح لمبادرة الملك عبدالعزيز بسبب استقالة حكومة النحاس2.

على كل؛ فإن حالة الخلاف المستمر بين مصر وبريطانيا حول قضية السودان ومستقبله السياسي قد أتاحت للسودانيين المزيد من الفرص للوصول بقضية إستقلالهم الى مراحل متقدمة، شكلت فيما بعد الأساس الذي إستندوا عليه لتحقيق استقلالهم التام عن مصر وبريطانيا.

الهوامش

1. letter From Stansgate to Beven,27 Aug1946,Douglas H. Johnson, British Document On the End Of Empire(Sudan) Part 1, 1942-1950.(London), 1998, p162.
2. 23Aug1945, Ibid, p p80-82.- Letter From Azahari to (Attlee)and (Sidgi)
3. هيئة الأعمال الفكرية، ماسي الانجليز في السودان، وثيقة قدمها وفد السودان في مصر1946، الخرطوم، د/ت، ص163
4. المعتصم أحمد الحاج، تغطية الصحف المصرية لاعمال مؤتمر الخريجين،(الاهرام نموذجاً)مركز محمد عمر بشير، امدرمان الأهلية، 2009 ص ص 36-37
5. ترأس الوفد اسماعيل الازهري، وكان وصول الاعضاء على فوجين، الاول: يضم الأزهري ومبارك زروق ومحمد نورالدين، اما الفوج الثاني فقد ضم نقدالله ويوسف التني ومحمد احمد عمر ويحي الفضلي وعبدالله ميرغني ومحي الدين البرير واحمد خير واحمد اسماعيل. صحيفة الراي العام،24مارس1946م، دار الوثائق القومية، الخرطوم.
6. المعتصم احمد الحاج، مصدر سابق، ص ص23-24

1رسالة السفارة البريطانية في باريس للخارجية البريطانية تم تحويلها الى اللسفارة البريطانية في القاهرة حول مقترحات نوري السعيد التي عرضها للسفارة في باريس حول مسألة توسطه بين بريطانيا ومصر، وما توصل اليه من قناعات حول مواقف الملك فاروق من القضية، هيكل ،**ملفات السويس**، مصدر سابق، ص ص710-711-

2- بشأن مبادرة الملك عبدالعزيز انظر:صلاح الشاهد، **ذكرياتي في عهدين**، دار المعارف، القاهرة، 1976م، ص 113وتمت استقالة النحاس وحكومتة في يناير 1952م.

7. خطاب وفد لرئيس الحكومة المصرية "صدقي" بتاريخ 7ابريل 1946،دار الوثائق القومية، الخرطوم، ملف المستودعات (أ) ص11وما بعدها
8. المعتصم احمد الحاج، مصدر سابق، ص42
9. صحيفة الايام 16يوليو 1957م مجلد(125) مذكرات أزهري، دار الوثائق؛ الخرطوم
10. أكد الحاكم العام للسودان،(هدلستون)للسفارة البريطانية في القاهرة أن الادارة وأتباعها يمثلون نسبة90% من مجموع الشعب السوداني ولا يوجد في الوفد من يمثلهم، فضلاً عن غياب ممثلين للجنوب، الرأي العام، عدد24مارس 1946م، دار الوثائق القومية، الخرطوم.
11. جمال علي الشريف، الصراع السياسي على السودان 1841-2008، مطبعة العملة السودانية، الخرطوم، 2004،ص 577
12. Dglas Johnson, Op. Cit, p137
13. المعتصم احمد الحاج، مصدر سابق، ص27
14. الهيئة القومية للكتب والوثائق ، مصدر سابق، ص 97
15. صحيفة الايام، عدد 16يوليو ،1957مذكرات أزهري، دار الوثائق القومية ، الخرطوم،
16. المعتصم احمد الحاج، مصدر سابق، ص27
17. نفس المصدر ص31
18. Doglas, Op. Cit, p141-142
19. الهيئة القومية للكتب والوثائق، مصدر سابق،ص93
20. Doglas Op. Cit, pp153-157
21. المعتصم احمد الحاج ، مصدر سابق ص ص60-61
22. الهيئة العامة للكتب والوثائق ، مصدر سابق ، ص ص74-76
23. نفس المصدر ، ص ص94-96
24. جيمس روبرتسون؛ السودان من الحكم المباشر الى فجر الاستقلال، ترجمة مصطفى عابدين، دار الجيل، بيروت، ص 156
25. هدى جمال عبد الناصر ، الرؤية البريطانية للحركة الوطنية المصرية، 1936-1952م، دار المستقبل، القاهرة، 1987م، ص226.،
26. Doglas, Op. Cit, p176 وقد خطأ روبرتسون موقف بلاده بشأن هذا المقترح، جيمس روبرتسون، مصدر سابق، ص 154.
27. الهيئة العامة للكتب والوثائق، محاضر الإجتماعين الثاني والرابع بتاريخ 19و24 اكتوبر1946م، مصدر سابق، ص ص177-183.
28. نفس المصدر، محضر الاجتماع الخامس، ص ص114-115.
29. جيمس روبرتسون، مصدر سابق، ص ص152-156.

30. جريدة الأيام،عدد 18 يوليو1957
31. نفس المصدر، عدد 19يوليو، وجمال الشريف، مرجع سابق، ص615.
32. المعتصم احمد الحاج، مصدر سابق، ص95.
33. Doglas, Op. Cit, pp 227-232.
34. جيمس روبرتسون، مصدر سابق، ص 157.
35. الهيئة العامة للكتب والوثائق، مصدر سابق، ص ص115-117.
36. جميل الياس عفارم، مشاكل السودان السياسية، شركة الطبع اللبنانية، بيروت، 1958م، ص 77.
37. جيمس روبرتسون، مصدر سابق، ص 157
38. تم تقديم المقترح من خلال مفاوضات النقراشي-كامبل، الهيئة العاة للكتب والوثائق، مصدر سابق، ص123.
39. نفس المصدر، ص124.
40. خطاب النقراشي للبرلمان المصري في 20و27يناير 1947م، وقرار مجلس الوزراء المصري في 25يناير 1947، نفس المصدر، ص127.
41. نص الشكوى التي قدمها النقراشي في مجلس الأمن، نفس المصدر، ص190.
42. جمهورية مصر،مصدر سابق، ص551.
43. الهيئة العامة للكتب والوثائق، مصدر سابق، ص ص191-210.
44. عبد العظيم رمضان، أكذوبة الإستعمار المصري للسودان، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ص122.
45. فيصل عبدالرحمن علي طه،الحركة السياسية السودانية والصراع المصري-البريطاني 1936-1953م، مركز عبدالكريم ميرغني، امدرمان، 2004م. ص 324.
46. جمال الشريف، مرجع سابق، ص 666.
47. جيمس روبرتسون، مصدر سابق، ص ص177-178.
48. موسى عبدالله حامد، استقلال السودان بين الواقعية والرومانسية، منشورات الخرطوم عاصمة للثقافة العربية، 2005م، ص331.
49. نفس المرجع، 331.
50. جيمس روبرتسون، مصدر سابق، ص ص157-159، وترأس وفد حزب الأمة رئيسه(صديق المهدي) وعضوية المحجوب وعبدالله خليل، جمال عفارة، مرجع سابق، ص 64. المعتصم احمد الحاج، مصدر سابق، ص ص123-129.
51. الهيئة العامة للكتب والوثائق، مصدر سابق، ص 136 وما بعدها.
52. Doglas, Op. Cit, pp141-142

53. الهيئة العامة للكتب والوثائق، مصدر سابق، ص 142
54. نفس المصدر، ص126
55. نفس المصدر ص137.
56. نفس المصدر، ص ص139-142.
57. جاءت نسب العضوية للمديريات على النحو التالي، النيل الازرق 14، كردفان 10، الاستوائية 9، الخرطوم 6، الشمالية 6، كسلا 6، دارفور 5، اعالي النيل 4، ويكتمل الدد الكلي 70 بتعين 10 أعضاء من قبل الحاكم العام الهيئة العامة للكتب والوثائق، مصدر سابق، ص ص145-147.
58. بخصوص صلاحيات الجمعية، نفس المصدر، ص147.
59. نفس المصدر، ص147 وما بعده
60. في 15يونيو 1948أحيطت الحكومة المصرية علماً بنشر هذه القوانين الخاصة بالجمعية ومجلسها التنفيذي، الهيئة العامة للكتب والوثائق، مصدر سابق، ص ص184-189.
61. مدولات المجلس الاستشاري، رقم(51/14/1) الدورة السابعة، ص 93.
62. الهيئة العامة للكتب والوثائق، مصدر سابق، ص131و ص ص165-175.
63. نفس المصدر والصفحات.
64. نفس المصدر، ص ص 217-237.
65. المجلس الاستشاري، (52/15/1)المداولات الثامنة، ص34. يذكرأن صياغة هذه القوانين في صورتها النهائية قد تمت بواسطة السكرتير القضائي لجكومة السودان.جيمس روبرتسون، مصدر سابق، ص178.
66. رسالة النقراشي الى الحاكم العام في السودان، والخارجية البريطانية، الهيئة العامة للكتب الوثائق، مصدر سابق، ص186
67. المجلس الاستشاري لشمال السودان، رق(52/15/1) المداولات الثامنة، ص ص 35-36.دار الوثائق القومية، الخرطوم
68. تراس الاجتماع السكرتير الاداري لحكومة السودان جيمس روبرتسون،وعضوية(12) من الجنوبين، و(5) من الشماليين هم: محمد صالح الشنقيطي، وابراهيم بدري، ووحسن احمد عثمان، وحبيب عبدالله، وسرور رملي. جمال الشريف، مرجع سابق، ص675
69. جمال الشريف، مرجع سابق، ص676
70. نفس المرجع ،ص676
71. الهيئة العامة للكتب والوثائق، مصدر سابق، ص141-142-
72. موسى عبدالله حامد، مرجع سابق، ص352

73. يمثل هذا التيار(الازهري)الذي أصدر بياناً أكد فيه رفض الإتحاديين لهذه المشروعات، وانتقد كذلك مواقف مصر بشأن السودنة، جمال الشريف، مرجع سابق، ص682

74. جيمس روبرتسون، مصدر سابق، ص182

75. الهيئة العامة للكتب والوثائق، مصدر سابق، ص ص 235-237.السودانيين الذين كانوا أعضاء بالمجلس هم:عبدالله خليل للزراعة، علي بدري للصحة، عبدالرحمن علي طه للمعارف، مع (3) وكلاء ، للوزارات ومثل الجانب البريطاني السكرتاريون الثلاثه، والقائد العام لقوة دفاع السودان و(2)آخرين عينهم الحاكم العام للسكة حديد ومشروع الجزيرة، وبعد استقالة مدير مشروع الجزيرة خلفه أحد السودانيين، وصارت لهم بذلك الأغلبية. وكان الازهري وميرغني حمزة قد رفضا المشاركة في المجلس رغم ترشيحهما.جيمس روبرتسون، مصدر سابق، ص183

76. خطاب العرش يقدمه رئيس الحكومة المصرية بإسم الملك عند إفتتاح دورة البرلمان كل عام، ويعد برنامج عمل ملزم للحكومة، عبدالحميد الحفناوي، معركة الجلاء ووحدة وادي النيل 1945-1954م،الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص278.

77. جيمس روبرتسون،مصدر سابق، ص214

78. محسن محمد، مصر والسودان الانفصال، مرجع سابق،ص39

79. انظر:خطاب النقراشي أمام النواب بتاريخ6يناير1946م،الهيئة العامة للكتب وائوثائق ، مصدر سابق، صص125-128.

80. Douglas Johnson. Op.Cit, pp224-226

81. جيمس روبرتسون، مصدر سابق، ص152

82. محمد حسنين هيكل، ملفات السويس، مركز الاهرام للترجمة، القاهرة، 1986م، ص ص680-683. وجيفري ارنسون، العلاقات المصرية-الامريكية 1946-1956م،ترجمة ترجمة السيد أمين، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م، ص20

83. فيصل عبدالرحمن، مرجع سابق، ص453

84. نفس المرجع، ص 456

85. جمهورية مصر، مصدر سابق، ص587

86. فيصل عبدالرحمن، مرجع سابق، ص476

87. مفاوضات "صلاح الدين" مع "بيفن"ا وكذا السفير البريطاني في القاهرة"ستيفنسون" محاضر الجلسات بتواريخ 26 أغسطس والايام 7و9 و15ديسمبرلسنة 1950، ومحاضر جلسات 8يونيو وأيام 9 و13و26 من شهر يوليو لسنة 1951. الهيئة العامة للكتب والوثائق، مصدر سابق، ص ص 240-278

88. مفاوضات "صلاح الدين" مع "بيفن"ا وكذا السفير البريطاني في القاهرة"ستيفنسون" محاضر الجلسات بتواريخ 26 أغسطس والايام 7و9 و15ديسمبرلسنة 1950، ومحاضر جلسات 8يونيو وأيام 9 و13و26 من شهر يوليو لسنة 1951. الهيئة العامة للكتب والوثائق، مصدر سابق ،ص ص 240-278
89. نفس المصدر، ص ص 286-287
90. جيمس روبرتسون، مصدر سابق، ص222.
91. قدم إقتراح الإستقلال من داخل الجمعية السيد عبدالرحمن علي طه، جيمس روبرتسون، مصدر سابق، ص223-
92. تم تعينها من قبل الحاكم العام في مارس 1951م من 13 عضو برئاسة القاضي البريطاني "استانلي بيكر"لتعديل الدستور واعداد السودانيين لقدر أكبر من الحكم الذاتي، بإعادة النظر في الدوائر الانتخابية وطرق الانتخابات المجازة في دستور الجمعية في العام 1948م، ورفع توصياتها للحاكم العام، وقد رفض أنصار الوحدة المشاركة فيها، واعتبروها مؤامرة بريطانية ضد الوحدة مع مصر،وقد نشأ الخلاف بين أعضاءها حول مسألة السيادة خلال فترة الانتقال، فقد رأى بعضهم أن تظل تحت سلطة الحاكم العام، فيما طالب البعض الاخر أن تكون تحت لجنة دولية، وعلى إثر رفض مقترح اللجنة الدولية تقدم ستة من أعضائها باستقالاتهم أبرزهم المحجوب والدرديري محمد عثمان. محسن محمد، سقوط النظام في 4أيام، ثورة يوليو بالوثائق السرية، دار الشروق، القاهرة، 1992م، ص 28.
93. كانت الحكومة البريطانية قد حذرت أنصار الاستقلال في السودان من التمادي في طرح مسألة الاستفتاء وأكدت أنها ستقف بقوة ضد المسألة في الوقت الحاضر، محسن محمد، مصر والسودان الانفصال بالوثائق البريطانية، دار الشروق، القاهرة،1994م، ص30
94. مذكرة قدمتها بصفة مشتركة كل من بريطانيا وامريكا وفرنسا وتركيا، جمهورية مصر، مصدر سابق،ص 691.
95. جمال الشريف، مرجع سابق، ص707
96. نفس المرجع والصفحة
97. صحيفة السودان الجديد عدد 10اكتوبر 1951م، دار الوثائق القومية، الخرطوم.
98. جمال الشريف، مرجع سابق، ص706
99. حول تصريح وزير الخارجية البريطاني "انتوني ايدن" في 15 نوفمبر 1951م في مجلس العموم البريطاني حول قضية السودان، وإعلانه الموافقة على منح السودانيين الحكم الذاتي نظر: ريدر بولاد، بريطانيا في الشرق الأوسط منذ أقدم العصور حتى 1952م، ترجمة حسن السلمان، بغداد، 1956م، ص 221. وانظر أيضاً التصريحات السابقة للمفاوضين البريطانيين الذين أكدوا أن السودانيين بحاجة لفترة لا تقل عن عشر الى عشرين سنة حتى

يتمكنوا من القدرة على أدارة شؤون بلادهم، تصريح السفير "ستيفنسون" في جلسة التفاوض بتاريخ 26أغسطس 1951م، الهيئة العامة للكتب والوثائق، مصدر سابق، ص 239,

100. هيكل ، ملفات السويس، مصدر سابق، ص ص721-722.

101. رسالة السفارة البريطانية في باريس للخارجية البريطانية تم تحويلها الى اللسفارة البريطانية في القاهرة حول مقترحات نوري السعيد التي عرضها للسفارة في باريس حول مسألة توسطه بين بريطانيا ومصر، وما توصل اليه من قناعات حول مواقف الملك فاروق من القضية، هيكل، ملفات السويس، مصدر سابق، ص ص710-711-

102. بشأن مبادرة الملك عبدالعزيز انظر:صلاح الشاهد، ذكرياتي في عهدين، دار المعارف، القاهرة، 1976م، ص 113وتمت استقالة النحاس وحكومتة في يناير 1952م.

دور الصحافة السودانية في تحفيز النخبة نحو الاستقلال (1899-1956م)

د. محمد أحمد محمد طه(•)

مستخلص

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور الصحافة السودانية في تحفيز النخبة نحو الاستقلال1899-1956م) حيث كانت للصحافة السودانية منذ مستهل العشرينات آثر واضح في ايقاظ المشاعر الوطنية وتعميق الذاتية القومية وتربية الوجدان العام ، تنبع أهمية دراسة موضوع (دور الصحافة السودانية في تحفيز النخبة نحو الاستقلال1899-1956م) لأنه وكان لها دور بارز في معركة التحرير التي كللت في نهاية المطاف بالاستقلال تكمن مشكلة البحث في هذه الورقة في دراسة (دور الصحافة السودانية في تحفيز النخبة نحو الاستقلال1899-1956م). اتبعت هذه الدراسة المنهج التاريخي والوصفي التحليلي بجمع المعلومات والحقائق من مصادرها الأصلية من وثائق ومخطوطات وصحف معاصرة وكتب ومن ثم نقدها ومقارنتها وتحليلها وتوظيفها لخدمة البحث. خُلصت الدراسة إلى نتائج من أهمها: نشأت الصحافة في السودان على يد الأجانب من المواليّن للحكم البريطاني، كانت صحيفة الغازيتة مجرد أداة من أدوات الاحتلال ولم يقتنع الاحتلال البريطاني، كانت جريدة السودان مشروعاً إعلامياً للدعاية للاحتلال البريطاني ، لعبت صحيفة رائد السودان دوراً بارزاً في النهضة الأدبية والفكرية،بدت صحيفة حضارة السودان قشورها وطنية، وهدفها ومضمونها خدمة الاحتلال البريطاني، كانت مجلة الفجر بحق بداية لفجر جديد شرق على الصحافة السودانية،كانت الصحف الحزبية على كثرتها ضعيفة الأثر على المجتمع قليلة الانتشار بسبب سوء تحريرها وتحيزها وما كانت تنتهجه من أسلوب المهاترة ونشر الأراجيف.

الكلمات المفتاحية: نشأة الصحافة السودانية على يد الأجانب، الصحف الوطنية، الصحف الحزبية

Abstract:

The study aimed to identify the role of the Sudanese press in motivating the elite towards independence (1899-1956 AD), as the Sudanese press had a clear impact since the beginning of the twenties in awakening national feelings, deepening national subjectivity and raising public conscience. The importance of studying the topic (The role of the Sudanese press in motivating the elite towards independence 1899- 1956 AD) because it had a prominent role in the liberation battle that ultimately culminated in independence. The research problem in this paper lies in studying (the role of the Sudanese press in motivating the elite towards independence 1899-1956 AD). This study followed the historical, descriptive, and analytical approach by collecting information and facts from their original sources, including documents, manuscripts, contemporary newspapers, and books, and then criticizing, comparing, analyzing, and employing them to serve the research. The study

(•) أستاذ التاريخ مساعد، جامعة دنقلا- كلية التربية مروي

concluded with results, the most important of which are: The press was established in Sudan by foreigners loyal to British rule. The newspaper Al-Ghazita was merely a tool of the occupation and the British occupation was not convinced. The Sudan newspaper was a media project to propagate the British occupation. The newspaper Raed Al-Sudan played a prominent role in the literary renaissance. And intellectually, the Sudanese Civilization newspaper seemed to have a patriotic veneer, and its goal and content were to serve the British occupation. Al-Fajr magazine was truly the beginning of a new dawn in the Sudanese press. The partisan newspapers, despite their abundance, had a weak impact on society and had little circulation due to their poor editing, bias, and the style of polemics and publishing of rags.
Keywords: The emergence of the Sudanese press at the hands of foreigners, national newspapers, party newspapers

مقدمة:

كان للصحافة السودانية منذ مستهل العشرينات آثر واضح في ايقاظ المشاعر الوطنية وتعميق الذاتية القومية وتربية الوجدان العام، وكان لها دور بارز في معركة التحرير التي كللت في نهاية المطاف بالاستقلال التام، وكانت اول صحيفة ذات أثر فاعل في ايقاظ المشاعر العامة والذود عن حق السودانيين في الحكم الذاتي والاستقلال، حيث كانت الصحافة الوطنية منبراً إعلامياً حراً تبلورت فيه الأفكار التي خلقت جيل قادم قادر على أحداث التغيير في السودان ولا يخفى على الباحث المتفحص عن الحقيقة ما حققته الصحافة من أهداف عظمى فالأدوار الاجتماعية والأدبية والسياسية كلها شيء مترابط لا ينفصل عن بعضه البعض ، فعملت الصحافة على التثقيف والتنوير والتوعية للشعب بمختلف فئاته وطبقاته ، فتبارت الأقلام في طرح الأفكار وفي النقد وفي الشعر تنافح وتناهض المستعمر فوجد المثقفون ضالتهم في الكتابة بمختلف مسمياتها فامتلأت صفحات الصحف والمجلات فكان الانتاج غزيراً ومفيداً فالذين كتبوا عبر هذه الصحف والمجلات هم خريجي كلية غوردون المتشبعين بالثقافات المتعددة والمجيدين للنظم مقالاً ونثراً وشعراً فكما مر فقد برز عبيد حاج الأمين كاتباً سياسياً ومحمد أحمد المحجوب خطيباً مفوهاً وخليل فرح شاعراً مجيداً فكانت قصائده محل نظر اهتمام الحكومة فقد ترجمت الحكومة بعض أشعاره وكانت تستجوبه عن هذه القصائد وما تدل عليه ففي هذا الجو الأدبي والثقافي تباينت الأفكار هنا وهناك ولكن كان الهدف هو التخطيط لمواصلة الجهود الوطنية بطرق أكثر فاعلية غير التي كانت من قبل فأعد المثقفين والسياسين والمفكرين عدتهم للسير بخطى ثابتة في رحلة النضال ضد الإستعمار.

أسباب اختيار الموضوع:

نجد أن تاريخ السودان الحديث والمعاصر لازال حافلاً بكثير من الزوايا المعتمة، والمناطق الغامضة التي تحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة حتى تكتمل ملامح هذا التاريخ وأبعاده وتتصل حلقاته، ومحاولة من الباحث للإسهام في هذا الجانب بما يستطاع من جهد يأتي اختياري لموضوع هذه البحث.

أهمية البحث:

تنبع أهمية دراسة موضوع (دور الصحافة السودانية في تحفيز النخبة نحو الاستقلال1899-1956م) لأنه وكان لها دور بارز في معركة التحرير التي كللت في نهاية المطاف بالاستقلال.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى الآتي:

1.التعرف على نشأة الصحافة السودانية على يد الأجانب.

2.التعرف الصحف السودانية التي ظهرت في هذه الفترة

3.التعرف على الصحف الحزبية التي نشأة في هذه الفترة.

مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث في هذه الورقة في دراسة (دور الصحافة السودانية في تحفيز النخبة نحو الاستقلال1899-1956م).

منهج البحث:

اتبعت هذه الدراسة المنهج التاريخي و الوصفي التحليلي معتمداً على جمع المعلومات والحقائق من مصادرها الأصلية .

حدود البحث:

تحدد هذه الدراسة بالحدود الآتية:

1.الحد المكاني: تغطي هذه الدراسة في حدودها المكانية السودان.

2.الحد الزماني: من 1899-1956م.

نشأة الصحافة السودانية على يد الأجانب

تختلف نشأة الصحافة في السودان عن غيرها من بقية الدول الإفريقية والعربية فإذا كانت الصحافة قد نشأت على يد الأوربيين في أفريقيا وعلى يد الوطنيّن والمتعلمين في الدول العربية فإنها قد نشأت في السودان على يد الأجانب من المواليّن للحكم البريطاني(لجنة توثيق تاريخ الصحافة السودانية، بدون تاريخ،ص2).

قد سبق إنشاء صحيفة(السودان) أشكال صحفية لا يمكن اعتبارها صحفاً بالمعني العلمي للصحيفة،فإذا كان مفهوم الصحيفة يعني الورق والطباعة وجمهور القراء، فإن الأشكال الصحفية التي ظهرت قبل ظهور (السودان) لا ينطبق عليها هذا المفهوم،لا تعتبر مثلا أن منشورات المهدية عام 1885م نوعاً من الصحف، فهى منشورات بمثابة بيانات تروج لفكر المهدية في بداية الدعوة، ثم أصبحت أداة الحكومة المهدية لاصدار الأوامر والتعليمات ونشر آراء محمد أحمد المهدي زعيم الثورة المهدية، وقد جمعت هذه المنشورات فيما بعد في مجلدات سميت" منشورات المهدية" وفي المقابل كانت هناك نشرات معادية للمهدية تصدر في سواكن شرق السودان(عبد اللطيف،1992م، ص19).

وفي عام 1896م صدرت نشرات عن الاحتلال تتضمن أنباء الجيش الغازي المحتل، منها نشرة" نقلا نيوزDongla News" و"جورنال حلفاHalfa Journal"(عبد اللطيف،1992م،ص19).

صحيفة الغازيتة(1899م):

إن أول صحيفة أنشئت هي (الغازيتة) السودانية وقد نشر في أول أعدادها نص إتفاقية سنة 1899م(الطاهر، 2001م،ص20)، وقد صدرت غازيتة السودان في 4 صفحات من الحجم الصغير، وجاء في العدد الأول ما يلي:" تصدر هذه الغازيتة عن حكومة السودان لنشر القوانين واللوائح والاعلانات الصادرة منها(صالح، 1971م،ص13) لحسن توجيه أهل السودان وارشادهم بنظام الحكومة الرشيدة وفي السنة الأولى كانت تصدر مرتين في الشهر(عبد اللطيف، 1992م،ص20).

تعتبر الغازيتة مشابهة للوقائع المصرية، ويري بعض الباحثين إنها جزء مكمل لخطة بريطانيا في إحتلال السودان، فهي تعتبر وسيلة اتصال بين الإدارة البريطانية وأهل البلاد بحيث تشعرهم من خلال نشرها للأوامر والقوانيين عن بلادهم إنما تحكم بالقانون وليس برغبات الحكم، وهكذا ظهرت قبل صحيفة السودان أشكال صحفية ولم تكن هناك صحف بالمعني العلمي للصحيفة(عبد الرحيم، 1977م،ص10).

الغازيتة العسكرية:

نشرة شهرية، أصدرتها إدارة الجيش المصري بالسودان عام 1899م وكانت تهتم بأخبار القوات المصرية في السودان(الطاهر، 2001م،ص20)

مهما يكن من أمر فإن الصحافة في السودان بدات مع بداية الاحتلال البريطاني عام 1899م وأن الغازيتة كانت مجرد أداة من أدوات الاحتلال ولم يقتنع الاحتلال البريطاني بأهميتها في نشر أفكار وسياسته والترويج لبريطانيا وربط السودان بأهدافها وسياستها، فأوعز اللورد كرومر([1]) إلى أصحاب صحيفة المقطم في مصر بإصدار جريدة السودان في السودان(عبد اللطيف، 1992م، ص20) (صالح، 1971م، ص16)

جريدة السودان(1903-1924م):

نشأة جريدة السودان في 28 سبتمبر1903م لأصحابها(سعد، 1977م، ص23) (البحيري، 2009م، ص532) وهم ثلاثة من ابناء الشام : فارس نمر، يعقوب صروف، شاهين مكاريوس(صالح، 1971م،ص14) والذي تولى شئونها وإدارتها وتحريرها هو حضرة صاحب العزة الأستاذ خليل ثابت(الطاهر، 2001م، ص20) وذكرت في أول عدد لها إن مهمتها الإشتغال بتوطيد الحكم ونشر تحركات الحكام وتسجيل أهم الحوادث ونشر كل من شأنه بترك السكينة في قلوب أهل

---

(1) **اللورد كرمر(1841-1917م)**: دبلوماسي بريطاني وإداري،عمل في المستعمرات البريطانية، كان مفوضاً بريطانياً مسؤولاً عن مصر خلال الأزمة المالية المصرية عام1879م وبعده عمل قنصلاً بريطانيا في مصر من1883-1907م، ارغم على الاستقالة من منصبه عقب أحداث دانشوي في مصر؛ انظر جمال الشريف، الصراع السياسي على السودان1840-2008م،ط1، دار المصورات، الخرطوم،2009م،ص965.

السودان والحياة السعيدة لهم ، وكانت صحيفة السودان منذ نشأتها وثيقة الصلة بالدوائر البريطانية الحاكمة المعبرة عن سياسة اللورد كرومر المعتمد السامي البريطاني في مصر وسياسة الإحتلال بشكل عام(لجنة توثيق تاريخ الصحافة السودانية، بدون تاريخ، ص2)(سعد،1977م،ص23).

حددت صحيفة السودان سياستها منذ اللحظة الأولى بأنها تتناول الأبحاث والأخبار التي تهتم بالسودان ومن فيه، واقتطاف الحوادث الخارجية التي يلذ الوقوف عليها(صالح،1971م،ص16)، وأكدت إنها ستكون وصلة بين الهيئة الحاكمة والمحكومة، وبعد عام من الصدور أعلنت إنها قد وفقت بحمد الله إلى اكتساب ثقة ولاة الأمور وأعيان البلاد والتجار لقيامها بالخدمة العمومية(عبد اللطيف،1992م،ص23).

قد استمرت تصدر لمدة 22 عاماً، ففي عام 1925م تم اتفاق بين حكومة السودان وشركة "مكرو كودايل" الإنجليزية على أن تتولى مطبوعات حكومة السودان فاحتكرت الشركة الإنجليزية الطباعة في السودان بشراء كل المطابع الموجودة بالخرطوم ومن بينها مطابع جريدة السودان وانتهت بذلك قصة جريدة السودان(عبد اللطيف،1992م،ص28)

مهما يكن من أمر لم تكن جريدة السودان مجرد صحيفة سودانية فقط وإنما كانت مشروعاً إعلامياً للدعاية للاحتلال البريطاني من خلال الطباعة وما تنشره وبيع الكتب والمجلات والصحف الأجنبية

صحف أخري يصدرها الأجانب:

مجلة الغرفة التجارية:

ظلت جريدة" السودان" وحدها في الساحة الصحفية عدة سنوات وفي عام 1908م صدرت" مجلة الغرفة التجارية" عن الغرفة التجارية التي تكونت في نفس العام من ممثلين للبيوتات التجارية ومعظمهم من اليونانيين والايطاليين والشوام وبعض المصريين، ولم تنتظم في الصدور فتوقفت وقد أشار إليها تقرير مديرية الخرطوم في ذلك الوقت فقال:" أنشأت الغرفة التجارية نشرة شهرية بالغتين العربية والإنجليزية تروج فيها مقالات عن محصولات البلاد وتجارتها(سعد،1977م،ص15)

صحيفة الخرطوم(1909م):

وفي العام 1909م أنشئت صحيفة الخرطوم لصاحبها سعد يسى المساح الذي كان قد وصل الخرطوم مراسلاً لجريدة الظاهر(الطاهر،2001م،ص20) التي يصدرها بالقاهرة محمد أبو شادي بك باصدار صحيفة سماها" الخرطوم"، إلا أنها لم تستمر طويلاً فأصدر بدلاً منها" كشكول المساح" لكنها لحقت بأختها بعد وقت قصير، ولم يكتب لها الاستمرار(محمد،1980م،ص38).

صحيفة رائد السودان(1913-1989م):

كما أنشئت جريدة رائد السودان وأصحاب امتيازها هم ساولو وخريستو(الطاهر،2001م،ص60) (صالح،1971م،ص29) أصحاب مطبعة فكتوريا من رجال الجالية اليونانية وقد تولى تحريرها الأستاذ عبدالرحيم قليلات(كشه،1967م،ص16) هو أديب وشاعر سوري كان يعمل موظفاً

بالسكة حديد، وقد لعب دوراً بارزاً في النهضة الادبية والفكرية، كان يحررها معه فؤاد الخطيب وجميل الرافعي(عبد اللطيف،1992م،ص39)

في عام 1917م القي القبض على رئيس التحرير قيلات وابعد عن السودان بعد نشره لمقال(كشه،1963م،ص57) بعنوان بيت الشعر(تموت الأسود في الغابات جوعاً ولحم الضأن تأكله الكلاب) مهاجماً فيه الإستعمار قارنا بين الشظف الذي يلقاه أهل البلاد والنعيم الذي يحيا فيه المستعمرون تولاه بعده جميل الرافعي ،ثم توفيق وهبي وحامد سعفان،ثم آلت رئاسة تحريرها للأستاذ السيد حسن شريف المتخرج من كلية غردون([1]) فتولاها إلى أن توقفت عن الصدورفي عام 1918(الطاهر،2001م،ص60)(صالح،1971م،ص29)

يمكن القول أن صحيفة رائد السودان قد لعبت دوراً بارزاً في النهضة الأدبية والفكرية التي جاءت إرهاصاتها الأولى قبيل مولد الصحيفة.

مجلة السودان في رسائل ومدونات(sudan Notes and Records)

في عام 1918م صدر العدد الأول من (مجلة السودان في رسائل ومدونات) وهي دورية حكومية تعنى بالدراسات السودانية وتصدر ربع سنوية وتهتم بالبحث عن التاريخ والفلكلور والعادات والتقاليد الخاصة بالمجتمعات السودانية، وكانت تمولها الحكومة وتشرف عليها لجنة من كبار الموظفين الإنجليز يرأسهم الحاكم العام وكانت تهدف لتزويد الإداريين الإنجليز وواضعي السياسة والمهتمين بشئون السودان بمعلومات وبيانات عن البلاد، وظلت تصدر باللغة الإنجليزية حتى عام 1956م وهو عام الاستقلال(عبد اللطيف،1992م،ص39)([2])بعد أن أصبحت لسان حال الجمعية الفلسفية السودانية(صالح،1971م،ص37)(الطاهر،2001م،ص60).

ظهور الصحافة الوطنية على يد السودانيين

مهدت جريدة السودان إلى ظهور الصحافة الوطنية على يد السودانيين حيث وضعت هذه الصحيفة أسس صناعة الصحافة وفنونها في السودان.

عوامل ظهور الصحافة الوطنية:

ساعد على ظهور الصحافة الوطنية مجموعة من العوامل:

1.ظهور السودانيين المتعلمين الذين تخرجوا من كلية غردون والمدرسة الابتدائية

---

(1) أُنشئت كلية غردون في العام 1902م تخليدا لذكرى الراحل غردون باشا الذي قتلته قوات الإمام محمد أحمد المهدي عام 1885م يوم فتح الخرطوم، وتم إنشاؤها من قبل اللورد كتشنر الحاكم العام للسودان وكانت بمثابة المدرسة الثانوية الوحيدة في السودان.؛ بشير محمد سعيد ، وثائق لجنة الاحتفال باليوبيل الذهبي لمؤتمر الخريجين في السودان 1938.1988م لجنه إحياء ذكرى المؤتمر،الخرطوم،(ب.ت)،ص21.

(2) تحولت بعد ذلك إلى دورية متخصصة في الشئون العلمية،ولا زالت تصدر حتى الآن تحت اشراف الجمعية الشعبية السودانية؛ انظر صلاح عبد اللطيف، مرجع سابق،ص30.

2. تحسن الاوضاع الاقتصادية وانتعاش التجارة وانشاء مشروعات اتصالية مثل انشاء الخط الحديدي من الخرطوم إلى الأبيض عام 1912م وافتتاح ميناء بورتسودان عام 1909م، وامتدت الأسلاك التلفونية في العاصمة وأنشئت الفنادق والمصانع الصغيرة والنوادي مما ساعد على تهيئة ظهور رأي عام مستنير، وكتاب سودانيين مثل الشيخ البنا وأحمد محمود صالح وتوفيق صالح جبريل الذي كانوا في صحيفة رائد السودان مع حسين شريف،وفي هذا الجو العام من التقدم التعليمي والاقتصادي ظهرت بوادر الحركة الوطنية التي أدت إلى انشاء جمعية اللواء الابيض التي قادت ثورة 1924م السودانية ضد الاحتلال الأجنبي.

3. أن الانجليز بعد أن استخدموا الصحفيين الأجانب لخدمة مصالحهم رأوا أن صحيفة يحررها سودانيون يمكن أن تخدمهم أفضل من خدمة الأجانب (صالح، 1971م،ص32)

جريدة حضارة السودان(1919-1938م):

في هذا المناخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي ظهر العدد الأول من جريدة حضارة السودان في 28 فبراير 1919م بعد اختفاء صحيفة"رائد السودان" التي رأس تحريرها حسين شريف([1]) والذي دعا إلى إنشاء صحيفة وطنية تملأ الفراغ الذي تركه (الرائد) وتعبر عن آراء المثقفين السودانيين وآمال الشعب السوداني خاصة أن عدد المثقفين المتعلمين كان قد تزايد عام 1918م، ووصل عدد خريجي كلية غردون في هذا العام إلى 550طالباً.

يمكن القول أن حضارة السودان هى أول صحيفة وطنية سودانية وأن رئيس تحريرها حسين شريف هو أول صحفي سوداني، لكنها بدت صحيفة قشورها وطنية، وهدفها ومضمونها خدمة الاحتلال البريطاني.

تمثل صدور صحيفة الحضارة عام 1919م بداية جديدة في تاريخ ونشأة وتطور الصحافة السودانية لا من حيث ملكية الصحف فحسب ولكن أيضاً من حيث تأكيد حقيقة ارتباط الصحافة السودانية الخالصة بالسياسة وارتباط السياسية بالصحافة بحيث أنه يصعب أخذ أي منهما بمعزل عن الآخر، لقد مرت صحيفة الحضارة بنوعين من الملكية ولكنها كانت ملكية سودانية خالصة في الحالتين(لجنة توثيق تاريخ الصحافة السودانية،بدون تاريخ،ص2).

المحرك الأول لصدور صحيفة الحضارة هو الراحل الاستاذ حسين شريف الذي كان قد نادي في كل من صحيفة السودان وصحيفة رائد السودان وبعد ذلك قام جماعة من السودانيين بإنشاء مطبعة وإصدار صحيفة بإسم حضارة السودان وقال مقولته المشهورة(شعب بلا جريدة قلب بلا لسان) وتمخضت تلك الدعوة(لجنة توثيق تاريخ الصحافة السودانية،بدون تاريخ،ص6) عن تأسيس شراكة

---

(1) **حسين شريف(1881-1928م)**: أول صحفي سوداني، بدأ حياته الصحفية في رائد السودان وعمل رئيساً لتحريرها في سنواتها الأخيرة، ودعا إلى إنشاء صحيفة وطنية وساهم في إنشاء صحيفة حضارة السودان ورأس تحريرها ينتسب إلى عائلة المهدي؛ صلاح عبد اللطيف، مصدر سابق،ص176.

محدودة مكونة من كل من السادة: عبد الرحمن المهدي([1]) وعثمان صالح، عبد الرحمن جميل، حسن أبو، محمد عكاشة، فقد كانت هذه تركيبة ملكيتها الأولى مجموعة من التجار وكبار رجال طائفة الأنصار وقد صدرت الصحيفة في يوم الخميس28 فبراير1919م (صالح، 1971م،ص39)وظلت توالي الصدور صحيفة أسبوعية يوم السبت من كل أسبوع حتى ديسمبر1919م، يلاحظ في هذا الطور الأول من تركيبة ملكية تلك الصحيفة أنها اقتصرت على زعيم طائفة الأنصار وجماعة من المقربين إليه ودخول زعيم ديني مرموق مثل السيد عبد الرحمن معترك ملكية الصحف يدل على وعي ذكي ومبكر بأهمية الصحافة بالنسبة له كزعيم ديني يتمتع بشعبية واسعة في أرجاء السودان المختلفة(لجنة توثيق تاريخ الصحافة السودانية،بدون تاريخ،ص7-8).

أما تغيير ملكية الحضارة حدث في أعقاب عودة وفد سوداني سافر إلى لندن في يوليو عام 1919م وعاد إلى الخرطوم في 16 أغسطس1919م لتهنئة فيما قيل الملك جورج الخامس بانتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى التي ألحقت الهزيمة فيها بكل من ألمانيا وتركيا" زعيمة العالم الإسلامي آنذاك بحسبانها مقر للخلافة الإسلامية" وكان ذلك الوفد برئاسة السيد على الميرغني زعيم طائفة الختمية وضم في عضويته كل من السيد عبد الرحمن المهدي والشريف يوسف الهندي طيب الله ثراهم أجمعين، كما كان يضم الوفد أيضاً بعض زعماء القبائل السودانية(حسن وآخرون،2002م، ص506)

---

(1)**عبد الرحمن المهدي (1885-1959م):** ولد في مدينة أم درمان السودانية وترعرع في بيئة دينية فقد حفظ القرآن وهو في سن الحادية عشره من عمره وتلقى دروساً في القضاء وعلوم الدين في مجلس الخليفة المهدي والأنصار وبعد سقوط الدولة المهدية ودخول الجيش البريطاني السودان كان من المدافعين عن الخلافة المهدية وقد تم أسره1898م و من ثم أخرج من اسر وانتقل إلى مناطق متعددة مع من تبقى من أسرة المهدي شارك في حادثة الشكابة عام 1900م، استقر في الجزيرة أبا المعروفة بأراضيها الزراعية فقد أعطى أرضا من قبل الحكومة لزراعتها وتعميرها عام 1906م مقابل تملكها بعد تعميرها لمدة خمس سنوات وبعد ذلك استطاع تجديد العلاقة مع الأنصار وجمعهم حوله، ومن ثم انتقل إلى أم درمان وأستقر فيها وبعد قيام الحرب العالمية الأولى ونتيجة لحاجة بريطانيا لدعم ومساندة الطوائف والقبائل السودانية في الحرب سياستها تجاه الأنصار أنصار المهدية عملت على تقريبه من خلال دعم المهدي بتوسيع زراعته ومعاملاته الاقتصادية لذلك فقد رفض المهدي الثورة المسلحة ضد بريطانيا في السودان، لذلك فقد رفض ثورة 1924م ضدها وكان يقوم بالضغط وبطريقة سلمية على بريطانيا وكان يرفض فكرة الاتحاد مع مصر،واعد الاعتراف باتفاقية الحكم الثنائي (بين مصر وبريطانيا) ورفع شعار السودان للسودانيين، إلا انه ساند مذكرة مؤتمر الخريجين عام 1942م. وفي عام 1945م أنشأ حزب الأمة، وفي العام 1946م أنشأ رابطة شباب الأنصار، ودعي إلى ضرورة منح السودان حق تقرير المصير وسافر إلى القاهرة ولندن عده مرات بهذا الخصوص وبعد الانتخابات السودانية عام 1953م حصل حزبه على 22 مقعد مما جعله يشكل المعارضة في المجلس حتى الاستقلال في عام 1956م توفي سنة1959م؛ عبد الرحمن المهدي،مذكرات الإمام عبد الرحمن المهدي، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، د.ت، ص156.1 .

كانت سياسة التحرير في صحيفة الحضارة خاضعة كلية للسلطة الإستعمارية البريطانية في الخرطوم عن طريق قسم المخابرات في مكتب السكرتير الإداري فإن التوجه السياسي لصحيفة الحضارة ربما كان تخطيطاً وتنفيذاً من الإدارة البريطانية ولكنه أيضاً ربما كان تعبيراً عن رؤية فئة جديدة ناشئة في أوساط الطبقة الوسطى من السودانيين يقودها حسين شريف وبعض الملتفين حوله في صحيفة الحضارة بحيث أن تلك الفئة البرجوازية الناشئة كانت تفضل حكم الإنجليز على حكم المصريين للسودان حسبما جاء في مقالات رئيس التحرير وبإختصار شديد يمكن القول بأن أطروحات صحيفة الحضارة السياسية ظلت مثاراً للجدل السياسي الساخن بين معسكرين رئيسيين هما : معسكر الدعوة الإستقلالية التي تنادي بأن يستقل السودان عن مصر ، ومعسكر الإتحاديين الموالي لمصر يريد الوحدة مع مصر . استمرت صحيفة الحضارة حتى توقفت عن الصدور والعمل في العام 1938 م وذلك بسبب عدم ثقة الحكومة والقراء فيها فأخبارها صارت تأتي متأخرة وتحتاج إلى الصراحة فيما تطرحه، وكانت في سماتها العامة صحيفة محافظة تعبر عن الحكومة (حسن وآخرون، 2002م، ص507).

نشر الفجر مقالات قوية بقلم رئيس تحريرها حسين شريف، عن المسألة السودانية، واستنفرت المفكرين السودانيين للقيام بنشاط ثقافي في مجالات البحوث العلمية والمناقشات والمناظرات العامة،ذلك لان مثل هذا النشاط عندها من شأنه أن يؤدي إلى حركة فكرية حية تفتح آفاقاً جديدة أمام الأهلين،وتعيين على خلق رأي عام مستنير ونادت ايضاً بإنشاء صندوق الاهلي لنشر المعرفة ونادت ايضاً بتعليم المرأة(جريدة الأيام،1956م،ص28).

الصحف الأدبية:

شهدت الثلاثينات مولد مجلات تهتم بالفكر والرأي وتهني بالجوانب الأدبية التي تسللت من خلال الأدب إلى السياسة لتعبر عن رأيها ورأي أصحابها وكتابها، ومنها تخرج جيل من السياسيين قادوا إلى الاستقلال كما تخرج منها صحفيون أصبح لهم صحفهم المستقلة.

مجلة النهضة:

صاحب الامتياز الناشر ورئيس التحرير محمد عباس أبو الريش([1])،مجلة ادبية، ثقافية، أخلاقية، تاريخية، أسبوعية، صدر العدد الأول منها في 4/أكتوبر/1931م، توقفت عن الصدور في 27/ مارس/1932م وقبل توقفها كان صاحبها مريضاً وكان يشرف عليها عرفات محمد عبد الله ومحمد أحمد محجوب إلى أن توقفت في 27 مارس عادت للصدور في 6/نوفمبر/1932م توقفت عن الصدور بعد وفاة محمد عباس أبو الريش في نهاية عام 1932م صدر منها 32 عدد خلال 14 شهر(الطاهر، 2001م،ص60)(جريدة الأيام،1956م،ص28) اهتمت مجلة النهضة لنشر ثقافتها

---

(1) **محمد عباس أبو الريش(1908-1935م)**: ولد عام 1908م وتخرج من كلية غردون وبدأ حياته محاسباً، وأصدر مجلة النهضة؛ انظر صلاح عبد اللطيف،مصدر سابق،ص183.

السودانية،وإنارة الطريق أمامها ولكن صفحتها مع الاسف انطوت بوفاة صاحبها(عبد اللطيف،1992م،ص40).

فتحت مجلة النهضة الباب أمام المثقفين السودانيين للتعبير عن أنفسهم ورغم قصر المدة التي صدرت خلالها إلا أنها كانت بداية لتدفق جديد من المجلات الأدبية مثل (مرآة السودان) لصاحبها ورئيس تحريرها الاستاذ سليمان كشة(جريدة الأيام،1956م،ص28)، ومجلة "كلية غردون" التي كان يحرر فيها اساتذة وطلبة الكلية عام 1933م، كما ظهرت مجلات متخصصة مثل" الكشافة" عام 1931م، ومجلات دينية مثل" الطريق القويم" و"النصير" الإسلاميين، وفي هذه الفترة ظهرت جريدة أسبوعية عام 1934م لصاحبها عبد الرحمن أحمد ومحمد السيد السواكني باسم" السودان" واستمرت سبع سنوات، ومجلة" الجريدة التجارية" من 1928-1930م الأسبوعية الأدبية لصاحبها سليمان قنديل(عبد اللطيف،1992م،ص43)

تتسم هذه المجلات بأنها ابتعدت عن السياسة ودخلت معترك الحياة الاجتماعية والثقافية فهيات لحركة سياسية فيما بعد.

مجلة الفجر(1934-1937م):

تعتبر مجلة الفجر التي صدرت في يونيو 1934م من أهم المجلات السودانية وأشهرها وأعمقها أثراً في تربية الوجدان العام وتعميق الذاتية السودانية ونشر الثقافة والمعرفة، وأصدرها الاستاذ عرفات محمد عبد الله([1]) الذي حدد سياستها في عددها الأول قائلاً: هذه صحيفتنا تستمد مبدأها وصفتها من أسمها الذي أسميناها به وآملنا وطيدة في انها ستكون فجراً صادقاً يتلوه صبح وضاح ونهار مشرق، نتشر اشعة شمسه الشافية تقضي على جراثيم الجهل والحقد والعصبية والتأخر والجمود،وتبعث فينا وفي أبناءنا واحفادنا وابنائهم أحفادهم روحاً جديدة، همة تأبي على صاحبها أن يكون مع القواعد في حين سار المجدون والمجاهدين بموكب الحضارة شوطاً بعيداً(جريدة الأيام،1956م،ص28).

كان للفجر في عامها الأول طابع أدبي يميزها،ولكنها أخذت قليلاً قليلاً تولى المسألل السياسية الداخلية منها والخارجية مزيداً من أهتمامها وكانت كلماتها الافتتاحية تعبر عن رأي المفكرين السودانيين تقاوم القبلية والطائفية، وتدعو الحكمة بالموعظة الحسنة(جريدة الأيام،1956م،ص28).

---

(1)**عرفات محمد عبدالله** : هو من عائلة ذات أصول قبطية ودخل والده الإسلام في فترة حكم المهدية تخرج عرفات من كلية غوردون عام 1916م وعمل بإدارة البريد والتلغراف بالخرطوم حتى عام 1924م وفي هذا الأثناء انشغل بأحداث ثورة 1924م في السودان واستطاع أن يهرب بعدها إلى القاهرة حيث قبض عليه بالخطأ واعتقل لمدة سبعة أشهر واشتبه فيه أنه متورط في حادثة مقتل السردار (سير لي ستاك) حاكم عام السودان ولكن أُفرج عنه بعد أن عُرف القاتل الحقيقي وبعدها عاد إلى الخرطوم في العام 1931م وفي العام 1934م تقدم لإدارة الأمن والمخابرات للحصول على تصريح بإصدار مجلة نصف شهرية تسمى (الفجر) وبالفعل تم له ذلك فصدرت المجلة وقد اختير اسم الفجر ليكون رمزاً لحركة جيل جديد من الشباب السوداني . صلاح عبداللطيف ، الصحافة السودانية تاريخ وتوثيق ، د . ن ، د . ت ، ص 45

تلقي الأهليين معاني القومية والوطنية وترهف مشاعرهم بما كانت تتحفهم به من شعر رصين في بابها الشهير(مزمار داوود) الذي كان يتغني فيه المبدعون من الشعراء السودانيين، التجاني يوسف بشير، مرضي محمد خير،يوسف مصطفى التني([1])، وصالح عبد القادر، وخلف الله بابكر، وتوفيق صالح جبريل،وغيرهم،وكان من كتاب الفجر البارزين الاساتذه الافذاذ أحمد يوسف هاشم، ومحمد أحمد محجوب، ومحمد عشري صديق،ودكتور عبد الحليم محمد(جريدة الأيام،1956م،ص28).

قد توفرت للمثقفين فرصة أوسع لطرح أفكارهم حول المشاركة في مستقبل البلاد وذلك عندما رفعت الرقابة عن الصحف عام 1935م فأعلنت مجلة الفجر في أول افتتاحية لها بعد رفع الحظر بأن سياستها قد تغيرت وأنها ستنتقل من التركيز على الآداب والفنون إلى الإهتمام الأساسي بالحياة الإجتماعية والسياسية بالبلاد فأعلنت عن عدم رضائها بالأوضاع القائمة بالسودان وقد آن الأوان الذي ينبغي أن تبدأ فيه الحكومة بما لها من وصايا لتعطي الوطنيين فرصة لكسب الصفات اللازمة للحكم الذاتي(لجنة توثيق تاريخ الصحافة السودانية،بدون تاريخ،ص7-8).

ظلت الفجر تنافح وتناهض الإستعمار وتدعوا للقومية إلى أن توفى صاحبها عرفات محمد عبدالله صباح الخميس الباكر 23 يوليو 1936م وهو في السابعة والثلاثين من عمره وتولى أحمد يوسف هاشم المسؤولية من بعده إلى أن توقفت المجلة نهائياً عن الصدور في العام 1937 م (القدال،1992م،ص466).

مهما يكن من أمر فقد كانت الفجر بحق بداية لفجر جديد شرق على الصحافة السودانية كتابها شباب ثأئر واسع الاطلاع، يقرأ ما يحمله بريد الغرب من كتب وصحف ومجلات، ويؤمن بأن تزاوج الثقافتين الاوروبية والغربية سبيلاً لخلق ثقافة سودانية.

جريدة السودان:

في عام 1934م صدرت جريدة أسبوعية أخرى باسم(السودان) أصدرها الشيخان الجليلان عبد الرحمن أحمد ومحمد السيد واشتهرت بجرأتها وقوة معارضيها ومناصرتهم للحق وكان من كبار كتابهاالاستاذ خضر حمد الذي كان له فيها عمود اسمه(في الصميم) ينشرة بتوقيع (طبجي) يتناول فيه بالنقد والموعظة الحسنة الشئون العامة، وينادي بوحدة الصف وجمع الشمل(جريدة الأيام،1956م،ص28).

نشأة وتطورالصحف الحزبية

تصدر الصحف الحزبية عن حزب أو تجمع سياسي معين كوسيلة للعمل الجماهيري توظف لخدمة الأهداف التي يدعو إليه الحزب ونشر سياساته.

---

(1) **يوسف مصطفى التني:** ساهم في إنشاء جريدتي النهضة والفجر، ورأس تحرير صحيفة النيل، عمل في السلك الدبلوماسي وعين سفيراً للسودان في القاهرة؛ صلاح عبد اللطيف،مصدر سابق،ص185.

صحيفة النيل(1935-1969م):

شهد العام 1935م حدثاً ضخماً في دنيا الصحافة بالسودان، بمولد أول صحيفة يومية(النيل) الذي أصدرها السيد عبد الرحمن المهدي زعيم طائفة الانصارة([1]) ونخبة من الاصدقاء من أصحاب شركة الطبع والنشر، واختار لها أول الأمر محرراً مصرياً هو الاستاذحسن صبحي([2]) تساعده نخبه من الصحفيين السودانيين([3]) وكان للنيل مطبعتها الخاصة بها وكانت تصدر ملاحق ثقافية وأدبية ورياضية(جريدة الأيام،1956م،ص28).

بتقاعد الاستاذ حسين صبحي تولى رئاسة تحريرها الاستاذ أحمد يوسف هاشم([4])يساعده الاستاذ محمود مصطفى الطاهر، وجعل منها منارة للفكر والنقد الصادق الامين، ومن أعمدتها ناصر مؤتمر الخريجين العام، وكان من كبار قادته، وانتقد الادارة البريطانية في شجاعة وقوة وما كان يصدر عنها من أعمال تعسفية في مقالات شهيرة بعنوان(حكومة المفتشين) (جريدة الأيام،1956م،ص28).

كان الأستاذ أحمد يوسف هاشم ذا باع طويل وآثر عميق في عالم الصحافة السودانية كان كاتباً مبدعاً، وأسلوبه سهل اخاذ، وكان شجاع الرأي لا تأخذه في الحق لومة لائم، وكان قد نال تدريبه الصحفي في القاهرة على أيدي جهابذة الصحافة المصرية وعماليقها، وكان سيادته صاحب فكرة مذكرة مؤتمر الخريجين التي نادت للسودان بحق تقرير المصير عام1942م، وكان أول صحفي سوداني كبير يقوم بجولات استطلاعية في أقاليم السودان لاسيما في المناطق التي كان دخولها محرماً على أهل شمال السودان الا باذن المناطق المقفولة، ومكنته تلك الجولات والاستطلاعات من كشف كثير من الماسي والمظالم التي كان يكتوي بنيرانها المواطنون(جريدة الأيام،1956م،ص28).

---

(1) **طائفة الأنصار:**يقصد بهم أنصار الثورة المهدية التي قادها محمد أحمد المهدي ضد الحكم التركي المصري عام 1885م استطاع طرد الأتراك من السودان واستمر حكمه حتى 1898م وبعد سقوط الدولة على يد قوات الغزو البريطاني ؛ عبد العزيز حسين الصاوي وآخرون،الثورة المهدية في السودان مشروع رؤية جديدة،شركة الفارابي للنشر،1990،ص236.

(2) **حسن صبحي:** من رواد الصحافة في السودان، مصري الجنسية، أول رئيس تحرير لصحيفة النيل؛ انظر صلاح عبد اللطيف،مصدر سابق،ص175.

(3) من المعاونيين أحمد يوسف هاشم ومحمود الطاهر والمبارك إبراهيم وسليمان كشة؛ انظر إلى يوسف فضل حسن، مرجع سابق،ص507.

(4)**أحمد يوسف هاشم (1903-1957م):** من رواد الصحافة السودانية ولد عام 1903م، تولى رئاسة تحرير"الفجر"وبعد وفاة عرفات محمد عبد الله، هاجر إلى مصر عام 1939م وعمل في إحدى الوزارات هناك، ثم عاد إلى السودان وواصل عمله في الصحافة، أسس في عام 1944م جريدة " السودان الجديد" ؛ محجوب عمر باشري، مصدر سابق، ص53 ـ 54.

مهما يكن من أمر فقد كانت النيل في بدايتها جريدة كل السودانيين وداعية للتعاون مع مصر،لكننا وبعد ظهور الأحزاب السياسية في الساحة السودانية نجدها تتحول إلى جريدة ناطقة بلسان طائفة الانصار.

صحيفة صوت السودان(1940م):

شهد الأربعينات نشاطاً صحفياً متزايداً مع انتشار الوعى السياسي اطلت الخلافات من جديد ونشأة الاحزاب السياسية وأخذت الصحافة تلعب دوراً في الإعلام العام، وصدرت الصحيفة اليومية الثانية(صوت السودان) في عام مايو 1940م عن شركة السلام التي كان يسيطر عليها سيادة السيد علي الميرغني(عبد اللطيف،1992م،ص50)([1]) وكانت تنطق بلسان طائفة الختمية([2])،وقد جنحت لمعارضة الادارة البريطانية بعنف وتأييد الاتحاد مع مصر وكان من أقوي كتابها ومحرريها في هذا المجال الدكتور أحمد السيد حمد([3])،والاستاذ أمين حسين. وفي الاربعينات صدرت صحف كثيرة، بعضها ينطق بأسماء الأحزاب السياسية كجريدة الأمة وجريدة الأشقاء وبعضها مستقل عن الاحزاب كالسودان الجديد والرأي العام(الطاهر، 2001م،ص25)(جريدة الأيام،1956م،ص28).

---

(1)**على الميرغني (1873م -1968م):**هو والد السيد محمد عثمان الميرغني، تميزت أسرته بمعارضتها لحكم المهدية في السودان وهو زعيم الطائفة الختمية التي تأسست كمنافسة للمهدية وذلك بدعم من بريطانيا في بأدى الأمر وكان من المناصرين لحزب الأشقاء وعندما اختلف مع إسماعيل الأزهري زعيم حزب الأشقاء ساند حزب الشعب الديمقراطي وبعد المصالحة بين حزب الأمة والختمية أسقطت وزارة إسماعيل الأزهري عام 1956م وتكونت حكومة ائتلافية ما بين الختمية والأنصار استمرت حتى 1958ومجئ الحكم العسكري، عرف عنه اهتمامه بالعلم والثقافة فقد انشأ مدرسة الإشراف ومعروفاً بالبساطة ولديه مكانه لدى الحكومات السودانية المتعاقبة وانشأ جريدة(جريدة صوت السودان) وقد توفي عام 1968م في الخرطوم؛ محجوب عمر باشري، رواد الفكر السوداني،ط1،دار الجيل، بيروت، 1991م ص262.259.

(2) **طائفة الختمية:**يرجع تأسيسها إلى السيد محمد عثمان(الختم) وهو من أسرة عريقة نسبها إذ يعود إلى الحسين بن فاطمة الزهراء بنت الرسول (ص) واشتهر بالعلم والصلاح،إذ أقام محمد عثمان (الختم) تياراً إصلاحياً صوفياً في الشمال وشرق السودان واستطاع تكوين أتباع ومناصرين لطريقته واعتقادهم بانتسابه إلى بيت الرسول(ص)؛ طارق أحمد عثمان،تاريخ الختمية في السودان، منشورات دار ساقنا والمأمون،الخرطوم1998م،ص15.21.

(3) **أحمد السيد حمد:** ولد عام 1917م وتلقي تعليمه الأوسط ببوتسودان وأكمل تعليمه في مصر والتحق بكلية الحقوق، ساهم مع على البرير في إخراج مجلة(صوت السودان) التي أصدرها بمصر عام 1944م، عمل مساعداً لرئيس تحرير جريدة(صوت السودان) 1946م مع عبد الله ميرغني ثم أصبح رئيساً لتحريرها، لاأس تحرير صحيفة العلم من 1953-1955م، تلقد منصب وزير الرى ووزير التجارة بعد حركة 1964م، عمل مساعداً عاماً للأمين العام للجامعة العربية، رأس مجلس السلام عام 1982م ومستشاراً سياسياً للرئيس جعفر نميري، من أقطاب الحزب الاتحادي الديمقراطي ومن دعاة الوحدة بين مصر والسودان؛ صلاح عبد اللطيف، مصدر سابق،ص171.

صحيفة العلم:

صدرت جريدة العلم في 24 نوفمبر1953م كصحيفة يومية ناطقة بلسان الحزب الوطني الاتحادي(الطاهر، 2001م،ص31)،واختير دكتور أحمد السيد حمد رئيساً لتحريرها وأصحاب الامتياز والطابعون هو الحزب الوطني الاتحادي، وكانت تطبع بمطابع الاتحاد بالخرطوم(عبد اللطيف،1992م،ص57)

عبرت" العلم" عن سياستها وأهدافها في العدد الأول عندما قالت" أن العلم مدرسة سياسية وفكرية تحررية تعمل في الحقل الوطني في أمانة وشجاعة ناطقة بلسان الحزب الوطني الاتحادي ملتزمة بشعاراته والعمل على تحقيق الاتحاد الحر مع الشعب المصري الذي عرف بمؤازرته للسودان في جميع مراحل كفاحه(الطاهر، 2001م،ص31).

توقفت عن الصدور في 17 نوفمبر1958م عندما أوقف نظام الفريق عبود العسكري العمل الحزبي في السودان، ثم عاد إلى الصدور في أكتوبر1964م بعد القضاء على النظام العسكري الأول وعودة الحياة الحزبية(الطاهر، 2001م،ص31).

صحيفة الرأي العام(1945م):

ظهرت صحيفة الرأي العام في منتصف مارس 1945م كصحيفة مستقلة محايدة في أول الأمر ثم سرعان ما تخلت عن حيادها وتحولت إلى صحيفة اتحادية معادية لحزب الأمة والسياسة البريطانية فصاحبها ورئيس تحريرها إسماعيل العتباني([1])يصدر (الرأي العام) في ثوب جديد وطباعةجيدة،إذ كانت تطبع أول الأمر والسنوات الاولى من عمرها في مطبعة شركة ماكوركوديل،التي أصبحت فيما بعد المطبعة الحكومية(الطاهر، 2001م،ص26).

كانت الرأي العام جريدة يومية مستقلة عن الأحزاب السياسية، عملت روح الوطنية في نفوس قرائها، وكانت تشن حملات ضد الفساد والانحلال، وتعمل لاثراء الفكر مما كانت تنشر من بحوث وتعليقات، وكان لها صالون يلتقي فيه أصدقاؤها من رجال السياسة والفكر والأدب يوم الجمعة من كل أسبوع لمناقشة المسائل العامة(عبد اللطيف،1992م،ص58)

---

(1) **إسماعيل العتباني:** ولد عام 1908م، درس في كلية غردون وتخرج فيها ليعمل محاسباً، عمل بمشروع الجزيرة بقسم الابحاث والتجارب، احد مؤسسي صحيفة ود مدني الأدبية ومؤتمر الخريجين، بدأ كاتباً في صحيفة(حضارة السودان) ثم مجلتي الفجر والنهضة، عمل رئيساً لتحرير جريدة(صوت السودان1942-1944م) وأصدر في مارس 1945م جريدة الرأي العام، يومية سياسية مسائية، وفي عام 1954م تحولت إلى صحيفة صباحية، وأممت عام 1970م؛ صلاح عبد اللطيف، مصدر سابق،ص172.

صحيفة الميدان(1954-1989م):

صدرت صحيفة الميدان لسان حال الجبهة المعادية للاستعمار(الحزب الشيوعي فيما بعد) في 2 سبتمبر1954م نصف أسبوعية ورأس تحريرها حسن الطاهر زروق([1])، حينما انشئت صحيفة الميدان لم تكن تمتلك مطبعة خاصة مما أوجب عليها الانتقال إلى عدة مطابع حتى استطاعت الحصول على مطبعة خاصة بالصحيفة عام1957م(الطاهر،2001م،ص33) حددت الصحيفة سياستها وأهدافها في هدف واحد وهو جلاء الاستعمار عن البلاد وتركزت مقالاتها الاستقلال(عبد اللطيف،1992م،ص60)

توقفت الصحيفة في عهد الحكم العسكري في أول ديسمبر 1958م لنشرها مقالاً انتقدت فيه موقف الحكم العسكري على قبول المعونة الأمريكية للسودان، ثم عاودت الصدور مرة أخرى في 19ديسمبر 1964م عقب عودة الحياة الحزبية(عبد اللطيف،1992م،ص61)

يلاحظ أن صحيفة الميدان تعاطفت مع حزبي الأمة والاتحادي فدعت حزب الأمة إلى إيجاد الطريق المؤدي للاستقلال وطلبت من السيد على الميرغني زعيم الختمية ان يخلص البلاد من الحكم العسكري قائلة في 23 نوفمبر1958م(باسم الآمال التي يعقدها عليك أبناء هذا الوطن تتوجه إلى سيادتكم لانقاذ البلاد من الوضع الحاضر) (عبد اللطيف،1992م،ص61)

صحيفة الأمة(1944-1989م):

صاحب الامتياز،الناشر، شركة الطبع والنشر التابعة لدائرة المهدي،رأس تحريرها يوسف مصطفي التني، وشغل منصب مساعد المحرر محمد أحمد عمر، تعاقب على رئاسة تحريرها محمد أحمد عمر، وعبد الرحيم الأمين ثم استقرت عند حسن محجوب، تم إيقافها عند قيام حكومة 17 نوفمبر1958م، أعيد إصدارها عام 1966م برئاسة تحرير زين العابدين صالح ثم محمود إدريس، تم إيقافها بقيام حكومة 25 مايو 1969م وعاودت الصدور عقب انتفاضة رجب- أبريل 1985م، رئيس تحريرها إدريس البنا، وفي نوفمبر1985م رأس تحريرها سيد أحمد خليفة ثم رأس تحريرها محمود إدريس، وقد صدرت باسم(صوت الأمة)،تم ايقافها بقيام حكومة 30 يونيو1989م على أثر قرار إيقاف الصحف(الطاهر،2001م،ص26-27)

صحيفة الأخوان المسلمين:

صدرت صحيفة" الأخوان المسلمين" عن جماعة الأخوان المسلمين في السودان عام 1952م، وسلطت الأضواء على نشاط الأخوان المسلمين في مصر وروجت لفكر المرحوم الشيخ حسن البنا([2])،

---

(1) **حسن الطاهرزروق:** تخرج من كلية غردون عام 1936م، دخل البرلمان عام 1954م، رأس تحرير صحيفة الميدان التابعة للحزب الشيوعي، من رواد القصة الواقعية في السودان؛ المصدر نفسه،ص175.

(2) **حسن البنا (1906-1949م):** هو مؤسس جماعة الإخوان المسلمين سنة1928م ولد في مصر، مدينة المحمودية، محافظة البحيرة حيث نشأة في أسرة متعلمة مهتمة بالإسلام كمنهج حياة حيث كان والده عالماً ومحققاً في علم الحديث ،درس في

ودعت لمحاربة الفكر الماركسي كما دعت إلى إنشاء تنظيم سياسي ديني كانت هذه الصحيفة مقدمة لصحيفة أخرى تظهر بعد الاستقلال باسم صحيفة" الميثاق الإسلامي"عام1964م(عبد اللطيف،1992م،ص61)

صحف الأحزاب الجنوبيين:

أول صحيفة ظهرت في جنوب السودان عام 1947م بلغة الدينكا بعنوان" المترجم" وكانت صحيفة تبشيرية تصدر عن الكنيسة، ثم بدأت تظهر صحف مدرسية مثل مجلة" الطبل" التي كانت تصدرها مدرسة عطارد الحكومية ويشرف عليها المستر" ودول" ناظر المدرسة. أما أول صحيفة حزبية جنوبية فهي صحيفةVICILANT التي صدرت في أبريل1965م باللغة الانجليزية، وكانت تصدر أسبوعية وأسندت رئاسة تحريرها إلى" بوناملوال"([1]) ورغم أنها كانت تعلن عن نفسها أنها مستقلة إلا أن هناك كثيراً من الدلائل تشير إلى أنها كانت تعبر عن لسان حال حزب جبهة الجنوب(عبد اللطيف،1992م،ص61-62)

مهما يكن من أمر فقد كانت الصحف الحزبية على كثرتها كانت ضعيفة الأثر على المجتمع قليلة الانتشار بسبب سوء تحريرها وتحيزها وما كانت تنتهجه من أسلوب المهاترة ونشر الأراجيف

مهما يكن من أمر فقد لعبت الصحافة السودانية دوراً بارزاً في المجتمع السوداني كان أثرها في معركة التثقيف كبيراً وفي معركة التحرير عظيماً وعطاؤها ثراً وتضحياتها جسيمة، وأقتحم كثير من رجالها السجون، وتعرضوا للتعذيب،كما تعرض صحفهم للتعطيل الإداري، وأرهق كاهلها الغرامات، ولكن القائمين بأمرها احتملوا هذا دون من أو أذي في صبر وشجاعة وثبات وعدوه مهراً للحرية وثمناً لكسر القيد.

أخيراً لم تكن الصحافة السودانية من الناحية المادية قبل الاستقلال، مهنه مجزية في السودان، بل كانت تتطلب من رجالها التضحية وتحمل الحرمان وقد احتملوا هذا كله في شجاعة نادرة .

مدرسة المعلمين الأولية،ثم التحق بمدرسة دار العلوم وتحصل على الدبلوم،ثم عين في المدرسة الإسماعيلية الأبتدائيه في 20 ديسمبر1927م فاستمر بها حتى انتقل إلي القاهرة عام 1933م، وكان رئيس تحرير أول جريدة أصدرتها الجماعة عام 1933م، وظل يعمل بالتدريس بالقاهرة حتى استقال في مايو 1946م،حيث رأس مجلس إدارة دار الصحافة للإخوان،ثم أسس مجلة(الشهاب)،وكان أول مقال نشر له بالصحف هو مقال(الدعوة إلي الله) التي نشرته مجلة الفتح1927م، توفي في القاهر عام 1949 بسبب عملية اغتيال؛ أنور الجندي،حسن البنا الداعية الإمام والمجدد الشهيد،ط1،دار القلم ،دمشق،2000م، ص13.1

(1) **بونا ملوال:** من المثقفين الجنوبيين، تولى منصب وزير الإعلام عام 1974م ثم اختلف مع الرئيس جعفر نميري وعمل بالتجارة وألف كتاباً بالانجليزية هاجم فيه خصومه الجنوبيين، وبعد انتفاضة 1985م أصدرمجلةSUDAN TIMES باللغة الإنجليزية بالاشتراك مع محجوب محمد صالح؛ صلاح عبد اللطيف، مصدر سابق،ص174.

الخاتمة:

من خلال الدراسة لموضوع هذا البحث توصلنا النتائج الآتية:

1.نشأت الصحافة في السودان على يد الأجانب من الموالين للحكم البريطاني، كانت صحيفة الغازيتة مجرد أداة من أدوات الاحتلال ولم يقتنع الاحتلال البريطاني بأهميتها في نشر أفكار وسياسته والترويج لبريطانيا وربط السودان بأهدافها وسياستها.

2.كانت جريدة السودان مشروعاً إعلامياً للدعاية للاحتلال البريطاني من خلال الطباعة وما تنشره وبيع الكتب والمجلات والصحف الأجنبية.

3.لعبت صحيفة رائد السودان دوراً بارزاً في النهضة الأدبية والفكرية.

4.بدت صحيفة حضارة السودان قشورها وطنية، وهدفها ومضمونها خدمة الاحتلال البريطاني.

5.كانت مجلة الفجر بحق بداية لفجر جديد شرق على الصحافة السودانية كتابها شباب ثائر واسع الاطلاع، يقرأ ما يحمله بريد الغرب من كتب وصحف ومجلات، ويؤمن بأن تزاوج الثقافتين الاوروبية والغربية سبيلاً لخلق ثقافة سودانية.

6.كانت الصحف الحزبية على كثرتها ضعيفة الأثر على المجتمع قليلة الانتشار بسبب سوء تحريرها وتحيزها وما كانت تنتهجه من أسلوب المهاترة ونشر الأراجيف

التوصيات

خرجت الدراسة بعدد من التوصيات كان أهمها:

أولاً.إعداد مزيداً من الدراسات حول نشأة وتطور الصحافة في السودان، حيث كانت هذه الصحف دوراً كبيراً في توعية القاعدة الجماهيرية في السودان

ثانياً. إعداد دراسة تاريخية تحليلية لرموز وأبكار الصحفيين السودانيين لمجوداتهم وإسهامهم في الحقل الصحفي في هذه الفترة التاريخية.

قائمة المصادروالمراجع:

(1) البحيري زكي،2009م،السودان تحت الحكم الإنجليزي المصري (دراسة في علاقات وادي النيل 1899 – 1936 م) ، ط2 مكتبة مدبولي ، القاهرة.

(2) الجندي أنور،2000م،حسن البنا الداعية الإمام والمجدد الشهيد،ط1،دار القلم ،دمشق.

(3) الشريف جمال،2009م،الصراع السياسي على السودان1840-2008م،ط1، دار المصورات، الخرطوم.

(4) الصاوي عبد العزيز حسين وآخرون،1990م،الثورة المهدية في السودان مشروع رؤية جديدة،شركة الفارابي للنشر.

(5) الطاهر عبد الله إبراهيم، 2001م،ببليوغرافيا الصحافة السودانية في قرن(1898-1998م)،ط1،المجلس القومي للصحافة،السودان.

(6) القدال محمد سعيد،1992م،تاريخ السودان الحديث 1820.1955م،ط1، ، مركز عبد الكريم مرغني، الخرطوم.
(7) المهدي عبد الرحمن،(بدون تاريخ) ،مذكرات الإمام عبد الرحمن المهدي، مركز الدراسات السودانية،القاهرة..
(8) باشري محجوب عمر،1991م، رواد الفكر السوداني،ط1،دار الجيل، بيروت.
(9) جريدة الأيام،الأثنين2 يناير1956م،العدد682،ص28.
(10) حسن يوسف فضل وآخرون،2002م، الإمام عبدالرحمن المهدي (مداولات الندوة العلمية للإحتفال المئوي) ط1 ، مدبولي ، القاهرة .
(11) سعيد بشير محمد،(بدون تاريخ)، وثائق لجنة الاحتفال باليوبيل الذهبي لمؤتمر الخريجين في السودان 1938.1988م لجنه إحياء ذكرى المؤتمر،الخرطوم.
(12) سعد محاسن،1977م، الصحافة السودانية1900-1939م، منشورات جامعة الخرطوم.
(13) صالح محجوب محمد صالح، 1971م،الصحافة السودانية في نصف قرن،ط1،دار جامعة الخرطوم للنشر والطباعة.
(14) عبد الرحيم فاروق،1977م،الوثائق السرية لفتح السودان، دار الوادي، الخرطوم.
(15) عبد اللطيف صلاح،1992م،الصحافة السودانية تأريخ وتوثيق1899-1989م،مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية، مصر.
(16) عثمان طارق أحمد،1998م ،تاريخ الختمية في السودان، منشورات دار ساقنا والمأمون،الخرطوم.
(17) كشه سليمان،1963م،سوق الذكريات، ج1، شركة الطبع والنشر، الخرطوم.
(18) كشه سليمان،1967م،الصحافة في السودان، مجلة الخرطوم، العدد التاسع، السنة الثانية.
(19) لجنة توثيق تاريخ الصحافة السودانية (1903 – 1945م) ، دار هائل ، الخرطوم ،(بدون تاريخ).
(20) محمد صلاح الدين،1980م، دور الصحافة السودانية والحركة الوطنية السودانية في الفترة من 1918-1936م، رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة القاهرة.

إسهامات الأكاديميين السودانيين في كتابة تاريخ السودان القديم

د. الأمين عثمان شعيب

جامعة دنقلا – السودان

E-mail: alaminosman@uofd.edu.sd

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور الأكاديميين السودانيين وإسهامهم في معرفتنا بتاريخ السودان القديم، وعرض ما كتبوا بغية الوصول إلى ما لم يُكْتَب. وتتمثل مشكلة البحث من هم المختصين السودانيين في تاريخ السودان القديم وما هي مؤلفاتهم العلمية وهل غطت هذه المؤلفات كل موضوعات تلك الفترة؟ اتبع الباحث منهج البحث التاريخي والمنهج الوصفي للوصول إلى النتائج. وتمثلت النتائج في أن الذين كتبوا تاريخ السودان هو ليسو من المختصين في مجال التاريخ القديم فحسب، بل هنالك باحثين في مجالات أخرى كتبوا فأجادوا. وتناول الموضوعات المتشابهة من زوايا مختلفة أدى إلى فهم هذه الموضوعات، وأن الإسهامات التي قدمها هؤلاء الكتاب تعتبر حجر الزاوية الذي يعتمد عليه لمن يأتي بعدهم.

Abstract:

This study aims to highlight the role of Sudanese academics and their contribution to our knowledge of the ancient history of Sudan, and to present what they wrote in order to reach what was not written. The problem of the research is who are the Sudanese specialists in the ancient history of Sudan, what are their scientific works, and did these works cover all the topics of that period? The researcher followed the historical research approach and the descriptive approach to reach the results. The results were that those who wrote the history of Sudan are not only specialists in the field of ancient history, but there are researchers in other fields who wrote and excelled. And dealing with similar topics from different angles led to an understanding of these topics, and that the contributions made by these writers are considered the cornerstone on which to rely on for those who come after them.

مقدمة:

شملت هذه الدراسة الإنتاج العلمي للأكاديميين السودانيين في كتاباتهم عن التاريخ القديم، حيث اقتصرت هذه الدراسة على الكتب فقط دون المقالات التي نشرت في مجلات علمية محكمة عالمية وإقليمية ومحلية، وخوفاً من التطويل تناولت الدراسة ما احتوت عليه هذه الكتب من موضوعات تاريخ السودان القديم. تنبع أهمية هذه الورقة في أنها تقوم بحصر الكتب التي ألفت في مجال تاريخ السودان القديم وحصر موضوعاتها وتحليلها. اشتملت هذه الدراسة على دراسة عدد (28) مؤلفاً في تاريخ السودان القديم لعدد 14 كاتباً. عليه سنفرد لكل مؤلف من المؤلفين مساحة مع عرض ما اشتملت عليه هذه المؤلفات وتناولها بالتحليل، وتسبقها نبذة تعريفية لكل كاتب.

البروفيسور عبد القادر محمود عبد الله

ولد في ١٩٣٧م. حصل على البكالوريوس الأول بمرتبة الشرف بقسمِ التاريخ بكلية الآداب بجامعة الخرطوم في العام ١٩٦٢م، ثم حصل على مرتبة الشرف بدرجة امتياز في البكالوريوس الثاني في الدراسات السودانية القديمة عام ١٩٦٥م بجامعة درم ببريطانيا، وحصل على الدكتوراة في اختصاص اللغة السودانية القديمة (المروية) أيضاً من نفس الجامعة في العام ١٩٦٩م. تلميذ خاص في الأعوام من (١٩٦٢- ١٩٦٩) في (البكالوريوس الثانية ١٩٦٢-١٩٦٥م) والدكتوراة (١٩٦٥-١٩٦٩) للعلامة مايلز فليمنغ مكادم. للراحل عدة مؤلفات نجملها في الآتي:

1. **(اللغة المروية، ماهي؟ أبجديتها وطبيعة كتابتها. قصة فك رموز خطها)**[1]. الجزء الأول (نُشر هذا الكتاب في العام ١٩٨٦م). مركز البحوث كلية الآداب جامعة الملك سعود، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية. يقع الكتاب في 534 صفحة في ورق حجمه A4، يشتمل الكتاب على: مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق.... حيث اشتملت المقدمة على مسائل فنية وعلمية، ونبذة تاريخية عن حضارة مملكة مروي (نبتة - مروي) من بداية القرن الثامن قبل الميلاد وحتى القرن الرابع الميلادي، ودامتا حوالي الألف سنة أو يزيد عنها. في الفصل الأول والذي جاء بعنوان: (اللغة المروية) تحدث فيه الكاتب عن قِدم اللغة المروية. وأفريقية اللغة المروية، والموضوعات التي كتبت باللغة المروية والمادة المكتوب عليها. واللغة المروية واللغات الإفريقية الحية والقديمة. السلالات اللغوية التي تنتمي إليها اللغة المروية هي باللغة النوبية القديمة: الآراء المختلفة. والتاريخ اللغوي والكتابي في السودان القديم. أما الفصل الثاني والذي بعنوان: (اللغة المروية طبيعتها وموقعها من الكتابات القديمة) اشتمل هذا الفصل على عدة فروع منها: مجمل التغريف بالكتابة المروية. والأصول المصرية للأبجدية المروية. والاختلاف في طريقة الكتابة بين المروية والمصرية. وظهور الكتابة المروية وتاريخ الكتابة في السودان القديم. والكتابة المروية بين الكتابات القديمة. وجاء الفصل الثالث بعنوان: (قصة فك رموز اللغة المروية) حيث اشتمل هذا الفصل على عدة محاور، وهي: المادة التي فكَّت منها الرموز المروية. والاجتهادات قبل قريفث F.L.I. Griffith. واجتهادات قريفث. والباحثون بعد قريفث، والباحثون المعاصرون. نظريتي اللغة المروية وأسلوب البحث فيها

وفي خاتمة الكتاب ركز الكاتب فيها على ما الذي معرفته يقيناً أو ترجيحاً عن اللغة المروية وكتابتها الآن؟ بالإضافة إلى اللوحات والأشكال والاختصارات والمصطلحات الواردة في البحث. واختتم الكتاب بثبت للمصادر والمراجع التي استقى منها الكاتب معلوماته، بالإضافة الفهارس الكشافة والتي تحوي ثبت الفهارس الكشافة، وشرح الفهارس الكشافة.

---

(1) عبد القادر محمود عبد الله، اللغة المروية، ماهي؟ أبجديتها وطبيعة كتابتها. قصة فك رموز خطها، ج1، الرياض، مركز البحوث كلية الآداب جامعة الملك سعود، مطابع جامعة الملك سعود، 1986م.

2. (**الكتابة الأبجدية في مصر القديمة. أول اهتداء لمبدأ الأبجدية**)[1] (نُشر عام ١٩٩٥م).الناشر عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، يحتوي الكتاب على عدد 259 صفحة من الورق المتوسط الحجم. اشتمل هذا الكتاب على مقدمة وخمسة فصول وثبت للمراجع وقوائم للمفردات. حيث اشتملت المقدمة على الغرض من البحث وأسلوب العرض مع أهم الاصطلاحات والتعابير والجداول والأشكال والشواهد. جاء الفصل الأول والذي سماه الكاتب (**المدخل**) تناول فيه الكاتب طرق الكتابة المصرية القديمة من رموز ومعاني وأصوات. وكان الفصل الثاني والذي بعنوان: (**وظائف الحروف الأبجدية**) عالج فيه الكتابة أبجدياً، وتوكيد الأصوات وإكمالها، والتأنيث والنسبة واشتقاق أسمام ومصادر بالميم، إضافة إلى زيادة الأفعال. أما الفصل الثالث والذي يعنوان (**قدم الكتابة الأبجدية المصرية**) ركز فيه الماتب على الدليل من عهد الملك نعرمر (الأسرة الأولى) والدليل من الدولتين القديمة والوسطى. أما الفصل الرابع والذي بعنوان: (**الجملة في الكتابة المصرية القديمة**) تناول فيه أن تكون الجملة فيه مكونة من كلمات كلها مكتوب كتابة أبجدية، وأن تكون الجملة من كلمات خليط، ونظرة عامة على الكلمات المكتوبة أبجدياً في الجمل المستشهد بها(الاسم – الفعل - الحرف). أما الفصل الخامس خصص **للخاتمة** حيث تناول فيها: الرموز الأبجدية: أصولها ووظائفها/ صوائتها – تعليل – أصول الحروف الأبجدية المصرية – والكتابة السيائية المبكرة، والتطابق بين الكتابتين المصرية والساميَّة في توظيف الصوامت/ الصوائت. إضافة إلى خلاصة للكتاب. ومراجع للبحث، أما قوائم المفردات شملت قائمة بالمفردات المصرية بالخط الهيروغليفي، بالحروف العربية مع معانيها، قائمة بالمفردات المصرية بالخط الديموطيقي، بالحروف العربية مع معانيها، قائمة بالمفردات المصرية القبطية ومعانيها، وقائمة بالمعاني العربية للمفردات المصرية في الشواهد، إضافة إلى قائمة عامة.

٣- (**بيي بعانخي، أول سوداني ملكًا للسودان وصعيد مصر**)[2] (نُشر في العام ٢٠٠٤م) ضمن سلسلة: هكذا السودان قديماً وحديثاً. فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية. يحتوي هذا الكتاب على 137 صفحة من الحجم المتوسط، حيث اشتمل هذا الكتاب على مقدمة للسلسلة، ومقدمة للكتاب، وثبوت للوحات والأشكال والخرائط، وثلاثة فصول، الفصل الأول بعنوان: (بيَّي "يعانخي" نسباً وشخصية). أما الفصل الثاني كان بعنوان: (العمليات العسكرية في مصر – نظرة موجزة)، أما الفصل الثالث جاء بعنوان: (العمليات العسكرية في مصر – مساراً مفصَّلاً).

---

(1) عبد القادر محمود عبد الله، الكتابة الأبجدية في مصر القديمة. أول اهتداء لمبدأ الأبجدية، الرياض، عمادة المكتبات جامعة الملك سعود، 1995م.

(2) عبد القادر محمود عبد الله، بيي بعانخي، أول سوداني ملكًا للسودان وصعيد مصر، سلسلة هكذا السودان قديماً وحديثاً، الرياض، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، 2004م.

4- (**السودان القديم كما وثقته الأدلة النصية القديمة1**)[1]، نُشر في العام ٢٠١٧م. الدار العالمية للتوزيع والنشر، القاهرة، ط1. يقع الكتاب في 120 صفحة من الورق المتوسط الحجم، قسمه الكاتب إلى مقدمة وفصلين وقائمة للمصادر والمراجع. تناول في المقدمة ملخص للفصلين الذين احتوى عليهما الكتاب، مع ثبت للنصوص واللوحات والأشكال والجداول والخرائط. الفصل الأول والذي بعنوان (**عام**) والذي تندرج تحته عدة موضوعات متمثلة في: الأدلة النصية المعنية، والهوية ومفهومها عند الكاتب، والتكوين العرقي في السودان القديم، وأقسام وادي النيل القديم، والسودان وآسيا/سوريا، وخلط تزيله الوثائق الأثرية، بالإضافة إلى ما أنسب الأسماء للبلاد في التاريخين القديم والحالي. وكان الفصل الثاني بعنوان: (**التاريخ**) حيث اشتمل هذا الفصل على الموضوعات التالية: قبل السماع بكوش، وأول السماعي بكوش، وكوش دولة قوية، وأول ذكر لملك لكوش وعلاقة كوش بمصر، وفترة الاحتلال المصري لشمال كوش (1550-؟ ق.م)، وفترة صمت المصادر (؟ - 900 ق.م) والفترة النبتية الأولى (900-747 ق.م)، والأسرة الخامسة والعشرون السودانية لمصر(747-664 ق.م)، والفترة النبتية الثانية (663-591 ق.م) والفترة المروية (591 ق.م – 340م). ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

5- (**اللغة المصرية القديمة، مبادئ قواعدها النحوية**)[2]، الجزء الأول (نُشر في العام ٢٠١٩م). دار المصورات، الخرطوم. يقع هذا الكتاب في 202 صفحة، ورق متوسط الحجم. اشتمل هذا الكتاب مقدمة متناولاً فيها تقديم القواعد الأساسية للغة المصرية القديمة، وأطوارها. الكاتب يقدم لنا مادة دسمة حول اللغة المصرية القديمة في صورة تعليمية ممتازة حيث اختار في هذا الكتاب مصطلح الدرس بدلاً عن الفصول التي اعتدنا عليها في تقسيم أي كتاب، اشتمل على ثلاثة عشر درساً، ففي الدرس الأول حدثنا عن: (أشكال الكتابة المصرية القديمة الهيروغليفية، الهيراطيقية، الديموطيقية) أما الدرس الثاني الذي جاء بعنوان: (أنواع رموز الكتابة)، أما الدرس الثالث والذي بعنوان: (طرق الكتابة المصرية القديمة) أما الدرس الرابع (بعض القواعد العامة الأولية) أما الدرس الخامس تحدث عن: (الضمائر المتصلة) وكان الدرس السادس (التذكير والتأنيث، الإفراد والتعدد) أما الدرس السابع فكان عن: (الضمائر المتصلة المتعددة) أما الدرس الثامن والذي بعنوان (الوصف: رمز جديد) جاء الدرس التاسع بعنوان: (ضمائر الرفع المنفصلة) أما الدرس العاشر والذي بعنوان: (الجملة الفعلية البسيطة (1) تركيب الجملة الفعلية البسيطة)، أما الفصل الحادي عشر فكان بعنوان: (الجملة الفعلية البسيطة (2) ترتيب الجملة الفعلية البسيطة) والدرس الثاني عشر عنوانه: (الجملة الفعلية

---

(1) عبد القادر محمود عبد الله، السودان القديم كما وثقته الأدلة النصية القديمة1، ط1، القاهرة، الدار العالمية للتوزيع والنشر، 2017م.

(2) عبد القادر محمود عبد الله، اللغة المصرية القديمة، مبادئ قواعدها النحوية، ج1، الخرطوم، دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع، 2019م.

البسيطة (3) وحروف مهمة،) وأخيراً الدرس الثالث عشر بعنوان: (نفي الجملة الفعلية البسيطة) قام الكاتب بعمل تدريب لكل درس عدا الدرس الأول.

يمكننا القول إن مؤلفات البروفيسور عبد القادر محمود عبد الله في غالبيتها تتناول اللغات القديمة (المصرية القديمة + المروية) وأهمها على الإطلاق كتاب اللغة المروية، إذْ يعد المؤلف الوحيد إلى الآن في هذا المجال بالنسبة للكتاب السودانية. ولا غرابة في ذلك إذْ أن البروف عبد القادر هو تلميذ عالم اللغات القديمة مايلز فليمنغ مكادم، أحد أعلام الدراسات السودانية والمصرية القديمة، وأكبر علماء اللغة السودانية القديمة (المروية) كما نجد التنوع في مؤلفاته الأخرى، كتابه عن أحد أشهر الملوك السودانيين الملك بي بعانخي الذي فتح مصر والذي عالج فيه الحالة السياسية أبان فترة حكم الملك بعانخي، وأين دفن وما هي المخلفات الأثرية التي تركها، بالإضافة لمؤلفه الأخير حول تاريخ السودان كما وثقته الأدلة النصية حيث أثبت فيه تاريخ تلك الفترة من خلال نصوص وحوليات الملوك وما تركوه من أثر.

اتبع البروفيسور عبد القادر محمود نهج ونمط يختلف عن النهج الذي يتناول فيه الباحثين السودانيين دراساتهم حيث تفرد بجزالة الكلمات وأخذها من المصادر الآثارية بخاصة التي كتبت بلغات قديمة، وفسرها وحللها وقارنها بما توصلت إليه الدراسات في ذاك الوقت. من خلال هذا العرض نلحظ الآتي: أن مؤلفاته هذه الغالبية منها تمَّ تأليفها في زمن أن كان البروف بجامعة الملك سعود، وعند عودته النهائية إلى السودان في العام 2009م قام بتأليف كتابين فقط.

البروفيسور سامية بشير دفع الله

ولدت في العام 1950م، تحصلت على البكالوريوس (1) من كلية الآداب جامعة الخرطوم (1967-1972م) في التاريخ تخصص تاريخ قديم. أبريل 1972م والبكالوريوس (2) الآداب جامعة درم إنجلترا في الدراسات الشرقية تخصص تاريخ قديم. نوفمبر 1980م، والدكتوراه جامعة كمبردج (1976-1980م) كلية الدراسات الشرقية تخصص: علم المصريات (Egyptology) يونيو 1976م. لها عدد مقدر من المؤلفات تمثلت في:

1. كتاب: (تاريخ الحضارات السودانية القديمة منذ أقدم العصور وحتى قيام مملكة نبتة)[1]، الطبعة الأولى دار هائل للطباعة والنشر والتغليف. الخرطوم. 1999م. الطبعة الثانية 2011. دار جامعة السودان المفتوحة للطباعة. يقع الكتاب في 350 صفحة من الورق المتوسط الحجم، ولقد اشتمل هذا الكتاب على تصدير للطبعة الأولى وتصدير للطبعة الثانية وتمهيد احتوى على جغرافية المنطقة، ثم تم تقسيم الكتاب إلى تسعة أبواب، والأبواب قسمت إلى فصول: الباب الأول والذي بعنوان: (**العصور الحجرية**). أما الباب الثاني والذي تحت بعنوان: (**حضارة المجموعة أ**). أما الباب

(1) سامية بشير دفع الله، تاريخ الحضارات السودانية القديمة منذ أقدم العصور وحتى قيام مملكة نبتة، ط2، الخرطوم، دار جامعة السودان المفتوحة للطباعة، 2011م

الثالث والذي بعنوان: (**نشاط الدولة المصرية القديمة**). أما الباب الرابع فقد اشتمل معالم حضارة المجموعة ج، المجموعة ج والدولة الوسطى المصرية. أما الباب الخامس خصص لـ(**حضارة ما قبل كرمة**). أما الباب السابع فخصص لـ(**حضارة البان قريف**). والباب الثامن والذي بعنوان: (**السودان تحت الاحتلال المصري "الدولة الحديثة"**). أما الباب التاسع والذي جاء بعنوان: (**قيام مملكة نبتة**). واختتم الكتاب بملاحق وأشكال وخرائط بالإضافة إلى المراجع والمصادر.

2. كتاب: (تاريخ مملكة كوش: نبته ومروي)[1] الطبعة الأولى دار الأشقاء للطباعة والنشر والتغليف المحدودة. الخرطوم. 2005م، والطبعة الثانية دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 2021م. احتوى هذا الكتاب على تصدير للطبعتين وخمسة أبواب وملاحق اشتمل كل باب على عدة فصول كيفما اقتضت الدراسة. الباب الأول سمته الكاتبة (**تمهيد**).. أما الباب الثاني فكان بعنوان: (**مملكة نبتا، التاريخ السياسي**). أما الباب الثالث كان بعنوان: (**الحضارة النبتية**). أما الباب الرابع جاء بعنوان: (**مملكة مروي، التاريخ السياسي**). أما الباب الخامس والذي بعنوان (**الحضارة المروية**). وفي ختام الكتاب اشتملت الدراسة على الملاحق، وهي أربعة ملاحق الأول الملوك البطالمة، والثاني الأباطرة الرومان، والثالث تتابع الملكين شبكا- وشبتاكا، أما والرابع عن المختصرات، هذا بالإضافة إلى الأشكال وقائمة للمراجع العربية والأجنبية.

3. كتاب: (السودان في كتب الإغريق والرومان)[2]، الطبعة الأولى، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 2021م. يحتوي هذا الكتاب على 185 صفحة في حجم ورق متوسط، اشتمل هذا الكتاب على مقدمة وتمهيد وفصلين ومصادر ومراجع، في المقدمة تطرقت الكاتبة إلى الهدف من تأليف الكتاب المتمثل في حصر النصوص والروايات التي في مؤلفات المؤرخين الجغرافيين الإغريق والرومان ذات العلاقة بتاريخ السودان أو حضارته وجغرافيته أو عادات أهله والتي ترجمت للغة الإنجليزية، ومن ثم ترجمتها للغة العربية وتذييلها بشروحات وتعقيبات. ثم تمهيد تناولت فيه الكاتبة موضوعين: الأول دلالات اللفظين "إثيوبيا – إثيوبيين". والثاني علاقة السودان القديم بعالم البحر المتوسط. ومن ثم قسمت الدراسة إلى فصلين: الفصل، الأول(**السودان "إثيوبيا" في كتب الإغريق**)، وقسِّم هذا الفصل إلى قسمين: الأول، العصر الكلاسيكي: المؤرخ هيرودوت، والثاني، (**السودان "إثيوبيا" في كتابات العصر الهيلينستي**). أما الفصل الثاني كان بعنوان: (**السودان في كتب الرومان**). ثم ختم الكتاب بقائمة مصادر ومراجع.

---

(1) سامية بشير دفع الله، تاريخ مملكة كوش: نبته ومروي، ط2، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 2021م.

(2) سامية بشير دفع الله، السودان في كتب الإغريق والرومان، ط1، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 2021م.

4. كتاب: (نوبة النيل أصلهم ودورهم في تاريخ السودان القديم)[1]، الطبعة الأولى، 2017م، دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع، الخرطوم، احتوى الكتاب على 206 صفحة من حجم الورق المتوسط. احتوى هذا الكتاب على تمهيد بينت فيه المؤلفة الهدف الرئيس من تأليف الكتاب المتمثل في توصيل المعلومة الصحيحة للقراء في وقت شاعت فيه كثير من الأخطاء التاريخية وانتشر فيه أيضاً الكثير من التزييف بحث تاريخ السودان القديم، اشتمل هذا الكتاب على سبعة فصول وملاحق ومراجع واختصارات وصور، الفصل الأول بعنوان: (**بلاد النوبة، الجغرافيا والسكان**)، والفصل الثاني (**بلاد النوبة القديمة، مسمياتها ومسميات سكانها**) والفصل الثالث(**أصل النوبة، دلالات المصادر الكتابية المبكرة**) والفصل الرابع (**أصل النوبة، دلالات اللغة**) والخامس (**أصل النوبة، دلالات الآثار**) السادس (**التطورات السياسية والاجتماعية في النوبة الشمالية من خلال حقبة المجموعة س**) والسابع (**التطورات في النوبة العليا والبطانة من خلال حقبة ما بعد مروي**).

5. كتاب: (تا ستي أقدم مملكة في تاريخ السودان)[2]، 2021م، دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع، الخرطوم. احتوى الكتاب على عدد 182 صفحة من حجم الورق المتوسط، احتوى الكتاب على تمهيد وعشرة فصول وملاحق ومصادر ومراجع. في التمهيد أوضحت الكاتبة الهدف الأساسي من تأليف هذا الكتاب الذي نحن بصدده، وتمثل في اهتمام الشباب بتاريخ السودان القديم وآثاره، خصوصاً ظهور مجموعات تهتم بالتراث واللغات واللهجات المحلية قديمها وحديثها، واتخاذ لهؤلاء الشباب الوسائط الاسفيرية منصات لعرض آرائهم وأفكارهم وأبحاثهم. جاء الفصل الأول بعنوان: (**مصطلح تا ستي: المعنى و أقدم الاستخدامات**) والفصل الثاني (**ثقافة المجموعة أ المادية وأصل السكان**) والفصل الثالث والذي بعنوان: (**اكتشاف مملكة تا ستي**) وكان الفصل الرابع بعنوان: (**التنظيم الساسي في مجتمع المجموعة أ**) أما الفصل الخامس والذي بعنوان (**أثر اكتشافات القسطل على الأوساط العالمية**) أما الفصل السادس بعنوان: (**التنظيم الاجتماعي وسبل كسب العيش في تا ستي**)، والفصل السابع بعنوان: (**نهاية مملكة تا ستي واختفاء ثقافة المجموعة أ**) والفصل الثامن كان بعنوان: (**نهاية مملكة تا ستي في نصوص متأخرة**) أما الفصل التاسع فقد خصص لـ(**تاريخ مصر في عصر ما قبل الأسرات**)، والفصل العاشر جاء بعنوان (**تقييم وخلاصات**) في نهاية الكتاب ألحقت الكاتبة ملحقين الأول حول كرونولوجية التاريخ المصري لمصر ما قبل الأسرات، والثاني كاستبيان موجه لبعض الباحثين والمهتمين بتاريخ السودان القديم. واختتم الكتاب بقائمة من المصادر والمراجع.

---

(1) سامية بشير دفع الله، نوبة النيل أصلهم ودورهم في تاريخ السودان القديم، ط1، الخرطوم، دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع، 2017م.

(2) سامية بشير دفع الله، تا ستي أقدم مملكة في تاريخ السودان، الخرطوم، دار المصورات للنشر والكباعة والتوزيع، 2021م.

6. كتاب: (**البجا وشرق السودان في العصر التاريخي القديم**)[1]. نشر إليكتروني عبر دار آريثيريا للنشر والتوزيع. مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر. 2022. احتوى الكتاب على 68 صفحة، عالجت فيه الكاتبة الموضوعات التالية: بعد التقديم والمقدمة تناولت أصل البجا، ثم أدوار البجا القدماء عبر الحقب التاريخية المصرية القديمة، ثم البلميون، ثم الآثار والتنقيب الأثري بشرق السودان، وأخيراً الإحالات المرجعية.

7. قامت الكاتبة بالاشتراك مع محي الدين يوسف أحمد بترجمة كتاب: (**جبانات كوش الملكية**: الجزء الأول (الكرو)[2] تأليف داوس دنهام، تمت المراجعة وتحرير التعليقات بواسطة بروفيسور عبد القادر محمود عبد الله، شركة مطابع السودان للعملة. الخرطوم. 2010م، فالعنوان الأصل لهذا الكتاب هو: (The Royal Cemeteries of Kush. El-Kurru). حيث يعتبر هذا الكتاب أهم الكتب التي تتحدث عن جبانة الكرو، لأنه احتوى على كل تفاصيل الحفريات التي قام بها منقب الجبانة جورج أندرو رايزنر وقام مساعده دوز دانهام بنشرها في العام 1950م.

نجد أن الكتابين الأولين لبروفيسور سامية بشير دفع الله يكملان بعضهما البعض كجزء أول وثاني، حيث تناولت في الأول تاريخ السودان منذ أقدم العصور وحتى قيام مملكة نبتة، وفي الكتاب الثاني عن مملكة كوش – نبتة ومروي، وبالتالي تكون غطت كل الفترات التاريخية للسودان القديم ابتداءً من فترات ما قبل التاريخ وحتى فترة ما بعد مروي. أما كتاب نوبة النيل فهو عالج إشكالية التسمية والخلط الحاصل لهذا المسمى واستخداماته وإطلاقه على الفترات التي سبقت قيام ممالك النوبة وأوفت في ذلك حيث بينت لماذا استخدم الأعاجم – أو أطلقوا على الحضارة السودانية القديمة حضارة بلاد النوبة، فمعلومات هذا الكتاب تخبرنا عن أن التسمية أطلقت في القرن الثاني قبل الميلاد لتتيز منطقة جغرافية محددة سميت النوبة العليا والنوبة السفلى ولم تطلق على حضارة أو عرق بشري إلا في العام 550م. ففي كتابها الموسوم بـ تا – ستي حيث جاء الكتاب موضحاً قيام أول مملكة في وادي النيل سبق قيام الممالك المصرية القديمة، وكذا تحدثت عن تا ستي كإقليم جزء منه بالسودان وجزء منه بمصر، وتطرقت فيه كذلك على استخدام الملوك لاسم تا ستي بخاصة في العهد النبتي والمروي. أما كتاب السودان في كتب الرحالة الإغريق والرومان جمعت فيه الكاتبة النصوص والروايات التي في مؤلفات المؤرخين الجغرافيين الإغريق والرومان ذات العلاقة بتاريخ السودان أو حضارته وجغرافيته أو عادات أهله والتي ترجمت للغة الإنجليزية، ومن ثم ترجمتها للغة العربية. أما عن البجا وشرق السودان في العصر التاريخي القديم أوضحت الكاتبة فيه أصل قبيلة البجا والأدوار

---

(1) سامية بشير دفع الله، البجا وشرق السودان في العصر التاريخي القديم، الخرطوم، دار آريثيريا للنشر والتوزيع. مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر. 2022م.

(2) داوس دانهام، جبانات كوش الملكية، الكرو، ج1، ترجمة سامية بشير دفع الله ومحي الدين يوسف أحمد، حرره وعلق عليه بروفيسور عبد القادر محمود عبد الله، الخرطوم، شركة مطابع السودان للعملة، 2010م.

التي لعبها البجا عبر الحقب التاريخية المصرية القديمة، وكذا البلميون ونشاطهم وغزواتهم المتكررة وتصدي الملوك لهم، ثم والتنقيب الأثري بشرق السودان وما كتبه ونشر عنه.

البروفيسور عمر حاج الزاكي

ولد في العام 1940م التخصص: تاريخ السودان القديم وآثاره، تحصل على البكالوريوس في الجامعة الأمريكية ببيروت (1961-1965م) بالإضافة لنيله دبلوم فن التعليم من نفس الجامعة، ثم الماجستير في التاريخ القديم(اللغة المروية) من جامعة الخرطوم 1975م وتحصل على الدكتوراه في الآثار العام 1981م من جامعة الخرطوم. للمؤلف كتابين كما مبين أدناه.

1. (الإله آمون في مملكة مروي 750ق.م-350م)[1] الطبعة الأولى 1983م، مطبوعات كلية الدراسات العليا بحث رقم (5) جامعة الخرطوم، الخرطوم. يقع هذا الكتاب في 175 صفحة في الحجم المتوسط، اشتمل الكتاب على تصدير وثمانية فصول حيث أوضح الكاتب أن هذا الكتاب كان جزء من رسالة الدكتوراه بعد إدخال بعض التعديلات في المتن والحواشي. تناول الكاتب في الفصل الأول (**أصل الحضارة المروية**) والفصل الثاني بعنوان: (**آمون أسماؤه – وطبيعته وقدراته**) أما الفصل الثالث بعنوان (**تصوير الإله آمون في الآثار**) فجاء الفصل الرابع بعنوان: (**المعابد الآمونية – طرزها و انتشارها**) وكان الفصل الخامس بعنوان: (**كهنة الإله "آمون" والشعائر والعبادات**) أما الفصل السادس بعنوان: (**المسيرة الملكية لمعابد التتويج وما تلقيه من أضواء حول طبيعة السلطة الدينية والدنيوية**) والفصل السابع بعنوان: (**مباركة وتفضيل الإله آمون للنساء الملكيات**)، أما الفصل الثامن جاء بعنوان: (**التوفيق في العبادة بين آمون وبعض الآلهة الآخرين**). اشتمل الكتاب على قائمة بالمصادر والمراجع العربية والأجنبية بالإضافة إلى ملاحق متمثلة في جداول وأشكال للإله آمون.

2. كتاب: (مملكة مروي التاريخ والحضارة)[2]، الطبعة الأولى 2006م، الناشر: وحدة تنفيذ السدود، إصدارة رقم (7) الخرطوم.يقع الكتاب في 164 صفحة من الورق المتوسط، ويحتوي الكتاب على تصدير للناشر وتقديم للكتاب من البروفيسور على عثمان محمد صالح قسم الآثار جامعة الخرطوم ومقدمة للكاتب أوضح الكاتب الهدف من الكتاب وهو تيسير الفهم لأكبر قاعدة من القراء بما فيهم هواة الإطلاع والمعرفة بالتاريخ القديم والمثقفون وطلاب الجامعات. حيث تم تقسيم الكتاب إلى خمسة فصول يسبقها فهرس للصور والأشكال ويختتمه بالمصادر والمراجع والملاحق. حيث تم تقسيم الفصول لعدد من المحاور، فالفصل الأول هو بعنوان: (**مملكة مروي النشأة .. الازدهار**

---

(1) عمر حاج الزاكي، الإله آمون في مملكة مروي 750ق.م-350م) ط1، الخرطوم، مطبوعات كلية الدراسات العليا بحث رقم (5) جامعة الخرطوم، 1983م

(2) عمر حاج الزاكي، مملكة مروي التاريخ والحضارة، ط1، الخرطوم، وحدة تنفيذ السدود، إصدارة رقم (7)، 2006م.

والاضمحلال). أما الفصل الثاني والذي بعنوان (**نظام الحكم والإدارة في المملكة**). وجاء الفصل الثالث بعنوان: (**الفنون والعمارة والكتابة**). أما الفصل الرابع والذي بعنوان: (**العقائد الدينية والنظام الكهنوتي**). أما الفصل الخامس الذي حمل عنوان: (**اقتصاد المرويين**).

يعتبر كتاب الإله آمون في مملكة مروي متفرداً بين الكتب التي تعالج طبيعة الديانة الكوشية متمثلة في عبادة الإله آمون وطبيعته والقدرات التي يتميز بها في أنحاء المملكة والأشكال التي اتخذها آمون بالإضافة إلى طرز ومعمار هذه المعابد وأماكن توزيعها وخصوصية المكان والزمان (الدينية والدنيوية) ومعالجته للكهنوت الكوشي وأثره على تتويج الملوك ورحلات التتويج التي يقوم بها الملوك عند توليتهم الحكم أو تفقد تلك المعابد ودور ومكانة المرأة ومباركة الإله آمون لها، والتوفيق بين عبادة الإله آمون والآلهة الأخرى خصوصاً الإله أبي دماك "الأسد" وبقية المعبودات الأخرى. أما كتابه الآخر مملكة مروي التاريخ والحضارة مبيناً فيه أن تعريف بمروي حاضرة المملكة المروية "الكوشية"، المواقع المروية الأخرى، والمرويون أرضخهم ونهضتهم وعلاقاتهم الخارجية، واضمحلال وتفكك مروي. وفنون الحكم والإدارة بالنسبة الملكية المقدَّسة وطرق اختيار وتتويج الملوك وتجديد الزعامة وقتل الملك الطقسي ثم النساء والسلطة في مروي والإدارة الإقليمية وأثرها في تثبيت دعائم المملكة والمعمار الديني والجنائزي والعقائد الدينية والاقتصاد المروي من زراعة وتربية للحيوان وصناعات أهمها تعدين الحديد.

البروفيسور خضر آدم عيسى

ولد في العام 1947م، نال بكالوريوس الآداب بمرتبة الشرف في جامعة الخرطوم عام 1971م، ودرجة دبلوم الآثار علم المصريات فوق الجامعي (3 سنوات) من جامعة لندن عام 1976م، ودرجة الدكتوراه في الآثار وعلم المصريات من جامعة السربون – باريس رقم (4) في العام 1987م.

1. كتاب: (**السودان القديم تاريخه، ثقافته وحضارته**)[1]، الناشر دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، 2010م، يقع الكتاب في (156 صفحة) من الحجم المتوسط. يحتوي الكتاب على تمهيد ومقدمة وأربعة أبواب، وتم تقسيم الأبواب الأربعة لعدة أفرع. فجاء في التمهيد أن هذا الكتاب هو كتاباً منهجياً ليغطي المقررات الدراسية بكليات جامعة الخرطوم الصلة وكذا الطلاب والدارسين بالجامعات الأخرى. وجاء في مقدمته تعريف للموقع الجغرافي المتميز للسودان في القارة الإفريقية وتعدد مناخاته والمعادن التي تحتويها باطن أرضه منذ أقدم العصور وإلى يومنا هذا، وتطرق إلى أسماء السودان القديم في اللغات القديمة (تا-ستي، تا-نحسو، كوش، إثيوبيا، بلاد السودان، رماة الحدق، بلاد النوبة). ففي الباب الأول تناول الكاتب (**عصور ما قبل التاريخ "العصور الحجرية في السودان"**). أما الباب الثاني والذي بعنوان: (**حضارة المجموعات وفترة ما قبل كرمة**). أما الباب الثالث فجاء بعنوان: (**حضارة كرمة "مملكة كوش الأولى"**). أما الباب الرابع والذي بعنوان" (**حضارة نبتة –**

(1) خضر آدم عيسى، السودان القديم تاريخه، ثقافته وحضارته، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، 2010م.

مروي) وأخيراً فترة ما بعد مروي (X-Group) المجموعة المجهولة س. واختتم الكتاب بقائمة للمصادر والمراجع، ثم مسرد للمصطلحات الواردة بالكتاب.

2. كتاب: (**تاريخ السودان القديم**)[1] منشورات جامعة السودان المفتوحة، الطبعة الثانية، 2005م، يقع هذا الكتاب 154 صفحة من الحجم المتوسط. يعتبر هذا الكتاب واحداً من كتب المقررات المصممة لبرنامج التربية جامعة السودان المفتوحة، تم تقسيم الكتاب إلى أربعة وحدات سبقتها مقدمة عرفت بالسودان القديم. حيث جاءت الوحدة الأولى بعنوان: (**عصور ما قبل التاريخ – العصور الحجرية في السودان**) والوحدة الثانية بعنوان: (**حضارة المجموعات "فترة ما قبل كرمة" والعلاقات السودانية المصرية في عهدي المملكة المصرية القديمة والوسطة**) أما الوحدة الثالثة فهي بعنوان: (**حضارة كرمة "مملكة كوش الأولى" والعلاقات السودانية المصرية في عهد المملكة المصرية الحديثة**) وجاءت الوحدة الرابعة بعنوان: (**حضارة "نبتة – مروي" "مملكتي كوش الثانية والثالثة" وفترة ما بعد مروي**) وتم تقسيم كل وحدة لعدة محاور اشتملت في نهايتها على لتدريبات وإجابة عنها ومسرد للمصطلحات ومصادر ومراجع كل وحدة على حدا.

من خلال كتابة (تاريخ القديم ثقافته وحضارته) توضيح للموقع الجغرافي المتميز للسودان في القارة الإفريقية وتعدد مناخاته والمعادن التي تحتويها باطن أرضه منذ أقدم العصور وإلى يومنا هذا، وأسماء السودان القديم في اللغات القديمة (تا-ستي، تا-نحسو، كوش، إثيوبيا، بلاد السودان، رماة الحدق، بلاد النوبة). والعلاقات السودانية المصرية في عهد المملكة المصرية القديمة والوسطى والحديثة وقيام حضارة كرمة ومنجزاتها ومميزاتها وعوامل انهيارها. حضارة كرمة.

البروفيسور أحمد محمد علي الحاكم

1. كتاب: (المعمار المروي، خلفية لحضارة إفريقية، مطبعة جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، الخرطوم، 1988م)[2] والكتاب مكتوب باللغة الإنجليزية بعنوان: (MEROITIC ARCHITECTURE, A Background of An African Civilization, 1988) قسم هذا الكتاب إلى ثلاث أجزاء، الجزء الأول بعنوان: (**طبوغرافية مدينة مروي ونبتة**)، أما الجزء الثاني والذي بعنوان: (**معابد آمون**)، والجزء الثالث بعنوان: (**القبر كشكل من أشكال العمارة**) في هذا المؤلف أمدنا البروفيسور حاكم بخلفية مكينة عن تاريخ العمارة في السودان القديم والتي بلغت إحدي ذري عظمتها في عهد دولة مروي (900 ق م-350م). فالقصور الملكية والأميرية، الجبانات الملكية في الكرو، نوري، كبوشية، إهرامات البجراوية، الدور والحمامات المروية الشهيرة كلها تشي برقي وعظمة فن العمارة السوداني، حيث استفاد أسلافنا الأوائل من مظاهر التقدم التقني في عصرهم، فعرفوا صناعة الحديد التي ظهرت في البدء في هضبة الأناضول (تركيا) بواسطة

---

(1) خضر آدم عيسى، تاريخ السودان القديم، ط2، الخرطوم، دار جامعة السودان المفتوحة، 2005م.

(2) Ahmed M. Ali Hakem, Meroitic Architecture, A Background of An African Civilization, Khartoum, Khartoum University Press. 1988

الحيثيين في الألف الثاني قبل الميلاد. ومما يجدر التنوية به أن قدماء السودانيين كانوا أول من استخدم الحديد في أفريقيا بل وأنشاوا أفران الصهر وأذدهرت صناعة الحديد في السودان القديم في الوقت الذي كان فيه هذا المعادن مايزال نفيساً ويستخدم في صناعة الحلي والزينة عند كثير من الأمم المعاصرة لحقبة إزدهار الحضارة السودانية (الكوشية) مما حدا بالعالم البريطاني أ.هـ. سأيز عام 1912م. إلى وصف مدينة مروي القديمة بأنها "برمنجهام أفريقيا". وشملت استخدامات الحديد في السودان القديم شتي مناحي الحياة، في الأدوات الطبية الجراحية بعد جلفنته لحمايته من الصدأ وفي صناعة الأسلحة والآلات الزراعية وبعض الأدوات الحياتية الأخرى. وفضلاً عن ذلك أفاد الأقدمون من صناعة الحديد في عملية التحكم في درجة الحرارة واستخدامها الأمثل، فبنوا الأفران التي استغلت في إنتاج الطوب الأحمر الذي استخدم بصورة واسعة في بناء الدور والقصور وصناعة الفخار كما استخدموا الجبص والأعمدة الحجرية المزخرفة.

2. كتاب: (**هوية السودان الثقافية – منظور تاريخي**)[1]. قامت دار جامعة الخرطوم للنشر بنشر هذا الكتاب في العام 1990م والذي يقع في 105 صفحة من الورقة المتوسط. يحتوي الكتاب على مقدمة واثنتي عشر فصل وخاتمة وقائمة مصادر ومراجع. الفصل الأول بعنوان: (**البعد التاريخي**)، والفصل الثاني (**التفسير العرقي**، الفصل الثالث (**التفسير العلمي**) الفصل الرابع (**اللغة والهوية الثقافية واللغات السودانية**) الفصل الخامس (**اللغة المصرية القديمة**) الفصل السادس (**اللغة المروية – الإغريقية - القبطية**) الفصل السابع (**اللغة النوبية والبجاوية**) الفصل الثامن (**اللغة العربية**) الفصل التاسع (نشأة الحضارة) الفصل العاشر (الحضارة المروية) الفصل الحادي عشر (الحضارة النوبية المسيحية) الفصل الثاني عشر (الحضارة الإسلامية السودانية)، واختتم الكتاب بخاتمة ثم قائمة بالمصادر العربية ثم الأجنبية.

3. كتاب: (**كرمة مملكة النوبة – تراث إفريقي من عهد الفراعنة**)[2]، نشر هذا الكتاب شارلس بونيه والهيئة القومية للآثار والمتاحف، بالاشتراك مع شارلس بونيه في العام 1997م، بإشراف الدكتور صلاح الدين محمد أحمد، طبعته شركة دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع. يقع هذا الكتاب 266 صفحة من الحجم المتوسط، اشتمل قائمة بأرقام الصور والرسومات، ولمسة وفاء، في ذكرى الراحل المقيم بروفيسور الحاكم، ومقدمة، وتصدير، وتمهيد. ثم عدد من الموضوعات لها أفرع، وهي: (**تاريخ البحث الأثري**). (**عصور ما قبل التاريخ بالسودان**)، (**الحضارات النوبية**)، مملكة نبتة، إمبراطورية مروي. (**كرمة الدولة وموقع المدينة**). (**سكان كرمة**). (**الحيوان بكرمة**). (**أصول السكن والعمارة**).

---

(1) أحمد محمد علي الحاكم، هوية السودان الثقافية – منظور تاريخي، الخرطوم ، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1990م.

(2) أحمد محمد علي الحاكم وشارلس بونيه، كرمة مملكة النوبة – تراث أفريقي من عهد الفراعنة، إشراف صلاح الدين محمد أحمد، الخرطوم، شركة دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م.

(**العمارة الدينية**). (**العمارة الجنائزية**). (**الصناعات والحرف**). (**صناعة الحجار المقصولة**). ثم المصادر والمراجع.

من خلال العرض أعلاه يتضح أن المعمار المروي كان في غاية الروعة والجمال والدقة في الصنعة الفائقة الاتقان، ونلمس ذلك في المجاميع التي يتكون منها المعبد المروي سواءً لعبادة الإله آمون أو الإله أبيدماك "الأسد" في كتابه المعمار المروي خلفية لحضارة إفريقية عالج فيه كل المعمار المروي المتمثل في فن المعمار الديني (المعابد) والجنائزي (المدافن) في أنحاء المملكة وأوضح وأبان في ذلك. أما كتابه هوية السودان الثقافية استشهد فيه بالأدلة الآثارية والتاريخية على تثبيت دعائم الهوية السودانية ثقافياً وحضارياً من خلال المكتشفات وما خلفه الإنسان من ثقافة مادية وغير مادية. وفي كتابة كرمة مملكة النوبة تراث إفريقي عالج فيه كرمة الدولة وموقع المدينة وسكان كرمة والحيوان بكرمة وأصول السكن والعمارة والعمارة الدينية (الدفوفة الغربية) والعمارة الجنائزية (الدفوفة الشرقية) والصناعات(صناعة الفخار الذي تميزت به كرمة عن بقية الحضارات) والحرف صناعة (الأسرة "العنقريب" الذي وجد بكثافة في المقابر الكرمية) الحجار المقصولة وغيرها.

الدكتور علي أحمد قسم السيد

تخرج في جامعة الخرطوم كلية الآداب قسم التاريخ عام 1975م نال بكالوريوس الآداب بمرتبة الشرف الثانية العليا متخصصاً في التاريخ القديم، نال دبلوم الدراسات المتعمقة في 1978م متخصصاً في الحضارة المروية. نال درجة الدكتوراه في العام 1982م متخصصاً في علم الآثار المصرية.

كتاب: **الأهمية الأثارية والتاريخية لجبانة الكرو**[1]، ترجمة سارة حسن البيلي، دار جامعة الخرطوم للنشر، 2017م. يقع هذا الكتاب في 210 صفحة من الحجم المتوسط، ويحتوي على: تقديم للكتاب قدم له بروفيسور عبد القادر محمود عبد الله ومقدمة للمؤلف، اشتمل الكتاب على أربعة فصول واشتمل كل فصل على عدد من الموضوعات، الفصل الأول (**تاريخ بلاد كوش وموقعها بالنسبة لمصر**). والفصل الثاني بعنوان (**ظهور جبانة الكرو في النوبة العليا**). الفصل الثالث خصص لـ (**تطور قبور الكرو**). أما الفصل الرابع تناول (**تمصر الأسرة الخامسة والعشرين وفقاً لقبور ملوكها في الكرو**). واختتم البحث بخاتمة واختصارات وقائمة للمصادر والمراجع.

تنبع أهمية هذا الكتاب في أنه تناول واحداً من المدافن الكوشية الملكية التي ضمت رفاة ملوك الأسرة الخامسة والعشرين وأسلافهم، متناولاً تاريخ بلاد كوش وموقعها بالنسبة لمصر وظهور جبانة الكرو في النوبة العليا وبالأخص عندما قام رايزنر بإجراء حفائر بها في العام 1918م فمدتنا هذه الجبانة بالتطور الذي طرأ على عادات وتقاليد الدفن من مدفن تلي إلى مسورة بسور كحدوة الحصان ثم إلى

(1) علي أحمد قسم السيد، الأهمية الآثارية والتاريخية لجبانة الكرو، ترجمة سارة حسن البيلي، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 2017م.

مسطبة وأخيراً الدفن تحت الهرم، وما طرأ تغيير على غرف الدفن والأثاث الجنائزي المصاحب للمدفون، كما ألحق بالجبانة مكاناً لدفن الخيول الملكية بكامل زينتها.

الدكتورة أمل عمر أبو زيد

من مواليد مدينة أمدرمان، تخرجت في جامعة الخرطوم كلية الآداب قسم الآثار، حازت على ماجستير في الفلكلور من معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية – جامعة الخرطوم، عملت كمحاضرة بمركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية بجامعة أمدرمان الأهلية.

كتاب: (**الملامح العامة لتاريخ السودان القديم**)[1] نشر هذا الكتاب في العام 1997م، ضمن سلسلة الدراسات السودانية، الكتاب رقم (1) مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان. يقع هذا الكتاب في 118 صفحة من الورق المتوسط، واشتمل على مقدمة للمحرر وخمسة أبواب حيث تم تقسيم كل باب لعدة محاور، ثم خاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع واختتم الكتاب بملاحق. الباب الأول (**المقدمة**). والباب الثاني (**عصور ما قبل التاريخ**) و (**العصر الحجري القديم في السودان**). الباب الثالث خصص للمجموعات الحضارية المبكرة والامتداد المصري في السودان. أما الباب الرابع عالج نبتة ومروي. أما الباب الخامس تناول حضارة ما بعد مروي. واختتم الكتاب بخاتمة ثم قائمة لمصادر ومراجع الدراسة وأخيراً ملاحق اشتملت على أشكال وخرائط وصور. هذا الكتاب بمثابة كتيب للطلاب ليدرس لهم كمادة الدراسات السودانية فجاء في مجملة توصيف للحقب التي مر بها تاريخ السودان وحضاراته.

الدكتور أسامة عبد الرحمن النور

ماجستير في علم الآثار المصرية Egyptology بمرتبة الشرف الأولى من جامعة شدانوف للدولة لننجراد 1969م، دكتوراه الفلسفة في علم الآثار المصرية Egyptology من معهد الدراسات الشرقية أكاديمية العلوم السوفيتية موسكو 1976م، عمل ضابطاً بمصلحة الآثار السودانية في العام 1969م، وتدرج في وظائفها إلى أن شغل منصب المدير العام للإدارة العامة للآثار والمتاحف القومية السودان في الفترة 1987-1991م.

كتاب: (**دراسات في تاريخ السودان القديم**)[2] "نحو تأسيس علم الدراسات السودانوية مع قائمة ببليوغرافية شاملة" تم نشر هذا الكتاب عبر مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي بأمدرمان، في العام 2006م، يقع هذا الكتاب في 694 صفحة في حكم ورق متوسط،. تم تقسيم الكتاب إلى مقدمة وتمهيد وستة فصول وملاحق وقائمة ببلوغرافية. خصص الفصل الأول لمعالجة (**مصادر دراسة تاريخ**

---

(1) أمل عمر أبو زيد، الملامح العامة لتاريخ السودان القديم، أم درمان، سلسلة الدراسات السودانية الكتاب رقم 1، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أم درمان الأهلية، 1997م.

(2) أسامة عبد الرحمن النور، دراسات في تاريخ السودان القديم، أم درمان، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، 2006م.

السودان القديم). أما الفصل الثاني بعنوان: (**التدوين التاريخي لحضارة السودان القديم**)، أما الفصل الثالث عن: (**السودان القديم في مرحلتي ما قبل التاريخ والتاريخ المبكر**). أما الفصل الرابع والذي بعنوان: (**الدولة في السودان القديم**). أما الفصل الخامس تناول (**مملكة نبتة**). أما الفصل السادس تناول: (**مملكة مروي**). ثم تلى الفصول ملاحق كان الملحق الأول نص ابن سليم الأسواني عن النوبة، والملحق الثاني نص ملك أكسوم "عيزانا" والملحق الثالث مقتطفات من الفصل الأول لكتاب مملكة الفونج السنارية، ثم ملحق للصور، وقائمة بمراجع تاريخ السودان القديم وآثاره تغطي الأعمال المنشورة بلغات أجنبية مختلفة بدءاً من بداية القرن التاسع عشر وحتى العام 2004م.

عالج الدكتور أسامة عبد الرحمن النور في كتابه هذا مصادر دراسة تاريخ السودان القديم والتدوين التاريخي لحضارة السودان القديم المصادر الإبيجرافية ونقوش مملكة نبتة ومروي والكتاب والجغرافيين اليونان والرومان والمصادر الأثرية وخزان أسوان وعلم الآثار السودانية والعمل الميداني في مواقع نبتة – مروي والعمل الميداني في مواقع العصر المسيحي. والسودان القديم في مرحلتي ما قبل التاريخ والتاريخ المبكر والدولة في السودان القديم مرحلة التأسيس، مملكة السودان الأولى في كرمة، عادات كرمة وطقوسها الجنائزية، ثقافة كرمة الروحية، وثقافة كرمة المادية. ومملكة نبتة السودان والمملكة المصرية الحديثة، والسودان في الفترة من القرن الثامن ق.م وحتى منتصف القرن الميلادي الرابع، وفترة تأسيس مملكة نبتة، وازدهار مملكة نبتة والسيادة السودانية على مصر، مملكة نبتة بعد التراجع من مصر، ومملكة مروي البداية والازدهار، ومملكة مروي بداية التفكيك والانهيار وأودع كتابه هذا قائمة بمراجع لتاريخ السودان القديم وآثاره تغطي الأعمال المنشورة بلغات أجنبية مختلفة بدءاً من بداية القرن التاسع عشر وحتى العام 2004م.

البروفيسورعبد الرحيم محمد خبير

من مواليد مدينة أم درمان حي بيت المال، بكالوريوس الآثار جامعة الخرطوم1977م، ماجستير الآثار جامعة الخرطوم 1982م، دكتوراه في الآثار والتاريخ القديم جامعة ساوثامبتون ببريطانيا في العام 1996م.

كتاب: (من **تاريخ السودان الحضاري – شواهد أثرية وتاريخية**)[1]، تم نشر هذا الكتاب في العام 2021م بواسطة الدار العالمية للنشر والتوزيع القاهرة، يتكون الكتاب من 344 صفحة من الحجم المتوسط. تم تقسيم الكتاب لتقديم وتمهيد وعدة موضوعات فهي بالترتيب: علم الآثار المفهوم والأهداف. نشوء الدولة السودانية من منظور آركيولوجي – تاريخي. حول الأصل السلالي لسكان السودان القديم في عهد ممالك كوش: منظور آركيولوجي – تاريخي "2500-1500ق.م، 900ق.م-350م". المكتشفات الجديدة عن حضارة كرمة (2500-1500ق.م) بالسودان: والدلالات. نزاعات

(1) عبد الرحيم محمد خبير، من تاريخ السودان الحضاري – شواهد أثرية وتاريخية، القاهرة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، 2021م

الحدود بين السودان ودول الجوار (2500ق.م-1958م) قراءة للسجل الآثاري والتاريخي. الشخصية القومية من منظور آركيولوجي – تاريخي: دراسة حالة السودان. السودان القديم: بداية صمتعة الحديد في إفريقيا. الحضارة الكوشية – المروية وديمقراطية الهرم. التحنيط وعقيدة الخلود في وادي النيل القديم. شامبليون اللغة المروية وحجر رشيد السوداني. أصل الشلوخ في السودان: شواهد أثرية. الباراسيكولوجي وسر بناء الأهرامات في وادي النيل. الشعر السوداني قبل الكلمة العربية: قراءة أولية للسجل الآثاري. تاريخ أمدرمان الحضاري من خلال المكتشفات الأثرية. التعداد "الإحصاء" في وادي النيل القديم. الحصان في السودان القديم. وصف بلاد النوبة في القرون الوسطى: رواية الرحالة أبو الحسن الوزان الزياتي. الرحالة ديفيد روبيني في مملكة سنار الإسلامية. السيوف الإسلامية: سيف الوزير ناصر السوداني نموذجاً. ملامح من الفن النوبي: الزخارف والنقوش المعمارية في وادي حلفا أنموذجاً. الآثار والتنمية السياحية في السودان. السياحة الآثارية في السودان: المتاحف نموذجاً. آثار الحضارات السودانية ودور النشر الإلكتروني في العريف بها. محمد إبراهيم أبو سليم ومنهجه في كتابة التاريخ. فهذا الكتاب شامل لتاريخ وآثار السودان وبعضاً من الموضوعات التي خارج نطاق الدراسة إلا أنه شمل الكثير من الموضوعات ذات الأهمية بمكان دراستها وعلاقتها بتاريخ السودان القديم.

الدكتور الحسن أحمد محمد الحسن النوش

بكالوريوس الآثار جامعة القاهرة كلية الآثار، ماجستير الآثار جامعة الخرطوم، دكتوراه الآثار جامعة الخرطوم، عمل بالهيئة العامة للآثار والمتاحف حتى وصل درجة أمين أمانة الآثار بها.

كتاب: **(الملك السوداني تهارقا 690-664ق.م حياته وآثاره في وادي النيل)**[1]، قامت بنشره دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع، الخرطوم في العام 2021م، والكتاب عبارة عن رسالة ماجستير من جامعة الخرطوم كلية الآداب 2007م، يقع الكتاب في 309 صفحة من الحكم المتوسط. حيث اشتمل الكتاب على تقديم من قبل البروفيسور عبد القادر محمود عبد الله، ثم تمهيد وستة أبواب وخاتمة ثم مصادر ومراجع. جاء الباب الأول بعنوان: (وادي النيل خلال الألف الأول قبل الميلاد). أما الباب الثاني فهو بعنوان: **(الآثار الثابة للملك تهارقا في وادي النيل من الدلتا في الشمال إلى إقليم نباتا في الجنوب)**. أما الباب الثالث فهو بعنوان: **(الآثار الثابتة للملك تهارقا في إقليم نباتا)**. أما الباب الرابع والذي بعنوان: **(الآثار المنقولة للملك تهارقا)**. أما الباب الخامس خصص لـ(ألواح الملك تهارقا). أما الباب السادس جاء بعنوان: **(تحليل شخصية الملك تهارقا)**. واختتم بخاتمة ثم إحصائية لآثار الملك تهارقا الثابتة والمنقولة، وقائمة للمصادر والمراجع.

---

(1) الحسن أحمد محمد الحسن النوش، الملك السوداني تهارقا 690-664ق.م حياته وآثاره في وادي النيل، الخرطوم، دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع، 2021م.

الدكتور الحسن أحمد الحسن في كتابه الملك السوداني تهارقا تحدث فيه عن: وادي النيل خلال الألف الأول قبل الميلاد والآثار الثابتة للملك تهارقا في وادي النيل من الدلتا في الشمال إلى إقليم نباتا في الجنوب والآثار الثابتة للملك تهارقا في إقليم نباتا والآثار المنقولة للملك تهارقا وألواح الملك تهارقا وتحليل شخصية الملك تهارقا، حيث يعتبر الملك تهارقا أكبر البنائين الكوشيين حيث شاد العديد من الصروح الدينية (تعبدية وجنائزية) على امتداد طول وادي النيل، ورمم ما كان آيل للسقوط وأضاف بعض الأعمدة في العديد من المعابد تلخيداً لذكراه. ويعتبر هرمه الكائن بجبانة نوري أكبر صرح جنائزي في بلاد كوش قاطبة.

الدكتورأحمد الياس حسين

ليسانس تاريخ كلية الدراسات العربية جامعة الأزهر 1966م، ماجستير التاريخ الإسلامي كلية الآداب جامعة القاهرة 1977م، دكتوراه التاريخ معهد الدراسات الإفريقية جامعة القاهرة، 1982م.

كتاب: (**مراجعات في تاريخ السودان**)[1] نشر هذا الكتاب من قبل مركز بناء الأمة للبحوث والدراسات، في العام 2016م. يقع الكتاب في 212 صفحة من الحجم المتوسط، وطبع بمطابع شركة مطابع السودان للعملة. اشتمل هذا الكتاب على قسمين: الأول مراجعات في التاريخ القديم، والثاني مراجعات حول العرب والسودان. وما يهمنا في هذا الكتاب – حسب مقتضيات الدراسة – الجزء الأول والذي يقع في 138 صفحة. حيث اشتمل هذا الجزء على الآتي: حِقَب تاريخ السودان، والبدايات المبكرة لتاريخ السودان القديم، والممالك السودانية المبكرة في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد، والإمارات والممالك السودانية في القرن 22 ق.م، والإمارات والممالك السودانية في القرن 20 ق.م، وتاريخ الصراع والعلاقات بين مصر والسودان 32ق.م-7م، والكنداكة الأولى قبل نحو ألف سنة من كنداكة مروي التي حاربت روما، والكوشيين: علماً على السودانيين وأرضهم لأكثر من أربعة ألف سنة، والأصل السوداني لسكان ولحضارة وادي النيل – وجهة نظر يونانية قديمة، ومروي في المصادر العربية المبكرة، والنوبة: أصل الاسم ودلالته عبر العصور، والسودان: المراحل المبكرة لإطلاق الاسم ودلالاته، وعلاقات العرب بإفريقيا قبل الإسلام كما روتها المصادر العربية: مراجعة نقدية.

نجد الدكتور أحمد الياس حسين في كتابه مراجعات في تاريخ السودان كتب لنا عن أهمية مراجعة تحقيب تاريخ السودان القديم بحيث لا يتم الاعتماد على تحقيب الأوربيين لخصوصية الحضارة السودانية القديمة ومجريات أحداثها التي تختلف عن الحضارة الأوربية.

الدكتورة دولت يوسف أحمد إبراهيم

من مواليد مدينة أم درمان، خريجة جامعة القاهرة فرع الخرطوم في العام 1981م، حصلت على دبلوم التربية في 1987م، حصلت على الماجستير في العام 1997م، حصلت على الدكتوراه في جامعة أمدرمان الإسلامية في العام 2010م.

---

(1) أحمد الياس حسين، مراجعات في تاريخ السودان، الخررطوم، مركز بناء الأمة للبحوث والدراسات، 2016م.

كتاب: (**الدور السياسي والديني لملكات مملكة كوش 1575ق.م – 20م "دراسة مقارنة"**)[1] نشر بمركز دراسات المرأة في العام 2013م، وطبع بمطابع شركة مطابع السودان للعملة، يقع هذا الكتاب في 214 صفحة من الحجم المتوسط. اشتمل هذا الكتاب على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة ومصادر ومراجع وملاحق. جاء الفصل الأول بعنوان: (**مكانة المرأة في العالم القديم**). أما الفصل الثاني كان بعنوان: (**دور الملكات في وراثة العرش**). أما الفصل الثالث والذي بعنوان: (**دور الملكات الديني**). أما الفصل الرابع جاء بعنوان: (**الدور السياسي لملكات مصر القديمة**). أما الفصل الخامس والذي بعنوان: (**الدور السياسي لملكات كوش**).

الدكتورة دولت يوسف في كتابها الدور السياسي والديني لملكات مملكة كوش تظهر لنا معالجتها للعديد من الموضوعات التي تمثلت في وضع النساء في العالم القديم مع إبراز دور الملكات في وراثة العرش في مصر وكوش، ودور الملكات الديني في مصر ومملكة كوش والآلهة المحلية مع دراسة تفصيلية لعهود الملكات ومخلفاتهن الأثرية، ومقارنة بين ملكات مصر وملكات مملكة كوش.

الدكتور الأمين عثمان شعيب

من مواليد العام 1974م، تحصل على بكالوريوس الشرف في التاريخ جامعة النيلين2003م، والدبلوم العالي في الدراسات التاريخية جامعة النيلين 2005م، وتحصل على درجة ماجستير في التاريخ القديم جامعة دنقلا 2012م، والدكتوراه في التاريخ القديم جامعة دنقلا في العام 2016م.

1. كتاب: (**المضامين التاريخية والحضارية لتقاليد الدفن الكوشي الملكي لجبانة نوري**)[2]، هذا الكتاب هو في الأصل رسالة ماجستير جامعة دنقلا، تم نشرها إلكترونياً في العام 2017م من قبل نور نشر – المغرب، يقع هذا الكتاب في 201 صفحة من حجم ورق A4. اشتمل هذا الكتاب على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع. جاء الفصل الأول بعنوان: (**مقاربات في جغرافية وتاريخ مملكة نبتة**). والفصل الثاني بعنوان: (**لمحة عن تقاليد الدفن الملكي في كوش قبل جبانة نوري 900-664 ق.م**). أما الفصل الثالث فهو بعنوان: (**تقاليد الدفن في جبانة نوري الملكية**). أما الفصل الرابع والذي بعنوان(**أثر تقاليد الدفن الملكي بجبانة نوري على المدافن الملكية في البجراوية والبركل**)، ثم خاتمة وثبت للمصادر والمراجع.

---

(1) دولت يوسف أحمد إبراهيم، الدور السياسي والديني لملكات مملكة كوش 1575ق.م – 20م "دراسة مقارنة"، الخرطوم، مركز دراسات المرأة، شركة مطابع السودان للعملة، 2013م.

(2) الأمين عثمان شعيب، المضامين التاريخية والحضارية لتقاليد الدفن الكوشي الملكي لجبانة نوري، مراكش، نور نشر، 2017م.

2. كتاب: (**مدينة جِمْ أتون "الكوة" التاريخ والحضارة**)[1] قامت دار المصورات للطباعة والنشر والتوزيع بنشر هذا الكتاب في العام 2018، حيث يقع الكتاب في 214 صفحة من الحجم المتوسط، اشتمل الكتاب على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع وملاحق. جاء الباب الأول بعنوان: (**الجغرافية التاريخية لمدينة جم أتون الكوة**). أما الباب الثاني بعنوان: (**علاقة بلاد النوبة العليا بالمملكة المصرية الحديثة**). أما الباب الثالث والذي بعنوان(**جم أتون "الكوة" في العهد النبتي**) ، أما الباب الرابع فهو بعنوان: (**جم أتون "الكوة" في العصر المروي**). وأخيراً الخاتمة ثم ثبت المصادر والمراجع والملاحق.

أوضح الكاتب في كتابة الأول جوانب عدة حول تمثلت في الجغرافية والبيئة الطبيعية في مملكة نبتة، مع خلفية تاريخية عن مملكة كوش في طورها النبتي، ثم أثر المؤسسة الدينية على مملكة نبتة وأيدلوجيا الدولة. وطبوغرافية وتاريخ جبانة الكرو، والبناء العلوي والسفلي للقبور وتقاليد الدفن. وطبوغرافية جبانة نوري، والسمات المعمارية في مدافن نوري وجبانة نوري، وعقائد الموت والعادات الجنائزية في جبانة نوري. ثم مسالة نقل العاصمة من نبتة إلى مروي وتقاليد الدفن الملكي بجبانة البجراوية الجنوبية والشمالية، وتقاليد الدفن الملكي بجبانة البركل. وفي كتابه الثاني أخبرنا عن جغرافية وتاريخية جم أتون، وكتابات الرحالة والمؤرخين، وأعمال التنقيب بجم أتون "الكوة" والأهمية التاريخية لجم أتون "الكوة". ومعابد الدولة الحديثة ودورها في بلاد النوبة، ومعابد الآلهة، والمميزات والتصاميم لمعابد الدولة الحديثة، وعمارة المعابد، والزراعة وتربية الحيوان، ومعبد (A) وتصميمه، ووصف المعبد تاريخياً وأثرياً، وأهم الأشياء التي وجدت بفناء المعبد. ومعبد (B) وتصميمه، والطريق لمعبد تهارقو، والكشك الشرقي، والكشك الغربي، والمذبح، وحدائق المعبد، والكباش، ومعبد (T) وصفه وتصميمه، واللوحات التي تم العثور عليها بمعبد (T)، ولوحات الملك تهارقو بالكوة، ولوحة الملك أنلماني بالكوة، ومعاصر الخمر، ومزار الملك تهارقو، ومزار الملك أسبلتا، واللوحة رقم (9) الخاصة بنقش الملك أماني نتي يركي، والمقبرة الشرقية بالكوة، ومدافن النخبة في الجبانة الكوشية، والمنطقة الصناعية، ومباني التخزين، والمنازل.

الدكتور عبد العزيز عبد الغني

كتاب: (**تاريخ الحضارات السودانية القديمة**)[2] نشر هذا الكتاب في العام 1970م عبر دار التحرير للطباعة والنشر، الخرطوم، احتوى هذا الكتاب على تقديم وثمانية فصول، الفصل الأول بعنوان (**عصر ما قبل التاريخ والعصور الحجرية**). والفصل الثاني هو: (**السودان المعاصر للمملكة المصرية القديمة وفترة الاضمحلال الأولى**). الفصل الثالث والذي بعنوان: (**السودان في عهد المملكة المصرية**

---

(1) الأمين عثمان شعيب، مدينة جم أتون "الكوة" التاريخ والحضارة، الخرطوم، دار المصورات للطباعة والنشر والتوزيع، 2018م.

(2) عبد العزيز عبد الغني، تاريخ الحضارات السودانية القديمة، الخرطوم، دار التحرير للطباعة والنشر، 1970م.

الوسطى وفترة الاضمحلال الثانية). أما الفصل الرابع والذي بعنوان: (**السودان في عهد المملكة المصرية الحديثة)**. أما الفصل الخامس والذي بعنوان: (**فترة الحكم النبتي)**. أما الفصل السادس بعنوان: (**حضارة مروي)**. أما الفصل السابع فهو بعنوان: (**من العصر المروي إلى العصر المسيحي)**. أما الفصل الثامن والأخير جاء بعنوان: (**ظهور المسيحية)**. وقائمة للمصادر والمراجع. وهذا الكتاب في الأصل خاص بالمعلمين بشعبة التاريخ قسم المناهج والكتب وزارة التربية والتعليم العالي. وفيه جعل الكاتب التاريخ القديم يمتد حتى الفترة المسيحية.

قراءة تفسيرية تحليلية:

بعد أن قام الباحث بجمع كل الكتب التي تم تأليفها في تاريخ السودان القديم من قِبل الأكاديميين السودانيين نلحظ الآتي:

إن أكثر تأليفاً للكتب هي البروفيسور سامية بشير دفع الله، حيث قامت بكتابة ستة كتب كلها تناولت تاريخ السودان القديم في مختلف حقبه، ويليها بروفيسور عبد القادر محمود عبد الله، وأقل تأليفاً هم من قاموا بتأليف كتاباً واحداً. فالجدول أدناه يبيّن ذلك.

جدول رقم (1) يبين أسماء المؤلفين مع عدد الكتب التي ألَّفها:

رقم	اسم الكاتب	عدد الكتب
1	سامية بشير دفع الله	6
2	عبد القادر محمود عبد الله	5
3	أحمد محمد علي الحاكم	3
4	عمر حاج الزاكي	2
5	خضر آدم عيسى	2
6	الأمين عثمان شعيب	2
7	أسامة عبد الرحمن النور	1
8	علي أحمد قسم السيد	1
9	عبد العزيز عبد الغني	1
10	أمل عمر أبو زيد	1
11	دولت يوسف أحمد إبراهيم	1
12	عبد الرحيم محمد خبير	1
13	أحمد الياس حسين	1
14	الحسن أحمد محمد الحسن النوش	1

من الجدول أعلاه يتضح أن الذين قاموا بتأليف ستة كتب 1 ومن قاموا بتأليف خمسة كتب 1، ومن قاموا بتأليف ثلاثة كتب 1، ومن قاموا بتأليف كتابين 3 مؤلفين، ومن قاموا بتأليف كتاب واحد

ثمانية مؤلفين. إذاً عدد الذين قاموا بتأليف كتب عن تاريخ السودان القديم من السودانيين بلغ عددهم 14 كاتباً، كما بلغ عدد مؤلفاتهم 28 مؤلفاً.

من خلال هذا العرض الموجز لكتابات السودانيين لتاريخ السودان القديم يمكننا القول أن هنالك نمط مكرر في كتاباتهم تتمثل في الهيكل العام الكتاب (العصور الحجرية، المجموعات الحضارية أو فترة ما قبل كرمة، ومملكة كرمة، ومملكة نبتة، ومملكة مروي) كل هذه الكتابات في مجملها كتاب عمومي بحيث يقوم على سرد للحضارات السودانية القديمة المتعاقبة وتناول هذه الفترات في كتاب واحد رغم وجود المادة العلمية التي تجعل هذه الكتابات تكون ذات فائدة أقيم من التي كتبوا بها إذا وجهت هذه الكتابات لموضوعات أكثر تخصصية، فنجد كتاب البروفيسور عمر حاج الزاكي الخاص بـ"الإله آمون في مملكة مروي" كتاب ذا قيمة علمية وجانب تخصصي بحت حيث تحدث فيه عن الإله آمون فقط، وكذا كتاب البروفيسور عبد القادر محمود في كتابه عن الملك بيي "بعانخي" حيث تناول أحد أهم الملوك الكوشيين الذين فتحوا مصر وحكموها لفترة من الزمن، وحياته وآثاره ومجريات الأحداث في عهده. وكذا كتاب الحسن أحمد محمد الحسن في كتابه الملك السوداني تهارقا الذي خصصه لحياته وآثاره المنقولة والثابتة ومجريات الأحداث في عهده. كما يعتبر كتاب الدكتور أسامة عبد الرحمن النور واحد من أهم الكتب في تاريخ السودان القديم حيث جمع فيه مادة غزيرة معتمداً على مصادر متنوعة وتقارير وأبحاث المكتشفات الآثارية ومعالجته لكل فترة بصورة جيدة. أما الدكتور أحمد الياس حسين فقد قال باتباع المنهجية السودانية لتحقيب تاريخ السودان القديم وعدم الركن لما وضعه الأجانب الذين كتبوا عن تاريخ السودان القديم واتباع خطتهم في التحقيب. أما كتاب الدكتورة دولت يوسف عن المرأة في كوش يعتبر من الموضوعات ذات الأهمية بمكان بخاصة دور الملكات والأمهات الملكليات في تتويج الملوك وتبجيل الملوك لأمهاتهم الملكيات كما أخبرنا بذلك الملك تهارقا عندما استدعى والدته آبار من تا ستي لحضور مراسم تتويجه بممفيس، وكذا كتاب الدكتور علي أحمد قسم السيد حول جبانة الكرو ومراحل تطور أنماط الدفن والثراء الكبير في الأثاث الجنائزي الذي يوضع مع الميت ليكون له خير معين في الحياة التي انتقل إليها.

تعتبر كتب البروفيسور أحمد محمد علي الحاكم الثلاث ذات قيمة علمية وفائدة ثقافية جمَّة الأول الذي تناول المعمار المروي بشقيه التعبدي والجنائزي، بالإضافة إلى الهوية الثقافية للسودان من خلال المكتشفات الآثارية والمخلفات الحضارية، أما كتابه عن كرمة مملكة النوبة، فقد أوضح وأبان فيه معالم هذه المملكة وصروحها المعمارية وصناعاتها.

حري بنا أن نثمن دور الأكاديميين والباحثين الأجانب الذين ساهموا بقدر فاعل في تاريخ السودان القديم من خلال مؤلفاتهم القيمة، وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن كتاب وليام آدمز "النوبة رواق إفريقيا" به كم مقدر من الفائدة العلمية التي شملت تاريخ السودان القديم، وكذا كتابات كل من رايزنر ودوز دنهام وشيني وتريقر وبدج وكندال ومكادم وشارلس بونيه كروفوت وكريوان وتوروك

وقريفث وآخرين لا يسع المجال لذكرهم، اعتمد غالبية الكتاب السودانيين على كتابات هؤلاء الأجانب في تأليف كتبهم لأنها في غالبيتها من واقع تقارير الحفائر الأثرية.

ما لم يكتب عن تاريخ السودان القديم:

صفوة القول أن هذا هو ما كُتب عن تاريخ السودان القديم بالأخص من قبل الأكاديمين السودانيين المتمثل في الإنتاج العلمي لهؤلاء العلماء في صورة (كتاب)، عليه يمكننا أن نطرح السؤال التالي: هل غطت هذه الكتب وما احتوت عليه من موضوعات كل فترة تاريخ السودان القديم؟ للإجابة عن هذا السؤال وبقراءة لمفردات الكتب الواردة أعلاه نجد أن هنالك قصور كبير في تناول بعض الموضوعات التي لها كبير الأثر في حيات إنسان السودان القديم، وهي عملت مع ما نشر على تطور ورفعة الجانب الحضاري ونقصد بذلك عدم تناولهم – وبصورة متخصصة – المدافن الملكية عدا جبانة الكرو ونوري، فنجد أن الكتاب السودانيين لم يفردوا دراسة متخصصة للكتابة عن المدافن الملكية في كتاب خاص ونقصد هنا مدافن البجراوية الجنوبية والبجراوية الشمالية والبجراوية الغربية ومدافن البركل. ورغم أن الملكية الكوشية حكمت لقرن من الزمان إلا أن الكتابة عن ملوكها – كل على حدا – عدا الكتابين المذكورين، به جانب قصور في فهمنا ومعرفتنا على هؤلاء الملوك وحياتهم وطريقة إدارتهم للدولة وقتذاك. والندرة كذلك في تناول المدن التاريخية القديمة إلا في كتابين هما: كرمة مملكة النوبة، ومدينة جم أتون "الكوة" وهنالك مدن لها تاريخ مهم بالنسبة للملكية الكوشية مثل مدينة مروي القديم "البجراوية" ومدينة المصورات الصفراء ومدينة النقعة، هذه المدن لها أهمية قصوى بحيث أنها احتضنت عدد من الصروح الدينية لمختلف المعبودات. وهناك كتاب واحد تناول المعبودات بصورة منفصلة وهو كتاب: الإله آمون في مملكة مروي، فهنالك آلهة أخرى عُبدت في السودان القديم مثل: الإله أبيدماك "الإله الأسد"، والإله سبوي مكر، والإله أرسنوفيس، وكذلك تقديس الأفيال، كل هذه المعبودات لم تلق حظها من الدراسة بصورة منفصلة بل شملتها الدراسة من ضمن المؤلفات بصورة عامة. وكذا الحال بالنسبة للاقتصاد الكوشي حيث تناولت الكتابات هذا الجانب المهم بصورة مقتضبة في كتابات بعضهم وأهملها البعض، بحيث يشكل هذا المحور مع بقية المحاور تشكيل حياة إنسان السودان القديم، فكلما ازدهر الاقتصاد وانتعش كلما انعكس ذلك على فخامة وأهمية الصروح "الدينية والجنائزية" التي شادها الملوك. وكذا الحال بالنسبة للتربية والتعليم في العصر الكوشي ولا ننسى أصحاب المهن والحرف والزراع وسايسي الخيل ومروضيها والمعماريين الذين يقومون ببناء وترميم المعابد وتشييد المقر الأبدي للملوك (المدافن) وما تبع ذلك من هندسة معمارية بديعة وفن راقي، وماذا عن الجندية والجيش وكيف كانت هذه الجيوش تستقطب المحاربين والطرق والمهارات التي يتم تدريب المقاتلين عليها ونوع الأسلحة المستخدمة والتكتيك الحربي. وكذا الحال عن الجانب الاجتماعي فكيف سكن هؤلاء وماهي طبيعة العلائق بينهم متمثلة في الزواج والمناسبات الاجتماعية الأخرى.

كل هذا الكم الكبير من المعلومات عن تاريخ السودان القديم تحصلنا عليها من خلال المكتشفات الأثرية التي وفرتها لنا معاول الحفارين، فلا بد من مراجعة تلك المادة القيمة ومطابقتها للوقائع

ومجريات الأحداث بالذات التي تتهم الحضارة الكوشية بالتخلف وأن الشعب السوداني لا يمكن أن يكون صاحب حضارة راقية كتلك – ولنا في رأي رايزنر – منقب جبانة الكرو أكبر دليل على عنصرية الأجنبي. وما يلفت له النظر هل اقتصرت المعالم الحضارية على هذه الصروح والأبنية الشاخصة على طول امتداد وادي النيل التي تم التنقيب عنها، أم أن لها امتدادات حول الشرق والغرب بعيداً عن النيل؟ المتتبع لحركة البعثات الآثارية (الأجنبية منها والوطنية) عملت على مواقع بعيدة عن النيل وأعطت مادة وفيرة وغزيرة عن تلك البقاع في شرق السودان وأعالي نهر عطبرة والأودية كوادي هور ووادي القعب ومناطق شمال كردفان، وبما أن هذه المناطق بها استيطان ومباني ومخلفات أثرية فبالتالي لها ارتباط مع ما حولها من صروح.

لماذا يقف الكتاب السودانيين عاجزين عن سد هذا الجانب؟ إن غالبية الكتاب السودانيين وبالأخص الذين تم ابتعاثهم لنيل الدراسات العليا خارج السودان تأثروا أيما تأثير بالمدارس الفكرية التي كانت سائدة وقتذاك بتلك الجامعات التي درسوا بها، وكتبوا على نفس النمط الذي كتب به أساتذتهم، على الرغم من إشراقات هنا وهناك حول كتابة هؤلاء الأجانب إلا أن هناك أيضاً إشكاليات صاحبت إنتاجهم العلمي المتمثل في أن المجتمع الأوروبي تعرض إلى إثبات نظريات تثبت له هويته وحقه في التكوين والمعمار البشري لهذا جاءت كتابات بعض السودانيين شبيهة بكتاتهم.

أما واقعنا اليوم فنجد الندرة في الذين تخصصوا في تاريخ السودان القديم ويرجع السبب الأساسي في ذلك إلى عدم وجود أساتذة مختصين في تاريخ السودان القديم يدرسون الطلاب بالجامعات السودانية المنتشرة في شتى بقاع الوطن، بالإضافة إلى عامل اللغة التي يحتاجها المختص في التاريخ القديم أولها اللغات القديمة (هيروغليفية + مروي) بالإضافة إلى اللغات الأجنبية بخاصة الإنجليزية والتي كتبت بها المقالات وتقارير الحفريات عن المواقع الأثرية.

الخاتمة:

من خلال هذا العرض والتحليل والوقوف على مؤلفات الأكاديمين السودانيين من خلال المؤلفات في صورة "الكتاب"، فهناك أوراق علمية نشرت في مجلات عليمة لم يتطرق لها الباحث ولكن على أمل أن يتناولها باحث آخر حتى تكتمل الصورة. ومما سبق نستنتج الآتي:

1. غالبية الأساتذة الذين كتبوا عن تاريخ السودان القديم لم يكن تخصصهم التاريخ القديم كتخصص رئيس، فنجد منهم من هم مختص في الآثار، ومنهم من اختص في علم المصريات، ومنهم من سلك درب اللغات القديمة، وقليل منهم من هو مختص في تاريخ السودان القديم.
2. هنالك قصور في سد الفجوة في بعض الموضوعات ذات الأهمية والتي إما أن جاء تناولها من باب العموم، أو تجاهلها البعض.
3. تناول الموضوعات المتشابهة من زوايا مختلفة أدى إلى فهم هذه الموضوعات بصورة جيدة وفهم عميق.

4. هنالك كم هائل من المعلومات التي وردت في هذه المؤلفات قتلت بحثاً فهي لا تحتاج إلى دراسة مرة أخرى بل الإشارة إليها فقط، فعليه يمكن تناولها من باب العلم لا غير.
5. يتخيل للباحثين أن السودانيين شحيحين في الكتابة التاريخية في مجال التاريخ القديم، فدراساتهم تثبت عكس ما يتخيلون.
6. توصل الباحث إلى أن الإنتاج العلمي للسودانيين في مجال التاريخ القديم يحتاج لكتاب كاملاً، لا أن يحصر في بحث علمي فقط كهذا، فهناك مقالات نشرت بمجلات علمية محكمة باللغة العربية واللغات الأجنبية، وهناك مقالات قدِّمت في مؤتمرات ونشرت كذلك، هذا بالإضافة للرسائل الجامعية (ماجستير + دكتوراه) في مجال التاريخ القديم.

ثبت المصادروالمراجع

1. أحمد الياس حسين، مراجعات في تاريخ السودان، الخررطوم، مركز بناء الأمة للبحوث والدراسات، 2016م.
2. أحمد محمد علي الحاكم وشارلس بونيه، كرمة مملكة النوبة – تراث أفريقي من عهد الفراعنة، إشراف صلاح الدين محمد أحمد، الخرطوم، شركة دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م.
3. ----، هوية السودان الثقافية – منظور تاريخي، الخرطوم ، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1990م.
4. أسامة عبد الرحمن النور، دراسات في تاريخ السودان القديم، أم درمان، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، 2006م.
5. أمل عمر أبو زيد، الملامح العامة لتاريخ السودان القديم، أم درمان، سلسلة الدراسات السودانية الكتاب رقم 1، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أم درمان الأهلية، 1997م.
6. الأمين عثمان شعيب، المضامين التاريخية والحضارية لتقاليد الدفن الكوشي الملكي لجبانة نوري، نور نشر، مراكش، 2017م.
7. ----، مدينة جم أتون "الكوة" التاريخ والحضارة، الخرطوم، دار المصورات للطباعة والنشر والتوزيع، 2018م.
8. الحسن أحمد محمد الحسن النوش، الملك السوداني تهارقا 690-664ق.م حياته وآثاره في وادي النيل، الخرطوم، دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع، 2021م.
9. خضر آدم عيسى، السودان القديم تاريخه، ثقافته وحضارته، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، 2010م.
10. ----، تاريخ السودان القديم، ط2، الخرطوم، دار جامعة السودان المفتوحة، 2005م.

11. داوس دانهام، جبانات كوش الملكية، الكرو، ج1، ترجمة سامية بشير دفع الله ومحي الدين يوسف أحمد، حرره وعلق عليه بروفيسور عبد القادر محمود عبد الله، الخرطوم، شركة مطابع السودان للعملة، 2010م.
12. دولت يوسف أحمد إبراهيم، الدور السياسي والديني لملكات مملكة كوش 1575ق.م – 20م "دراسة مقارنة"، الخرطوم، مركز دراسات المرأة، شركة مطابع السودان للعملة، 2013م.
13. سامية بشير دفع الله، البجا وشرق السودان في العصر التاريخي القديم، الخرطوم، دار آريثيريا للنشر والتوزيع. مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر. 2022م.
14. ----، السودان في كتب الإغريق والرومان، ط1، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 2021م.
15. ----، تا ستي أقدم مملكة في تاريخ السودان، الخرطوم، دار المصورات للنشر والكباعة والتوزيع، 2021م.
16. ----، تاريخ الحضارات السودانية القديمة منذ أقدم العصور وحتى قيام مملكة نبتة، ط2، الخرطوم، دار جامعة السودان المفتوحة للطباعة، 2011م
17. ----، تاريخ مملكة كوش: نبته ومروي، ط2، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 2021م.
18. ----، نوبة النيل أصلهم ودورهم في تاريخ السودان القديم، ط1، الخرطوم، دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع، 2017م.
19. عبد الرحيم محمد خبير، من تاريخ السودان الحضاري – شواهد أثرية وتاريخية، القاهرة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، 2021م
20. عبد العزيز عبد الغني، تاريخ الحضارات السودانية القديمة، الخرطوم، دار التحرير للطباعة والنشر، 1970م.
21. عبد القادر محمود عبد الله، السودان القديم كما وثقته الأدلة النصية القديمة1، ط1، القاهرة، الدار العالمية للتوزيع والنشر، 2017م.
22. ----، الكتابة الأبجدية في مصر القديمة. أول اهتداء لمبدأ الأبجدية، الرياض، عمادة المكتبات جامعة الملك سعود، 1995م.
23. ----، اللغة المروية، ماهي؟ أبجديتها وطبيعة كتابتها. قصة فك رموز خطها، ج1، الرياض، مركز البحوث كلية الآداب جامعة الملك سعود، مطابع جامعة الملك سعود، 1986م.
24. ----، اللغة المصرية القديمة، مبادئ قواعدها النحوية، ج1، الخرطوم، دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع، 2019م.
25. ----، بي بعانخي، أول سوداني ملكًا للسودان وصعيد مصر، سلسلة هكذا السودان قديماً وحديثاً، الرياض، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، 2004م.

26. علي أحمد قسم السيد، الأهمية الآثارية والتاريخية لجبانة الكرو، ترجمة سارة حسن البيلي، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 2017م.
27. عمر حاج الزاكي، الإله آمون في مملكة مروي 750ق.م-350م) ط1، الخرطوم، مطبوعات كلية الدراسات العليا بحث رقم (5) جامعة الخرطوم، 1983م
28. ----، مملكة مروي التاريخ والحضارة، ط1، الخرطوم، وحدة تنفيذ السدود، إصدارة رقم (7)، 2006م.
29. Ahmed M. Ali Hakem, Meroitic Architecture, A Background of An African Civilization, Khartoum, Khartoum University Press. 1988

محمد البلالي: مغامر غامض من وسط افريقيا في سودان القرن التاسع عشر

خالد محمد فرح(•).

Abstract:

This article proposes to deal with the character and endeavour of Shaykh Muhammad Al-Bilali or Al-Bilalawi, (d 1872), a religious man or a Faki from the Central Bilad Al-Sudan, precisely the Fitry region in modern day Chad, who remains to be one of the most mysterious and intriguing figures in the history of nineteenth-century Sudan. However, As far as we know, this enigmatic and attention-grabbing personality, has not yet been singled out, it seems, for thorough and extensive research work of any form.

The gist of Muhammad al-Bilali's story in Sudan during the last quarter of the Turko-Egyptian rule period is that he was a bold, daring and adventurous man from the Chadian Bilala tribe who, in a way or another, and under circumstances no less mysterious and obscure than the character of al-Bilali himself, succeeded in getting in connection with the Turkish-Egyptian administration of Sudan in both Cairo and Khartoum. These two arranged probably between the late 1860s and the early 1870s for providing him with weapons, equipment and fighters, so that he could extend his authority in the name of that administration and under its banner, in the Bahr al-Ghzal region in Southern Sudan, and possibly later on, over the Sultanate of Darfur itself, which was sovereign and independent at that time. The endeavor of Muhammad al-Bilali had clashed then with the strong and effective presence in Bahr al-Ghazal, of other merchants and adventurers, most of them from northern Sudan, headed by al-Zubayr Rahma Mansur, or Zubayr Pasha, which made the clash between the two men inevitable. The clash did happen indeed, but Zubayr had dealt al-Bilali and his army a crushing defeat, and it was the end of the latter, at the hands of Zubayr himself.

Revisiting and revising a number of sources that have dealt with Muhammad al-Bilali and his adventure in Sudan, the present writer is inclined to believe that the personality and biography of al-Bilali could have been deliberately misrepresented and altered in some aspects, in order to earn him a certain legitimacy for power in Sudan, given the fact that he was basically an alien. The relevant arguments in this respect constitute in fact the core of this article.

Key words: Muhammad al-Bilali, Fitry region, Darfur, Khedive, Cairo, Hakimdar, Khartoum, plans to get rid of Zubayr Pasha in Bahr al-Ghazal, influence of European administrators

---

(•) سفير بوزارة الخارجية السودانية ، باحث مستقل

تظل شخصية " محمد البلالي "، أو " محمد الهلالي " كما جاء في ترجمته في كتاب: معجم تراجم أعلام السودان منذ أقدم العصور وحتى عام 1948م لريتشارد هل، واحدة من أكثر الشخصيات غموضاً وإثارة للفضول المعرفي في ذات الوقت، في تاريخ سودان القرن التاسع عشر. وفي حدود علمنا، فإن هذه الشخصية الغامضة واللافتة للانتباه معاً، والتي ظهرت هكذا دفعةً واحدة كالنبت الشيطاني، على مسرح الأحداث في سودان وادي النيل، لفترة قصيرة استغرقت بضع سنين فقط، بين أواخر ستينيات القرن التاسع عشر وأوائل السبعينيات من ذات القرن، لم تفرد حتى الآن فيما يبدو، بأعمال بحثية مستفيضة، سواء في شكل كتاب، أو أطروحة علمية، أو حتى ورقة علمية، أو مقالة استقصائية محددة.

وخلاصة حكاية محمد البلالي في سودان فترة الحكم التركي المصري، هو أنه رجل مغامر جريء من قبيلة البلالة التشادية، نجح بطريقة أو بأخرى، وفي ظل ملابسات لا تقل غموضاً وإبهاماً عن شخصية البلالي نفسها، نجح في الاتصال بإدارة الحكم التركي المصري للسودان في القاهرة والخرطوم، فأمدته بالسلاح والعتاد والمقاتلين، لكي يبسط سلطانه باسمها وتحت رايتها، في كل من بحر الغزال بجنوب السودان، واحتمالاً من بعد، على سلطنة دارفور نفسها، التي كانت مستقلة حينئذ. ولكن مشروع محمد البلالي الذي كان مخططاً له فيما يبدو، كان قد اصطدم بالوجود القوي والفاعل في ذات المنطقة، أي بحر الغزال، لتجار ومغامرين آخرين، جلهم من شمال السودان، كان على رأسهم " الزبير رحمة منصور "، مما جعل الصدام بين الطرفين حتمياً، وقد حدث ذلك الصدام بالفعل. ولكن الزبير قد هزم البلالي وجيشه هزيمة نكراء، بل كانت نهاية هذا الأخير، على يد الزبير شخصيا.

ولعل من المناسب والجائز أيضا، أن ننظر إلى شخصية الشيخ محمد البلالي، وإلى مغامرته الجريئة في سودان القرن التاسع عشر، كتجسيد وانعكاس نموذجي، لحقائق ومظاهر التواصل والتداخل الثقافي، والاجتماعي، والبشري، والاقتصادي، والسياسي في نهاية المطاف، الذي ظل قائماً لأحقاب طويلة بين سودان وادي النيل من جهة، وبلاد السودان الاوسط بصفة خاصة من جهة أخرى. ففي عصر لم تتبلور فيه أفكار ومفاهيم: الوطنية، والدولة القطرية، وقدسية الحدود السياسية بين الدول، وهلم جرا، علاوة على عدم وجود حواجز طبيعية أصلاً، تعيق حركة التنقل من بلد الى آخر، فضلا عن عوامل القرب الجغرافي، والتماثل الثقافي والديني والمذهبي، جميع ذلك ربما فسر وجود ظاهرة هؤلاء المغامرين المتنقلين عبر طرفي هذا الفضاء المتكامل.[1]

---

1 للتدليل على مشروعية مقاربة موضوع التواصل والتداخل بين سودان وادي النيل وبلاد السودان الأوسط بصفة عامة، لعله يجدر بنا على سبيل المثال، أن ننوه ونذكر بالمؤتمر العلمي العالمي، الذي سبق أن نظمه معهد الدراسات الإفريقية والاسيوية بجامعة الخرطوم لهذا الغرض في عام 1977م، بعنوان: بلاد السودان الأوسط: الإرث والتكيف.
The Central Bilad al-Sudan: Tradition and Adaptation eds, Yusuf Fadl Hasan & Paul Doornbos, Tamaddon Printing Press, Khartoum, 1977.

ولئن كان محمد البلالي أو البلالاوي ، قد أخفق في إقامة مشروعه، فلقد نجح صنوه وشبيهه من الطرف الآخر، ألا وهو المغامر السوداني " رابح فضل الله " 1845 - 1900م في إقامة سلطنة مترامية الاطراف في وسط افريقيا، ظلت قائمة لنحو عقدين من الزمان، في خواتيم القرن التاسع عشر، حتى انتهت بمقتله على يد القائد الاستعماري الفرنسي النقيب لامي، في معركة " كوسري " في شمال شرق الكاميرون الحالية، في أبريل من عام 1900م.[1]

نبذة مختصرة عن شعب البلالة وحضوره الاجتماعي و السياسي في وسط افريقيا:

يبدو أنه قد كانت لمجموعة البلالة حيثية معتبرة، وحضور ملحوظ، بل شوكة قوية، في التاريخ الوسيط لتشاد وما جاورها، حيث ظلت جحافلهم تجوس خلال سائر المنطقة بين امبراطورية كانم بورنو غرباً، وحتى وداي شرقا، مروراً بدار الفتري بوسط تشاد، التي ظلت هي معقلهم الرئيسي كما هو مشهور.

ولكن كون أنهم تمكنوا فعلاً من تأسيس كيان سلطوي مستقر، له وجود مادي ملموس، وتراث حكم متوارث، مارس سلطته على رقعة أرض محددة، ورعايا بعينهم، على غرار ما كان عليه الوضع في بقية السلطنات التشادية الأخرى المعروفة مثل: كانم بورنو، وباقرمي، ووداي، فإن ذلك من غير المقطوع بها حالياً على الأقل.

مهما يكن من أمر، فإن هذه الفقرة التالية، التي نقلناها عن صفحة بالفيسبوك، لموقع الكتروني، يسمى " تشاد بالعربية "، تقدم لنا تعريفاً موجزاً ولكنه مثير للانتباه، وغني بالمعلومات التاريخية، والأنثروبولوجية، والسياسية، والثقافية، وخلافها عن قبيلة " البلالة "، على أن يؤخذ ما جاء في هذه الفقرة بالرغم من ذلك، بشيء من العين الفاحصة والناقدة، وبقدر ما من التحفظ والاحتراز. تقول الفقرة المعنية المقتبسة:

" سلطنة البلالة التي حكمت من عام(1365 حتى 1922):

قامت هذه السلطنة في حوض بحيرة «تشاد» (أى: في بلاد السودان الأوسط)، وبالتحديد في حوض بحيرة «فترى»، وإلى الشمال منها حتى بحيرة «تشاد»، وظهرت كدولة يمكن التحقق من تاريخها منذ عام (766 هـ= 1365م)، واستمرت حتى بداية القرن العشرين، عندما سقطت المنطقة كلها في يد الاستعمار الفرنسى. وعلى الرغم من طول مدة بقاء هذه السلطنة، فإن المؤرخين لم يذكروها كثيرًا ولم يهتموا بها؛ لأنها كانت تابعة لسلطنة «الكانم والبرنو» في كثير من فترات حياتها. ويعود اسم «البلالة» إلى أول زعيم لهم ويدعى «بولال» أو «بلال» أو «جيل» أو «جليل»، ومنه جاء اسم أول زعمائهم وهو «عبد الجليل»، وربما جاء اسم «بلالة» أو «بولالة» من «بولو» الذي كان ابنًا لقبائل

---

1 للمزيد من المعلومات المفصلة عن شخصية رابح فضل الله وحروبه وسلطنته في وسط إفريقيا، انظر على سبيل المثال، كتاب: امبراطورية رابح L'Empire de Rabeh ، للمؤلف التشادي من أصل سوداني: جماع أرباب بابكر، الذي ترجمه من الفرنسية الدكتور محمد عطا المنان. وقد اطلع كاتب هذه السطور على هذا الكتاب في كلا نصه الأصلي وترجمته إلى العربية، التي ما تزال مخطوطة لم تنشر حتى الآن مع الأسف.

«البيوما» التي كانت تسكن منطقة «بيو(Biyo) «، ثم أُضيف إليه المقطع التماشكى (ilalla) فجاء اسم «بولالا» أو «بلالة»، وهي كلمة تعنى الأحرار النبلاء، وربما جاء الاسم أيضًا من اسم ميناء كان ولايزال يقع على الساحل الشرقى لبحيرة «تشاد»، يسمى (بول) ،ثم أُضيف إليه المقطع التماشكى، فصار «بولالا» أو «بلالة» كما ينطقه البلاليون أنفسهم في هذه الأيام. أما أصل قبائل «البلالة» فقد جاء نتيجة اختلاط عناصر متعددة سكنت هذه المنطقة، وهي: البربر والعرب والسودان والزنج، وقد تصاهرت هذه العناصر فيما بينها، فأدَّى ذلك إلى امتزاجهم وتغير في صفاتهم. وقد كان «البلالة» وثنيين حتى القرن الثانى عشر الميلادى؛ حيث أسلموا عقب إسلام بنى عمومتهم الذين يتمثلون في «الأسرة السيفية الماغومية» الحاكمة في سلطنة «كانم» في القرن الحادى عشر الميلادى. أما من الناحية السياسية فقد ظهر خطر «البلالة» على سلاطين دولة «كانم» منذ وقت مبكر، رغم صلة القرابة التي تربط بينهما، ويعود ذلك إلى أن «البلالة» كانوا يحاولون التخلُّص من تبعيتهم لأقربائهم من حكام «كانم»، وقد ظهر هذا الخطر منذ عهد أول سلاطين «كانم» الإسلامية وهو الماى (السلطان) «أوم بن عبد الجليل» (1086 - 1097م) الذي حاربهم وانتصر عليهم، فأعلنوا الطاعة والخضوع، وظلوا يتقلبون بين التبعية والتحرر من سلطان «كانم» حتى ظهر زعيمهم الموصوف بالقوة والشجاعة والدهاء وهو «عبد الجليل سيكومامى» الذي حقق لهم الاستقلال التام والتوسع في حدود سلطنته في عام (1365م)، بفضل معاونة العرب الموجودين في هذه المنطقة، واتخذ من مدينة «ماسيو» التي تقع بين «بحيرة فترى» و«كانم» عاصمة له. ثم حارب مايات كانم وانتصر عليهم، وبذلك وقع إقليم «كانم» بأسره في قبضة «البلالة»، مما جعلهم يحكمون دولة واسعة تمتد من حدود «دارفور» الغربية وبلاد «النوبة» حتى شواطئ «بحيرة تشاد» الشرقية، واضطرت «الأسرة السيفية الماغومية» الحاكمة في «كانم» إلى الهرب إلى إقليم «برنو» الذي يقع في غرب «بحيرة تشاد». ولكن لم يلبث حكام «برنو» أن استعادوا قوتهم على يد الماى «على جاجى بن دونمه» الملقب بالغازى؛ نظرًا لغزوه إقليم «كانم»، ونشب بينه وبين «البلالة» صراع منذ عام (1472م) في محاولة لاسترداد «كانم» مرة أخرى، واستمر الصراع فترة طويلة انتهى بعقد اتفاقية سلام، اتفقا فيها على رسم الحدود بين «كانم» و«برنو». وعلى الرغم من ذلك وبمرور الوقت بدأ الضعف يدب في جسد سلطنة «البلالة»؛ بسبب الفتن والاضطرابات والحروب الأهلية، وظهور إمارات جديدة بدأت تُغِير على سلطنة «البلالة»، مثل سلطنة «واداى» التي تقع في الشمال الشرقى لدولة «البلالة»، وسلطنة «باجرمى» التي تقع في جنوبيّها الغربى. وعلى الرغم من هذا الضعف فقد ظلت هذه السلطنة قائمة حتى بداية القرن العشرين؛ حيث سقطت في قبضة الاستعمار الفرنسى في عام (1900م)، ومع ذلك حكم بعض سلاطين «البلالة» تحت راية هذا الاستعمار، وظلوا كذلك حتى نالت البلاد استقلالها في عام (1960م) ودخلت بلاد «البلالة» ضمن حدود جمهورية «تشاد» الحديثة منذ ذلك التاريخ. وقد أدَّت «سلطنة البلالة» دورًا اقتصاديا وعلميا ودينيا مهما في تاريخ المنطقة؛ إذ كانت نظرًا لموقعها بين «دارفور» و«النوبة» في الشرق، و«كانم» و«بحيرة تشاد» وماوراءها من بلاد «الهوسا» و«مالى» في الغرب، و«ليبيا» في الشمال - مركزًا مهما من مراكز التجارة التي تأتى من هذه البلدان مما انعكس أثره على مسيرتها التاريخية، ودَعْم

اقتصادها، ورَبَط بينها وبين دول تقع خارج منطقة «بحيرة تشاد»، واتسعت تجارتها حتى وصلت إلى «مصر» وغيرها من البلدان، كما زادت محصولاتها الزراعية. أما الحياة العلمية: فقد تجلت في المدارس والعلماء والفقهاء والأشراف الذين كانوا يُعامَلُون بكلِّ تبجيلٍ واحترامٍ، كما ظهرت الطرق الصوفية وبخاصة «التيجانية» و«القادرية»، وكان لهذه الطرق أثر كبير في نشر الإسلام في هذه البلدان. أما اللغات التي كانت منتشرة بين «البلالة»، فهي عديدة، فقد كانوا يتكلمون لغة «كوكا» وهي قبيلة كانت تسكن مملكة «جاوجا» - أحد أقاليم سلطنة البلالة - وكانوا يتكلمون أيضًا اللغة العربية التي كانت لغة العلم والتعليم ولغة الحكومة الرسمية والتجارة والمراسلات، حتى قضى الاستعمار الفرنسى عليها وعلى استخدام الحروف العربية في الكتابة وحَوَّلَها إلى الكتابة بالحروف اللاتينية، وإن كان كثير من الأهالى - حتى الآن - يحافظون على التحدث والكتابة باللغة العربية، ومعظمهم - أى نحو (85%) - يدينون بالإسلام ".[1]

كان للبلالا أو " البلالة " كما تقدم، حضور مميز في أواخر التاريخ الوسيط لبلاد السودان الاوسط ..إذ تفيدنا بعض المصادر التاريخية، كموسوعة اليونسكو لتاريخ افريقيا العام على سبيل المثال، في معرض استعراضها لوقائع تمدد حكام الاسرة السيفية بامبراطورية كانم، باتجاه مملكة برنو التي كانت تقع الى الغرب من بحيرة تشاد ، بغرض ضمها الى مملكتهم، واقامة ما صارت تعرف لاحقا بامبراطورية كانم برنو المتحدة، وذلك ابتداء من عهد الماي عمر بن ادريس 1382 -1387م ، بان مملكة كانم بورنو الموحدة الوليدة آنئذ، قد تعرضت لجملة من التحديات والمصاعب، وهي في طورها الجديد بعد ضمها مملكة برنو تحت سلطانها، حيث اشاروا من بين تلك المصاعب والتحديات، الى هجمات متواترة كانت تتعرض لها تلك المملكة باستمرار، من قبل قبيلة البلالة بالتحديد.

وفي ذات الصدد كتب الدكتور ب. م. باركندو في مقاله بعنوان: " كانم – بورنو: علاقاتها بالبحر الأبيض المتوسط وبجيرمي وسائر دول حوض التشاد "، المنشور بالمجلد الخامس من كتاب: تاريخ إفريقيا العام، تحت العنوان الجانبي: الفرص والعقبات في طريق توسع خلافة بورنو: 1497 – 1564م، ما نصه:

" استمرت سياسة علي غاجي على يد ابنه وخليفته إدريس بن علي، الذي اشتهر باسم " كاتاكارمابي " (حوالي 1497 – 1519م)، الذي وطد دعائم مكاسبه وحاول توسيع أراضي الدولة. إلا أن كاتاكارمبي وخلفاءه، واجهوا على مدى الخمسين عاماً التالية، تحديات حولت اهتمامهم عن أهدافهم التوسعية. وكانت المشكلة الأولى أمام السيفاوا، هي استئناف البولالا لهجماتهم بعد وفاة علي غاجي. ويبدو أن البولالا كانوا مصممين على إحباط النمو الاقتصادي والسياسي لبورنو، واضطر كاتاكارمبي إلى مواجهة هجوم من البولالا بمجرد اعتلائه العرش. إلا أن هذا الماي الجديد، لم يكتف بهزيمة البولالا،

---

1 - صفحة " تشاد بالعربية " على الفيسبوك، مقال بعنوان: " سلطنة البلالة التي حكمت من عام 1365 حتى عام 1922 "، نشر بتاريخ 12 أغسطس 2016م.

بل واصل حملته حتى دخل منتصراً إلى نجيمي، عاصمة السيفاوا السابقة، التي لم يكن قد سبق العود إلى احتلالها. وبعد أن عقد كاتاكارمبي (إدريس بن علي) معاهدة مع البولالا، عاد إلى بورنو. غير أن ذلك السلام كان قصير العمر، فاستمرت الصدامات تقد بصورة متقطعة حتى عهد إدريس ألوما 1564 – 1596م ".[1]

شخصية محمد البلالي وملابسات ظهوره ونشاطه في سودان الحكم التركي المصري 1821 - 1885م:

تظهر شخصية محمد البلالي والتعريف بها في المصادر ذات الصلة، بتفاصيل ومعلومات متشابهة ومتقاربة الى حد كبير، بيد انها تنطوي على الرغم من ذلك، على بعض الاختلافات الطفيفة، ولكنها لافتة للنظر ومثيرة للانتباه ايضا. فقد جاءت ترجمته مثلاً في كتاب ريتشارد هل: معجم تراجم أعلام السودان منذ أقدم العصور حتى عام 1948م، على النحو التالي:

"محمد الهلالي: (- 1872) " والمقصود ان تاريخ ميلاده مجهول، ولكن وفاته قد حدثت في عام 1872م، وهذه الزيادة والشرح من الباحث ":

مغامر خارج على القانون وفكي. جاء من بحيرة فتري في باقرمي. ظل باقياً في السودان في طريق عودته من الحج. كان في مصر حيث إنه أخبر الخديوي إسماعيل بأنه فتح أجزاء من دارفور، وأنه يرغب في الاستحواذ على مناجم حفرة النحاس. أمدته حكومة السودان بقوة صغيرة احتل بها مواقع في بحر الغزال بالتعاون مع التاجر التركي السابق كُجُوك علي (موظف مؤقت الآن). تشاجر مع كجوك علي الذي مات بصورة غامضة. أغضب سلوكه المتغطرس الزبير رحمة منصور (الباشا مستقبلا)، الذي هاجمه وهزمه. قتله بعد مدة قليلة رابح فضل الله أحد أتباع الزبير. ".[2]

وتستوقف القارئ في ترجمة ريتشارد هل لمحمد البلالي بضع مسائل في الواقع. منها اعتماده اللقب "الهلالي" حصراً، دون شفعه باللقب الاخر "البلالي" مع أن هذا الأخير، كان هو الأشهر والأكثر شيوعاً، وهو بالتالي، الامثل والاجدر بالإثبات في تقديرنا. وهل يا ترى اختلق محمد البلالي هذا اللقب " الهلالي " او نحله له ناحلون لهدف ما، في مسعى للتعمية والتضليل عن لقبه الاصلي الدال عليه، بانتمائه لقبيلة "البلالة" التي ظلت تقطن في وسط تشاد، ما بين امبراطورية كانم برنو وباقرمي غربا، الى التخوم الغربية لسلطنة وداي شرقا ؟.

وثانياً، إن نجاح محمد البلالي في مقابلة الخديوي اسماعيل باشا شخصياً، بحسب ترجمة هل الآنف ذكرها له، يدل على انه كان شخصا من الخطورة والاهمية بمكان، أو هكذا أريد له، على الاقل بالنسبة للخديوية المصرية، واستراتيجيتها في بحر الغزال بجنوب السودان خاصة، وربما دارفور

---

1 ب. م. باركندو، " كانم – بورنو: علاقاتها بالبحر الأبيض المتوسط وبجيرمي وسائر دول حوض التشاد "، في كتاب: تاريخ إفريقيا العام، المجلد الخامس، إفريقيا من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر، إشراف ب. أ. أوغوث، اليونسكو، 1997، ص 549.

2ريتشارد هل، معجم تراجم أعلام السودان من أقدم العصور حتى عام 1948م، ترجمة سيف الدين عبد الحميد النعيم، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 1996، ص 382.

كذلك في ذلك الوقت. ولكن الامر المدهش حقاً، هو انه لا ريتشارد هل ولا غيره من الباحثين، سواء كانوا سودانيين او اجانب، لم تستوقفهم هذه النقطة فيما يبدو، بمعنى انهم لم يتساءلوا عن سر اهتمام الخديوية بالقاهرة، والحكمدارية بالخرطوم بمحمد البلالي هذا، وفي ذلك التوقيت بالذات.

وثالثا، لا ندري من اين استقى ريتشارد هل معلومة ان رابح فضل الله هو الذي قتل محمد البلالي ؟. فالحق ان الزبير باشا نفسه قد نص في مذكراته التي أملاها على الصحفية البريطانية فلورا شو في منفاه بجبل طارق، انه هو شخصيا قد طارد البلالي على صهوة جواده، بعد أن فر هذا الأخير من أرض المعركة، وأن الزبير قد لحق به وقتله بيده.

لقد صار نبأ مصرع البلالي على يد الزبير باشا في الواقع، مأثرة خالدة ومشهورة من مآثر البطولة والفروسية في ديار قبيلة "الجميعاب" شمالي الخرطوم، الذين هم رهط الزبير باشا نفسه، حيث صدحت مغنيته المسماة "بت مسيمس" مخلدةً تلك الواقعة بقولها:

دقنكْ في الرجال ماها الدقينة أم طوطةْ

في ساعة الحرب سنّك تفر مبسوطةْ

سكّيت البلالي لامن وقعْ في البُوطةْ

وشرح هذا المقطع الشعري المادح هو باختصار:

يا أيها الزبير الفارس المغوار، صاحب اللحية الحسنة، وغير القبيحة أو الشائهة. والذي عندما يحمى الوطيس وتشتد الحرب، يفتر ثغرك مبتسما في حبور، كناية عن الجسارة والثبات وعدم الاكتراث للمخاطر. لقد عدوت خلف البلالي وطاردته وقاتلته، حتى خر صريعاً في بركة عطنة.. الخ[1]

الزبير باشا وحادثة البلالي في تاريخ نعوم شقير:

عرض نعوم شقير في سفره الكبير " جغرافية وتاريخ السودان "، لأبرز وأهم ملامح نشاط الزبير باشا التجاري والعسكري والسياسي في دارفور وخصوصا في بحر الغزال التي استقر بها، وصار له بها نفوذ عظيم بل كيان سلطوي معتبر منذ خمسينيات القرن التاسع عشر.

وقد ذكر شقير في هذا الخصوص على سبيل المثال، أن الزبير رحمة قد أبرم في عام 1866م، معاهدة مع شيوخ قبيلة الزريقات وزعمائها، وافقوا بموجبها على فتح طريق " شكّا " الذي كان يربط بين بحر الغزال وما وراءها وسائر اقاليم كردفان شمالا، ومن ميزاته انه كان طريقاً قصيراً نسبياً بالمقارنة مع الطرق الاخرى. كما تعهد الزريقات بموجب ذلك الاتفاق ايضاً، بعدم التعرض للقوافل التجارية، ولكافة العابرين والمسافرين فيها، باي عمليات سلب ونهب واعتداء، في مقابل ان يتحصلوا رسوما مالية محددة بضمانة الزبير باشا على تلك التجارة العابرة لديارهم، تسهيلا لمرورها. وقد ظلت تلك المعاهدة محترمة ومرعية من جميع الاطراف لنحو اربعة أعوام تقريبا.

---

1 الشكر الجزيل لأستاذنا الدكتور جعفر ميرغني الذي أسمعني هذا المقطع قبل بضعة أعوام ، مع كامل سياقه التاريخي ، من أخبار الزبير باشا التي هو من أعلم الناس بها .. هذا، والبُوطة بباء مضمومة، هي البركة أو المستنقع المائي الصغير.

وبنهاية تلك السنوات الاربع من الهدوء واستقرار انسياب القوافل التجارية، وما حققه ذلك من رخاء وازدهار للجميع، نقض الزريقات الاتفاق، بان اعتدوا على بعض التجار وانتهبوا اموالهم، ثم ما لبث الصدام ان احتدم بين جيش الزبير باشا من البازنقر ومسلحي عرب الزريقات، فدارت بين الطرفين حرب طاحنة، اسفرت عن انتصار ساحق للزبير على الرزيقات، واستيلائه على عاصمتهم " شكّا ". وفي ذاك العام 1873م نفسه، صدر فرمان من الخديوي بالقاهرة، بتعيين الزبير باشا حاكما على بحر الغزال.

ثم دخل حاكم دارفور، السلطان ابراهيم بن محمد حسين الملقب بـ "ابراهيم قرض" على الخط، إما بتحريض من الرزيقات، أو سعياً للمحافظة على مصالح سلطنته وهو الأرجح، مما جعل المواجهة محتومة بين جيش سلطان دارفور وقوات الزبير باشا، حيث التحم الجيشان في معركة ضارية بضواحي بلدة " منواشى " في العام التالي 1874م ، ومرة اخرى كان النصر في تلك المعركة حليف الزبير باشا ، الذي هزمت قواته جيش السلطان ابراهيم قرض الذي لقي هو نفسه مصرعه في تلك المعركة، لكي يبسط الزبير باشا بعدها سيطرته على سلطنة دارفور بأسرها، باسم الادارة المصرية في السودان، التي سرعان ما ضمتها الى أملاكها هناك.

أما فيما يتعلق بحادثة البلالي على وجه التحديد، فان نعوم بك شقير يقول عنها ما يلي في كتابه المشار اليه، نقلاً عن الزبير رحمة:

" في سنة 1286هج/1869م(وهي السنة التي ذهب فيها صموئيل بيكر لفتح خط الاستواء)، قدم رجل من الخرطوم من متخلفة حُجّاج الغرب، يُقال له الحاج محمد البلالي، بقصد احتلال بحر الغزال، ومعه سريته من العساكر مؤلفة من 200 من العساكر المنظمة السودانية، عليهم الصاغ محمد أفندي منيب، و 400 من العساكر الباشبوزك عليهم السنجك كُوشوك علي و 600 من الخطرية.

فطاف بلاد بحر الغزال، ودخل زرائبها، وقرأ لأصحابها فرمان الحكومة بتسميته مديراً على بحر الغزال. فمنهم من طاع وسلّم، ومنهم من عصى فحارب أو فرّ. ثم وجّه حملته عليّ. فجمعت جيوشي ومن لجأ إلي من أصحاب الزرائب المجاورة لي، وكمنتُ له في خور على الطريق. فلما اقترب من الكمين، أشعلتُ النار في جيشه فقتلته، وقتلت بعض عسكره، وأسرتُ الباقي .. الخ ".[1]

و اقعة البلالي في مذكرات الزبير باشا:

أجرت صحفية بريطانية أسمها: فلورا شو ، مقابلة مطولة مع الزبير باشا عندما كان منفياً بجبل طارق، بقرار من الحكومة المصرية، في ثمانينيات القرن التاسع عشر، وذلك بعد ان تعقد الوضع في السودان كثيراً في تلك الحقبة، وخصوصاً بعد اندلاع الثورة المهدية، واخراجها للمصريين منه عنوة بحلول عام 1885م، وهو عام انتصار الثورة المهدية في السودان، واستيلاء الإمام المهدي وأنصاره على

---

1 نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، تقديم د. فدوى عبد الرحمن علي طه، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2007، ص 578.

الخرطوم، بتاريخ 26 يناير 1885م، وقبل ذلك ما وصف بانه تمرد شنه ابنه وخليفته على حكم بحر الغزال، المسمى سليمان الزبير، ضد سلطة الادارة المصرية التركية بالخرطوم ، مما ادى الى تنفيذ حكم بالإعدام عليه وعلى عدد من اعوانه، بواسطة الايطالي جيسي باشا، وما تلا ذلك من فرار رابح فضل الله احد كبار اعوان الزبير، بقسم كبير من جيش الزبير، توجه به غرباً حتى بلغ مملكة كانم برنو وباقرمي واسقطهما، واستولى عليهما، وجمعهما معاً في سلطنة مستقلة تحت حكمه، وهو الأمر الذي حدا ببعض المصادر الفرانكفونية خاصةً، الى تلقيبه ب " نابليون افريقيا ".

نشرت فلورا شو تلك المقابلة مع الزبير باشا في عدد عام 1887م من مجلة: مراجعات معاصرة Contemporary Reviews ، وقام السفير خليفة عباس العبيد 1914 -2000م بترجمة تلك المقابلة الى اللغة العربية، وأصدرها في كتاب بعنوان: الزبير باشا يروي سيرته في منفاه بجبل طارق.[1]

وقد تطرق الزبير باشا في افاداته لفلورا شو، إلى كافة تفاصيل حياته ونشاطه منذ طفولته، مرورا بفترة اقامته ونشاطه التجاري بجنوب السودان عموما، ومنطقة غرب بحر الغزال على وجه الخصوص. وقد حرص الزبير في تلك المقابلة بصفة خاصة، على نفي ممارسة النخاسة والمتاجرة في الرقيق التي طالما وصم بها نفياً قاطعاً، حيث اقسم للصحفية البريطانية قسما مغلظاً بانه لم يبع آدمياً في حياته قط، بيد انه قد اعترف لها بانه قد اشترى رقيقاً وأعتقهم، وضم المعتقين جنودا بجيشه الخاص.

أما فيما يتعلق بحادثة البلالي، فقد أكد الزبير فيها، ما نقله نعوم شقير عنه أيضاً، بأنه قد هزم جيشه وطارده هو بنفسه، ولحق به وقتله بيده، خلافا لما ذكره ريتشارد هل، من أن قاتل البلالي، كان هو رابح فضل الله على حد زعمه.

كذلك تطرق الزبير في تلك المقابلة الى اتفاقية السلام وعدم العدوان وحرية التجارة بينه وبين الرزيقات، التي استمرت قائمة على ما يرام لمدة أربعة أعوام، شهدت فيها تلك المنطقة ازدهاراً ورخاء اقتصاديا ملحوظاً، وحقق فيها الزبير نفسه ثروة مالية طائلة، حيث قدّر دخله هو نفسه لفلورا شو ، بنحو اثني عشر الف جنيها مصرياً في الشهر.

ولعل تلك الثروة الهائلة، مضافاً اليها القوة العسكرية المعتبرة، فضلا عن الشخصية القيادية الطموحة التي كان يتصف بها الزبير باشا، وذات الكاريزما العالية، قد أوغرت عليه الكثير من الصدور داخلياً وخارجياً، وإذ ذاك، فانه ليس بمستبعد ان تكون الخديوية في القاهرة والحكمدارية بالخرطوم، قد ضاقتا كلاهما ذرعاً بالزبير وبطموحه الطاغي، وربما تكونا ضالعتين بالفعل، في الايعاز لمحمد البلالي ومساعدته للقضاء على حكمه، ووضع حد لنفوذه. ولعل البينات الظرفية - على الاقل - تشي بشيء من ذلك.

---

1 انظر فلورا شو: الزبير باشا يروي سيرته في منفاه بجبل طارق، تعريب وإعداد خليفة عباس العبيد، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 1995م.

السياق العام للأحداث عالمياً و إقليمياً ومحليا:

جرت الاحداث التي نحن بصددها هاهنا، في إطار سياق دولي واقليمي ومحلي محدد، هو السياق الذي كان سائدا خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر بجميع ملامحه وملابساته، وفي كنف دوائر من الصراعات على الهيمنة والنفوذ في الأساس، صراعات يأخذ بعضها برقاب بعض، وترتبط فيما بينها ارتباطا عضوياً وثيقا على التوالي.

فعلى المستوى العالمي، شهدت بواكير تلك الحقبة سعى القوى الاوروبية لتثبيت أقدامها عبر جحافل مكتشفيها ومغامريها وعلمائها وجواسيسها ومبشريها في مختلف بلدان العالم الثالث، سعياً وراء ضمان مصادر الموارد الطبيعية المختلفة والمواد الخام، لتأمين تشغيل مصانعها المختلفة، مع بدايات نهضتها الصناعية الحديثة آنئذٍ، وكذلك لتامين الاسواق اللازمة لتصريف منتجاتها الصناعية في المقابل مستقبلا. وهو ذات المسعى الذي سوف يتطور لاحقا لكي يتبلور عبر اتفاقيات فيما بين القوى الاوروبية فيما يلي القارة الافريقية بالتحديد، تتوجت بانعقاد مؤتمر برلين 1884م، الذي تقاسمت بموجبه تلك الدول الاستعمارية الاوروبية، البلدان الافريقية كمستعمرات لها فيما بينها.

لقد مهدت معظم الدول الاستعمارية الغربية لتكريس نفوذها، وغرس ورعاية مصالحها في الاراضي الافريقية المختلفة، وخصوصا في وادي النيل وما وراءه من حزام الهضبة الاستوائية الغنية بالموارد الطبيعية الهائلة، بعقد علاقة اشبه بزواج مصلحة بين الطرفين، حيث عمدت الى التقرب من محمد علي والي مصر وخلفائه من بعده ، كمفاتيح لا غنى عنها من أجل تحقيق تلك الغاية، وذلك من خلال تشجيع ابنائها للعمل معهم كمستشارين، وضباط واداريين، وخبراء، ومهندسين، وزراعيين، وجيولوجيين، ولكن ايضا كعلماء نبات واثار ومستكشفين ومبشرين بالدين المسيحي وهلم جرا، فانتشروا في مختلف أصقاع المنطقة المستهدفة كرواد وأدلاء، بل عيون وآذان لدولهم، التي جاءت بجنودها وعتادها العسكري لاحقا، فاحتلت تلك الأراضي، للمنفعة الخاصة بكل منها.

وفي المقابل، استفاد محمد علي وبنوه من معرفة وخبرة اولئك الرواد الاوروبيين، في تثبيت أركان امبراطوريتهم في افريقيا، بل انه قد تمكن في معظم الاحيان من الحصول على قدر كبير من السند السياسي والدبلوماسي والقانوني نوعاً ما، بمعنى إضفاء نوع من الرضا والشرعية على تحركاته وسلوكه في افريقيا، في مقابل اتاحته الفرص الواسعة للمغامرين والمستكشفين الاوروبيين من التحرك بحرية في ارجاء امبراطوريته، بل اسناده اليهم ارفع الوظائف والمهام السياسية والادارية والعسكرية، فضلا عن سعي محمد علي لاكتساب الاوروبيين عموما الى جانبه في صراعه المستتر غالبا، بل الواضح احيانا مع الامبراطورية العثمانية.

وهنا تقفز الى الذهن مباشرة أسماء معينة لرواد ومستكشفين اوروبيين عديدين، ارتبطت تحركاتهم وانشطتهم في سودان وادي النيل وغيرها من بلاد وسط افريقيا والهضبة الاستوائية، بعلاقتهم الخاصة والقوية مع اسرة محمد علي باشا الحاكمة في مصر طوال القرن التاسع عشر. تلك لعمري اسماء مثل: السويسري جون لويس بوركهارت، والفرنسي فريدريك كايو، والفرنسي لينان دي بلفون، والالماني ادوارد روبيل، والالماني امين باشا، والايطالي جيسي باشا، والنمساوي سلاتين باشا، والانجليز

غوردون باشا، وهكس باشا، وصموئيل بيكر، وسبيك، وليفينجستون وغيرهم على سبيل المثال فقط.

أما على المستوى المحلي، فمن المؤكد أن العامل الاقتصادي، قد شكل سبباً رئيسياً في اصطدام الزبير باشا بسلطنة دارفور على سبيل المثال. فباستيلائه على اقليم بحر الغزال الغني وبسط سيطرته عليه، حرم الزبير سلطنة دارفور من مورد مهم لتجارتها المتمثلة بصفة اساسية في رقيق دار فرتيت، إلى جانب بعض السلع الاخرى مثل العاج، وريش النعام، والعسل، والجلود، وبعض المحاصيل الزراعية الاخرى، وغيرها، لكي يستفيد منها هو بالدرجة الاولى، ويجمع من ذلك ثروة مالية هائلة، الامر الذي اثار عليه حنق سلطان دارفور وبعض القوى المحلية الاخرى الناشطة في ذات المنطقة، التي تضررت مصالحها، وخصوصاً الرزيقات، ولاحقا حتى بعض منافسي الزبير من التجار الجلابة أنفسهم، مثل الدنقلاوي " إدريس أبتر " مثلاً، على نحو ما تشير المصادر التي تطرقت الى أدبيات تلك الحقبة الى ذلك.

وفي ذات السياق، يشدد الدكتور محمد سعيد القدال، على مسألة توسع الامبراطورية المصرية في افريقيا عموما، وفي سودان وادي النيل على وجه الخصوص في القرن التاسع عشر الميلادي، تحت ظل حكم اسرة محمد علي باشا 1769 - 1848م وأسرته، مع اشارة خاصة الى محاولات التوسع في بحر الغزال ودارفور. ويعمد الى ربط ذلك ببداية تصاعد الصراع بين الدول الرأسمالية، على خلفية سعيها المحموم، وتكالبها الحثيث من اجل الحصول على موارد البلدان الافريقية، التي كانت في أمس الحاجة اليها لصناعتها الناهضة آنئذ.

كما يشير القدال الى دور الجلابة في بحر الغزال، وامتلاكهم الزرائب والكبانيات والمليشات المسلحة الخاصة، من أجل حراسة تجارتهم ومصالحهم ونفوذهم .

ويذكر الدكتور القدال في هذا السياق بالتحديد ما نصه: "ارتبط ضم بحر الغزال بشخصيتين من الجلابة هما: الحاج محمد الهلالي أو البلالي، والزبير رحمة منصور".[1]

ويبدو أن الدكتور القدال كان يعتقد كما اعتقد ريتشارد هل قبله، في صحة نسبة اللقب " الهلالي " الى ذلك المغامر " البلالاوي " ايضا. ولعله قد هفا كذلك، عندما نسب محمد البلالي الى فئة الجلابة، التي تدل في ذلك السياق حصراً، على ابناء المناطق النيلية بوسط وشمال السودان، الذين يرتحلون أو يهاجرون ويسافرون لأغراض شتى، الى مختلف انحاء السودان الاخرى، وخصوصا الى غرب السودان وجنوبه، وكذلك الى بعض أراضي بلاد السودان الاوسط. والحق هو ان محمد البلالي ليس من الجلابة بهذا التوصيف الآنف ذكره، في شيء مطلقا. وفي الواقع، فإن القدال لم يكتف بنسبة محمد البلالي إلى فئة الجلابة فحسب، بل إنه أورد غالباً نقلاً عن مصدر لم يسمه، بأنه قد كان من أصل مراكشي.

---

1 محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث 1820 – 1955م، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، أم درمان، ط ثانية، 2002، ص 57.

أما الاستاذ ضرار صالح ضرار، فقد نحى منحىً آخر في المقاربة والتحليل لشخصية الزبير باشا عموماً ، وخصوصا من حيث خلفيته الاجتماعية، وتكوينه الثقافي، وقناعاته الفكرية، وميوله الايديولوجية، قد يكون جديراً بالتأمل فعلا، وربما مثلت استنتاجاته - ولو جزئياً - بعض اهم العوامل التي ربما تكون قد حملت بعض الاطراف الخارجية خاصة، على وضع العراقيل امام مشروع الزبير باشا، بل السعي المتعمد ربما إلى تعطيله تماما، وذلك عن طريق احتجازه في مصر أولاً، ثم نفيه بعد ذلك الى جبل طارق ثانيا، وانتهاء باغتيال ابنه سليمان وبعض اعوانه، مما اضطر معظم جيشه الى التفرق في الامصار، وانتهاء سلطنته بالتالي. هذا بالإضافة إلى أن ضراراً قد أورد بعض المعلومات والوقائع ذات الاهمية الخاصة، مثل اشارته لعزم محمد علي باشا الوثوب على دارفور وضمها لأملاكه منذ غزو قواته السودان في عام 1820م، وخصوصاً فيما يلي علاقة الزبير باشا ببلاط الخديوي في القاهرة. وقد كتب ضرار في ذلك ما نصه:

" كانت سلطنة دارفور من الاحلام التي تمنى محمد علي باشا تحقيقها، فأرسل الدفتردار اليها، ولكن لم يستطع التقدم نحوها، واكتفى بالاستيلاء على كردفان في شرقها. وبالرغم من مرور أكثر من أربعين سنة على سقوط الابيض، الا ان مصر لم تستطع الوصول الى دارفور والاستيلاء عليها. ولم يتم لها ذلك الا على يد أحد المغامرين السودانيين الذين كانوا يؤمنون إيماناً قاطعاً بوجوب الوحدة في الامة الاسلامية، والذي كان بحكم ثقافته الدينية في ذلك العصر، ينظر الى مصر على انها مركز للوحدة الاسلامية، وللخديوية على أنها ممثل سلطان المسلمين في مصر والسودان.... كان ذلك الرجل هو الزبير رحمة من قبيلة الجعليين... دخل الزبير بحر الغزال ودارت بينه وبين ملوك القبائل عدة مناوشات انتهت بانتصاره عليهم، وتأسيس حكومة هو رئيسها، تحكم المنطقة حكماً إسلامياً، بعد أن كون لنفسه مجلساً للشورى من بعض العلماء، لإقرار احكامه في تلك المناطق.

ومن الجدير بالملاحظة، أن حكومة الزبير هي أول حكومة اسلامية تقام في بحر الغزال. وفتح للتجار الشماليين أبواب تلك المنطقة التي كانت تحت حكمه، تنعم بالهدوء والامن ".[1]

ثم يمضي ضرار صالح ضرار، لكي يبين بان تلك الفترة من الهدوء والاستقرار ببحر الغزال تحت حكم الزبير باشا لم تدم طويلا، اذ سرعان ما عين الخديوي اسماعيل المغامر محمد البلالاوي حاكما على بحر الغزال وامده بالعتاد والسلاح والرجال ، فكان ما كان من امر اصطدامه بالزبير باشا وجيشه القوي، انتهاء بمصرع البلالي على يد الزبير في عام 1872م، ثم هزيمة الزبير للرزيقات في العام التالي 1873 ، التي علا بعده نجمه وصار الحاكم المطلق بتلك المنطقة ، حتى اضطرت الخديوية للاعتراف به تماشيا مع الامر الواقع فيما يبدو، فمنحه الخديوي رتبة البكوية، وكافأها هو بدوره في مقابل ذلك، بان ضم دارفور تحت سلطانها، بعد ان هزم جيشها في معركة " منواشى " في عام 1874م، تلك المعركة التي انجلت عن مصرع سلطان دارفور نفسه " إبراهيم قرض".

---

1 ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط 4، 1968، ص 86.

ولكن التوتر في العلاقة بين الزبير والخديوية المصرية لم ينقشع تماما، وذلك على خلفية تضخم وضعه في بحر الغزال بأكثر من اللازم في نظرها بالطبع، وقضائه على مبعوثها البلالي وجيشه، وكذلك بسبب ان الحكومة المصرية قد كانت مدينة للزبير باشا بمبالغ مالية ضخمة، نتيجة معاملات تجارية متراكمة بينهما لعدة اعوام. وبإزاء ذلك الوضع، لم يكن هنالك بد من ايجاد تسوية بين الطرفين عن طريق التفاوض، وذلك نظرا لان كلا منهما كان محتاجاً للآخر بشدة، حفاظا على مصالحه، وحرصاً على استدامتها. وقد جاء في المصادر أن الشخص الذي تولى الوساطة بين الجانبين، هو مدير بربر آنئذ، الشيخ حسين بك خليفة العبادي.[1]

لم تسفر تلك الوساطة عما كان يأمل فيه الزبير باشا فيما يبدو، من جراء مماطلة المصريين وتباطؤهم في حسم النزاع، فعمدوا الى حيلة اخرى، تمثلت في الطلب الى الزبير الذهاب الى القاهرة رأسا، بحجة بحث كافة مطالبه مع المسؤولين هناك كما زينوا له في البداية ، ولكن الامر انتهى بالزبير الى ما يشبه الاسر والاحتجاز في مصر، مهملاً تجارته الرائجة في بحر الغزال، وحكمه الوليد لذلك الإقليم، الذي خلف عليه ابنه سليمان، الشاب قليل الخبرة، الذي استفردت به وتناوشته الذئاب من منافسي ابيه وحاسديه واعدائه ، من الوطنيين والأجانب على حد سواء، حتى انتهى به الامر، وقد نفذ فيه الايطالي جيسي باشا، حكماً بالإعدام، بوشاية من غوردون باشا، كما تشير بعض المصادر.

خبر البلالي في رحلة ناختيقال إلى دارفور:

كتاب رحلة المستكشف الألماني: غوستاف ناختيقال إلى وداي ودارفور، التي أنجزها في العامين 1873 / 1874م، متزامنة مع نهاية حكم سلطان دارفور: محمد حسين، وبداية الحكم القصير للغاية، لابنه وخليفته السلطان إبراهيم قرض، يعد من المصادر المعتبرة، والتي لا غني عنها، عن تاريخ تلك الحقبة بسلطنة دارفور، ومجريات الأحداث فيها، بما في ذلك واقعة محمد البلالاوي مع الزبير باشا، التي حدثت لحسن الصدفة في عام 1872م، أي قبل عام واحد فقط من وصول ناختيقال إلى الفاشر في عام 1873م، مما يجعل تفاصيلها حية وواضحة وأكثر دقة، وبالتالي فإن الرواية التي أثبتها ناختيقال، ربما تكون هي الأجدر بالاعتماد والتصديق من غيرها، نسبياً بالطبع.

يورد ناختيقال خبر محمد البلالي، رابطاً بينه وبين بداية الخلافات بين مصر وسلطنة دارفور كما قال، وهذه المعلومة، وخصوصاً إيرادها في ذلك السياق، له دلالة خاصة في حد ذاتها. وقد كتب ناختيقال في ذلك قائلاً: "بدأت الخلافات مع مصر في أواخر عهد حسين، وكان بذرتها أحد الفقهاء الذي عاش طويلاً في دارفور، وينتمي لفتري – أحد بقايا امبراطورية أبو سمين – وكان يقدم نفسه بأنه من البلالة الذين ينحدرون من الأصول العربية، والذين غزوا تلك المنطقة مؤخراً وحكموها. وهم الآن – أي أبو سمين – يشكلون كياناً قبلياً هزيلاً، ويعيشون مشتتين على قرى فتري، والجزر المنتشرة في مستنقعاتها، ويعاملهم البلالة والكوكا بتعال وازدراء. عاش محمد البلالاوي كطالب علم في بلاط

---

1 ضرار صالح، المرجع أعلاه، ص 87.

السلطان حسين – شأنه شأن العلماء الذين وفدوا من شتى البقاع – ومنحه السلطان أرضاً ليتعيش منها، لكن الوزير المتسلط أحمد شطة، ادعاها لنفسه، واشتجر مع ابني الفقيه، مما أدى لقتل أحدهما."[1]

ويمضي ناختيقال في ذات الرواية فيذكر أن الشجار بين محمد البلالاوي وابنيه من جهة، وبين الوزير المتسلط أحمد شطة من جهة أخرى، على خلفية التنازع على الأرض التي قيل إن السلطان محمد حسين، الذي كان قد كبر سنه وكُف بصره، وارتخت قبضته على زمام الحكم، ومتابعة أموره في أواخر أيامه، قد منحها لهذا الأخير، فاغتصبها منه الوزير أحمد شطة، قد تفاقم إلى درجة وصل معها الى قيام أحمد شطة باغتيال ابني محمد البلالاوي الواحد تلو الآخر، مما خلف كماً هائلا من الحزن واللوعة والحنق أيضاً في نفس البلالاوي، الذي استأذن السلطان في السفر إلى الأراضي المقدسة بحجة رغبته في أداء فريضة الحج، برجاء أن يزول، أو على الأقل أن يخف ما لحق بنفسه من غم وحزن وتبريح. ثم أنه أقسم للسلطان على المصحف الشريف، بأنه سوف لن يبوح بما حاق به من جور وظلم لكائن من كان، بحسب رواية ناختيقال.

بيد أن محمد البلالاوي قد حنث بقسمه ذاك، ومضى إلى العاصمة المصرية القاهرة، فقابل الخديوي، وأقنعه بحسب رواية ناختيقال، بأنه سليل أسرة حاكمة في دارفور، وأن بوسعه أن يفتح البلاد من دارفور شرقا وحتى الفتري غرباً ووداي بينهما، إذا ما ساعدته الحكومة المصرية، فيجعل كل تلك الأراضي تحت سلطة الخديوية المصرية.

ثم تمضي الرواية التي ساقها ناختيقال، على نفس النسق الذي في باقي الروايات، من تزويد الخديوي بالقاهرة والحكمدار بالخرطوم كليهما للبلالاوي بالمؤن والرجال والعتاد والسلاح، ثم تحركه صوب الجنوب من الخرطوم، ودخوله بحر الغزال، انتهاء باصطدامه مع جيش الزبير باشا في تلك المعركة التي شهدت مصرعه على يد الزبير في عام 1872م كما تقدم آنفا، ويزيدنا ناختيقال أيضا معلومة جديدة، هي أن الزبير باشا قد ضم من نجا من قوات البلالاوي إلى جيشه هو.

ويعلق ناختيقال على رد فعل الحكمدارية في الخرطوم، على نهاية مغامرة محمد البلالاوي على يد الزبير باشا في بحر الغزال بتلك الطريقة بقوله: "لم تكن الخرطوم راضية عن الزبير لشقه عصا الطاعة، ولكن لبعده عن المركز، ولنجاحه في ضم قوات البلالاوي، وبذله الأموال للحكومة المصرية، نجح في استرضاء الكل، وبذلك استطاع أن يبسط سيطرته على إقليم إداري واسع يشمل مقاطعات بحر الغزال ".[2]

---

1 جوستاف ناختيقال، رحلة إلى وداي ودارفور، تعريب سيد علي ديدان، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، أم درمان، 2011م، ص 250.

2 جوستاف ناختيقال، رحلة إلى وداي ودارفور، مرجع سبق ذكره، ص 251.

الخاتمة:

من جميع ما تقدم، فإن بوسعنا أن نخلص الى أن هنالك ما يحملنا على الاعتقاد بقوة - على الاقل من خلال البينات الظرفية المتظاهرة - التي عرضنا اليها آنفا، والتي استقيناها من جل المراجع التي تناولت حادثة محمد البلالاوي، ومغامرته الجهنمية في غابات بحر الغزال، في مواجهة الزبير ودّ رحمة ومقاتليه الاشداء من البازنقر، تلك المواجهة التي انتهت بهزيمة قواته، ومصرعه هو نفسه، بأن محمد البلالاوي ربما يكون قد وقع عليه الاختيار بعناية من قبل أعوان الخديوي وأعينه بالقاهرة، والحكمدار بالخرطوم معاً ، وربما يكون التواصل قد تم معه بطريقة ما ، منذ أن كان في دارفور وقبل مغادرته لها ، مستغلين في ذلك، ما لحق به من ضيم وظلم وجور، وموجدة شخصية عميقة على البلاط الحاكم في دارفور، الذي تسبب أو تهاون على الأقل في أمر مأساته القاسية، المتمثلة في اغتصاب الوزير أحمد شطة أرضه التي كان قد أهداه إياها السلطان محمد حسين، ذلك الوزير الظالم الذي لم يكتف بمصادرة أرض البلالي فحسب، بل قام باغتيال ابنيه كليهما الواحد تلو الاخر، لكي يكون البلالي بمثابة رجل المرحلة لرعاية مصالح الخديوية في كل من بحر الغزال ودارفور، حيث عمدت الحكومة إلى تسليحه وتمويله وتزويده بالمؤن والمقاتلين، لكي يقوم بمهمة مزدوجة فيما يبدو، هي القضاء على الزبير باشا وجيشه القوي في بحر الغزال أولاً، بعد أن ضاقت الخديوية بالقاهرة والحكمدارية بالخرطوم فيما يبدو، ذرعا بقوته المفرطة، ونفوذه المتزايد، فضلا عن تبرم مستشاريهم وحلفائهم الغربيين خاصةً، وتضايقهم غالباً من نمط سلوكه وتوجهاته العامة وأفكاره، التي ربما لم تكن تروق لهم، وربما رأوا فيها تهديداً لاستراتيجيتهم ومخططاتهم ورؤيتهم لمستقبل الأوضاع في بحر الغزال وجنوب السودان بصفة عامة، بل سائر حزام الهضبة الاستوائية الافريقية .

أما المهمة الثانية التي من المحتمل أنهم قد عهدوا بها الى الفكي محمد البلالاوي، فهي إسقاط سلطنة دارفور إن استطاع، وضمها لباقي اراضي امبراطوريتهم في سودان وادي النيل وسائر املاكها الاخرى في افريقيا، خصوصاً في ظل تلك الظروف التي كانت تعيشها سلطنة دارفور في نهاية ستينيات القرن التاسع عشر وأوائل السبعينيات منه، حيث كانت السلطنة تمر بحالة ضعف عام نسبي. فقد كبرت سن السلطان محمد حسين حينئذ، وأصاب جسده الوهن، وكُف بصره، فضلاً عن بروز بوادر خلاف حول خلافته على العرش بين مراكز القوى في البلاط، ما بين مجموعة كانت تود توريث ابنه الأكبر: أبو البَشَر ، وأخرى كانت تحبذ توريث نجله الاصغر ابراهيم قرض، وقد حالف التوفيق والنجاح هذه المجموعة الاخيرة، فتم لها ما أرادت، من أمر تنصيب السلطان إبراهيم قرض على العرش لعام واحد فقط بين عامي 1873 و 1874م، الذي شهد نهاية ملكه، بل مصرعه على يد جيش الزبير باشا في معركة منواشى .

لقد ظل ضم دارفور لإدارة الحكم المصري في سودان القرن التاسع عشر، هدفاً استراتيجياً في الواقع، عملت من أجل تحقيقه، منذ أن وطئت قوات اسماعيل كامل بن محمد علي باشا ارض السودان في شهر ابريل من عام 1820م، وقد جاء في بعض المصادر التي عرضت لتاريخ تلك الحقبة، ان محمد خسرو بك الدفتردار، صهر محمد علي باشا، وقائد قواته التي غزت سلطنة المسبعات بكردفان في عام 1821م،

وضمتها الى أملاك محمد علي باشا في السودان، قد كان ينوي بالفعل، السير بقواته من الابيض نحو الفاشر لغزوها، الا انه عدل عن ذلك، وانصرف عن تلك الفكرة نسبة لانشغاله بتحركاته وحملته الانتقامية ضد قبيلة الجعليين وحلفائها ، إثر مقتل اسماعيل باشا على يد أفراد هذه القبيلة، وبتدبير من زعيمها " الملك نمر " بشندي في عام 1823م.

وتأسيساً على ذلك، فلربما جاز لنا أن نفترض أن بعض متعلقات الهوية الشخصية لمحمد البلالاوي، ربما تكون قد زُورت أو تم تحريفها عمداً في بعض تفاصيلها، بهدف الإيحاء بمشروعية تحركه، وأهليته لقيادة ذلك التحرك داخل أرض السودان. ومن ذلك في تقديرنا تلقيب ريتشارد هل له ب " الهلالي "، والزعم بان أصوله من مراكش كما نقل الدكتور القدال، وكذلك الادعاء بانه قد كانت له ضيعة يملكها في منطقة حفرة النحاس، وان السلطان نفسه قد نازعه عليها ، وانه كان رجلا سليل اسرة نبيلة في دارفور لها وضع وحيثية خاصة، بينما ان حقيقته هي في الواقع، قد لخصتها على الارجح، الرواية التي أوردها عنه غوستاف ناختيقال في كتاب رحلته لدارفور، التي كنا قد اوردناها انفا، والتي جاء فيها أن الفكي محمد " البلالي " المذكور ، لم يكن في الواقع حتى من البلالة ، فضلا عن أن يكون من أهل مراكش كما ذكر المصدر الذي نقل عنه الدكتور القدال مثلا ، وإنما هو مجرد نازح طارئ على دارفور نفسها ، أصله من قبيلة متواضعة اسمها " ابو سمين "، انتسب زوراً الى البلالة كما نقل ناختيقال عن محدثيه في الفاشر، ولأمر ما في تقديرنا، زُورت بعض تفاصيل سيرة البلالي هذا، ونُفخ في شخصيته، وقدمت على نحو يخالف حقيقتها فيما يبدو.

ومهما يكن من أمر في الختام، فلعل من الأسباب التي أدت إلى فشل مغامرة محمد البلالاوي، هو كون أنه كان شخصاً أجنبياً عن السودان عموماً، وعن بحر الغزال وأهلها بالتحديد، ولم تكن له حاضنة اجتماعية، وعصبة مرتبطة به بعلاقة أشبه بالروحية والاسرية، كمثل التي كانت بين الزبير باشا وجنوده البازنقر على سبيل المثال، الأمر الذي كان عاقبته الفشل الذريع لمشروعه الانتحاري، الذي يبدو أنه قد اشتركت في الاستثمار فيه وعولت على نجاحه ، أكثر من جهة داخلية وخارجية، وقد كان لكل أهدافه ومراميه. بالطبع.

ثبت المصادروالمراجع:

1- يوسف فضل حسن وبول دورنبوس (محرران)، بلاد السودان الأوسط: الإرث والتكيف بالإنجليزية، مطبعة التمدن، الخرطوم، 1977م.

2- جماع أرباب بابكر، امبراطورية رابح، ترجمة محمد عطا المنان، مخطوط لدى الباحث نسخة الكترونية منه.

3- تاريخ افريقيا العام، المجلد الخامس، افريقيا من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر، إشراف ب. أ. أوغوث، اليونسكو، 1997م.

4- ريتشارد هل، معجم تراجم أعلام السودان من أقدم العصور حتى عام 1948م، ترجمة سيف الدين عبد الحميد النعيم، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 1996.

5- نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، تقديم د. فدوى عبد الرحمن علي طه، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2007م.
6- فلورا شو، الزبير باشا يروي سيرته في منفاه بجبل طارق، تعريب وإعداد خليفة عباس العبيد، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 1995م.
7- محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث 1820 – 1955م، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، أم درمان، ط 2، 2002م.
8- ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط 4، 1968م.
9- غوستاف ناختيقال، رحلة إلى وداي ودارفور، تعريب سيد علي ديدان، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، أم درمان، 2011م.
10- صفحة " تشاد بالعربية " على تطبيق فيسبوك، مقال بعنوان: سلطنة البلالة التي حكمت من عام 1365 حتى عام 1922، نشر بتاريخ 16 أغسطس 2016م.

نلسون مانديلا رمز الكفاح الوطني في إفريقيا

أ. رضوان أحمد(•)

Abstract:
N. Mandella. A Symbol For National Struggle in Africa One of the most famous political leaders in Africa known all over the world, born in July 1918 in a small village east of Cape town. In his childhood he was aware of the difficulties of the people of South Africa caused by the apartheid regime of the whites. He was able to finish education and graduated from one of the universities with a degree in. law. Starting practice as lawyer marked his activity in the political world and soon came into hostility with the regime. Leading resistance movement against racial discrimination he became famous all over Africa. The regime used all efforts to subdue him including imprisonment in an isolated island where he spent ten thousand days. His struggle was appreciated world wide and culminated in the award of the Noble Prize. Locally N Mandela was coroneted president of South Africa in 10 May 1994 .

تهدف الورقة للتعريف بشخصية افريقية حازت على شهرة عالمية بسبب قيادة لا تلين للكفاح ضد سياسة التفرقة العنصرية التي يمارسها نظام البيض الحاكم. تعرف منذ طفولته على الأوضاع المأساوية لشعب جنوب افريقيا بسبب السياسة وما تبعها من ظلم واضطهاد والحرمان من أبسط مقومات العيش الكريم. أكمل "ماندلا" تعليمه وحصل على شهادة جامعية في القانون وانخرط في نشاط الحزب القومي الافريقي مما عرضه للاعتقال حتى أنه أمضى سبعة عشر عاماً في الحبس الانفرادي في جزيرة روبين. غير أن كفاحه المتواصل أكسبه تعاطف إقليمي ودولي منقطع النظير وحصل علي عدة جوائز بينها نوبل للسلام توجت مسيرته بتنصيبه رئيساً لجنوب افريقيا في 10 مايو 1994م. هناك عدة دروس تحتاج الأجيال الافريقية أن تستخلصها من هذه المسيرة الناصعة منها الصبر والإصرار والحكمة ونكران الذات.

ولد في الثامن عشر من يوليو 1918 في قرية صغيرة تسمى مفيتزو movetzo على ضفة نهر أمباشي mbashe بمقاطعة اوماتاتا Umtata عاصمة اقليم ترن سكاي Transkei. يقع اقليم ترن سكاي 800كم شرقي كيب تاون CapeTown 550 كم جوهانسبرج "Johannesburg" إذ يقع بين نهر kei وحدود اقليم ناتآلNatal. والمعنى الحرفي (لاي كلمة)؟ في لغة الكوسا Xhosa هو ينزع فرع الشجرة. اما بالعامية وبدقة أكثر، فهو يعني: المشاغب[1].

(•) باحث في التاريخ

(1) نلسون مانديلا ، رحلتي الطويلة من أجل الحرية ، ترجمة عاشور الشامس ، جمعية نشر اللغة العربية ، 1998، ص32

كان والد مانديلا غادلا هنري cadla hennery سيد بحكم السلالة والعرف معا وقد نصب زعيم مفيتزو على يد ملك الثيمبو. وكان لزاما بحكم النظام المتبع تحت الإدارة البريطانية ان تصدق الحكومة على ذلك التعيين ، وكان يمثلها في مفيتزو قاض القرية[1].

دخل والده مع السلطات الحكومية البيضاء في منازعات نتج عنها حرمانه من الرئاسة في شعب التيمبو الذي كانت تحكمه اسرة والد مانديلا منذ زمن طويل حيث رفض الأب المثول امام القاض لتحقيق في شكوى تقدم بها احد الرعايا البيض وفي تلك الأيام لم يكن لفرد ان يعص امراً لممثل حكومة البيض. أتهم فوراً بالعصيان ولم يجرى استجوابً او تحقيق فقد كان ذلك حقاً للموظفين البيض فقط وقام القاضي بعزل والد مانديلا ببساطة واعفائه من جميع مناصبه التي كان يشغلها أهمها بالطبع رئاسة البلدة. كما تمت مصادرة ثروته وعقاراته واطيانه ، ليتحول من كان بالأمس ملء السمع والأبصار إلى مجرد رجل مفلس فقير، يائس لا يملك من حطام الدنيا سوى تاريخه العريق وجسارته وكرامته وعزت نفسه[2].

جرت العادة داخل العشائر والقبائل ان يقترن الرجل بأكثر من زوجة ،لاسيما وأن اسرة مانديلا لم تكن تعتنق اي ديانات وعقائد سماوية تلزمها بتعاليمها وآدابها وأصولها ومن ثم فقد كانت عقيدتهم عبادة الطبيعة ميراثاً وتراثاً وكانت والدة نلسون(توحيد الاسم؟) هي الزوجة الثانية في قائمة زوجات والده وتسمى "نوزيكن فاني" وهي من اصول احدى عشائر الإكس هوسا ايضاً، وكان بيته من بيوت الأثرياء والنبلاء. خصص الأب لكل زوجة دارا واسعة ومزرعة شاسعة ومواشي وابقار ودواجن وكانت هنالك مسافات هائلة تفصل املاك كل زوجة عن الأخرى تجنبا لأحداث اي صدمات قد تحدث بينهن من أثر الغيرة. ووفق ما هو شائع يطلق على كل زوجة لقباً يميزها عن الأخرى حيث الزوجة اليمنى والزوجة اليسرى والزوجة العظمى وزوجة بيت الدعم وكانت والدة نلسون تحمل لقب الزوجة اليمنى. ومن خلال اقتران الأب لتلك الزوجات الأربع انجبن له نحو ثلاث عشرة ولد منهم اربع من الذكور وتسعة من الأناث. وكان نلسون هو لأكبر لوالدته والأصغر لأبناء والده من زوجاته الأربع[3]. لقد كان والده يروي له قصص المعارك التاريخية وقصص قدماء المحاربين من ابناء الكوسا وكانت امه تتغنى بأساطير الكوسا وملاحمهم التي تعود الى اجيال غابرة، وكانت تلك القصص تثير خياله لما تحمله من معاني عميقة وتعلم من والده بأن تخلى المرء عن تراث أجداده يجلب تعاسة الحظ والاخفاق في الحياة، وعن طريق احتكاكه مع اصدقائه ترسخ في ذهنه بان اهانة الاخرين معانات كبيرة وتعلم ان ينتصر على خصومه دون الإساءة إليهم[4].

---

(1) هشام خضر ، والد مانديلا ، نيلسون مانديلا ، مركز الشرق للنشر، ط2، 2013، ص11.10

(2) عصام عبد الفتاح ، نلسون مانديلا ، كنوز للنشر ،ط2 ، 2011، ص 24

(3) محمد علي فرحات ، سلام الى الاصدقاء والى السجانين، منظمة اليونسكو لبنان ،2007،ص3

(4) محمد ابراهيم المشاعلي، الموسوعة السياسية والاقتصادية مصطلحات وشخصيات، ط1، دار الاحمدي، مصر، 2007، ص306

بعد ان تجرد الأب من املاكه واجتاحت رياح الإفلاس دور زوجاته الأربع الأمر الذي اضطره إلى الانصياع لرغبة والدة نلسون في ان يرافقها للعودة إلى قرية ابائها "قونو" املاً في العثور على مصادر الرزق الكريم بين اشقائها لمجابهة شظف العيش وقسوة الحياة، وفي بهيم الليل حملت الأسرة امتعتهاوهم يعبرون الطرقات والبحيرات قاصدين "قونو" لعلها تحف عليها بخيرها وتزف عليهم برزقها او هكذا كانوا يتطلعون، وهناك راح الأب يبحث عن كيفية تدبير موارد رزقه وعيش اسرته فاستأجر الأرض وأقترض من أهل زوجته لشراء المواشي والأغنام لإعادة ما تهدم على يد الحاكم العام البريطاني، لقد اكتسب نلسون خلال تلك المرحلة عادات متنوعة وتعلم ومارس هوايات مختلفة كصيد الأسماك وممارسة السباحة في بحيراتها وحرصه الدؤوب على اصطياد شتى انواع الطيور والعصافير. وحرص نلسون ايضا على تعلم قواعد وأصول المبارزة باعتبارها اللعبة الشعبية والأكثر انتشار[1].

ولما بلغ نلسون السابعة من عمره الحقه والده بمدرسة(قونو الابتدائية) بالنسبة للتعليم كان يتم تقسيم الأبناء داخل القبيلة الواحدة، بحسب النوع والعمر، ووفق ذلك يتم تعليمهم الأسس الرئيسية التي تقوم عليها الحياة القبلية مثل القيم والدين والجوانب الاقتصادية ويشمل ذلك تعليم المهارات التي تساعد على البقاء كبناء البيوت والصيد والرعي والزراعة والتجارة هذا فيما يختص بالذكور. أما الإناث فيتم تدريبهن على أعمال التدبير المنزلي ليصبحن أمهات المستقبل، فبجانب الطباخة يتعلمن كيفية حفظ الطعام وصناعة الأدوات المنزلية من الفخار، ونسج الأقمشة وتصنيعها، إلى غير ذلك من الأعمال الضرورية التي يحتاجها المنزل.

وبمجرد انخراطه في فصله الدراسي باغتته ادارة المدرسة بأنه قد نال اسماً انجليزياجديداً يختلف اختلافاً كلياً عن اسمه الأفريقي حتى يسهل على مدرسيه ان ينادوه به لتعذر حفظ ونطق الأسماء الأفريقية، وفي اثناء وجوده في فصله الدراسي الثالث وحين بلغ التاسعة من العمر فؤجي نلسون بمدير المدرسة على غير العادة وهو يقول في نبرات جسدت مشاعره الحزينة والمؤسفة : تلميذي العزيز نلسون قد تركك والدك رجلاً يافعاً. وأنا على يقيني انك تتجاوز تلك الأزمة (ما المقصود هنا؟) ولما انتهت فترة الحداد حزمت الأم امتعتها واصطحبت طفلها بعد ان تساوت لديه الأمكنة كان شعوراً لحظيا حيث أعتاد خلال سيره مع والدته أن يتأمل أكواخ وتلال وأوديته ؟ حتى اغرورقت عيناه بالدمع معزياً الأب الذي رحل عنه والقرية التي يرحل عنها[2].

أخذت والدته الى المكان العظيم" great place "قصر ميكزوني"mqhekezweni" الذي كان وصيا على يد زعيم التيمبو الزعيم يونجينتابا داليندييبو yongintaba dalindyebo ، ولم يرى؟ ام لسنوات عديدة، ورأى مانديلا يونجينتابا وزوجته نوء انغلا ندno England عاملا ؟

(1) مفيد شهاب ، الابارتيد والعنصرية في جنوب افريقيا ، مجلة السياسة الدولية ، ع32، ابريل 1972 ،ص172

(2) محمد علي فرحات ، مرجع سابق ، ص 3

بنفس مقام الابن جاست justice والبنت نوموفو nomafu وكان مانديلا يتردد على الكنيسة كل يوم احد مع الأوصياء حتى اصبحت للمسيحية مكانة خاصة في حياته[1].

تعلم من وصيه يونجينتابا بأن القائد لا بدَّ أن يكون مثل راعي الغنم يقف خلف القطيع ويترك الأكثر نباهة ورشاقة في المقدمة، فيتبعه الاخرون بدون ان يشعروه بانهم موجهون من الخلف[2].

التحق نلسون بمدرسة البعثة الميثودية، حيث درس اللغة الانجليزية والكوسا Xhosa والجغرافية، فأحب التاريخ الافريقي، وكان الشيء الذي حكم حياة مانديلا في ميكزوني، عنصرين اساسين هما زعامة القبيلة وتأثره بالكنيسة، وكانت كلتا السلطتين تعيش في انسجام تام وحذر ولم يدرك ان ذاك ما يوجد بينهما من عداوة، أما الزعامة في نظره كانت تعني لب الحياة نظرا لما يلقاه الزعيم من احترام لدى الجميع ولما يتمتع به من سلطات وقدر رفيع[3].

وقد كان مانديلا يراقب ويتعلم من اجتماعات زعماء القبائل التي كانت تعقد في منزل الزعيم حيث كانوا يقصون روايات حول تاريخ التيمبو ومختلف القبائل في جنوب افريقيا، وتأثر خياله بتلك البطولات والأمجاد التي صنعها الافارقة، وتيقن مانديلا من خلال اجتماعات الزعماء بأن الرجل الابيض كان وراء التشتت المتعمد لقبيلة الكوسا، والتفريق بين ابنائها وخلق العداوات بينهم، فالرجل الابيض هو الذي اخبر ابناء التيمبو بأنهم رعايا الملكة البيضاء فكتوريا ملكة بريطانيا، وان تلك الملكة لم تجلب للسود سوى الشقاء والغدر وكانت قصص احد الزعماء "يوري" تثير في نفسه الغضب وتشعره بان بريطانيا سلبت كل حقوقه الموروثة، تعلم من تلك الاجتماعات بان الافريقيين من التيمبو، وبوندوا، والكوسا، والزولو، كانوا يعيشون في سلام وامان الى ان جاء البيض من وراء البحار بأسلحة تلفظ النيران فشتت شملهم وفرقت قبائلهم[4].

كما فطن نلسون الى ان الكتب المدرسية التي اعدها البريطانيون لم تكن تحتوي على تاريخ وطنه الحقيقي، اذ كانت تدعي بان تاريخ جنوب افريقيا بدأ بوصول يان. فان ريبك الى شواطئ راس الرجاء الصالح، ولكنه ادرك من خلال هذه الاجتماعات بان تاريخ جنوب افريقيا يعود الى البحيرات والسهول الخضراء والوديان الشمالية التي نزح منها اجدادها عبر الاف السنين نحو سواحل جنوب افريقيا[5].

---

(1) قصي محبوبة، القائد بين السياسة والسلطة والنفوذ ،ط1، دار الاهلية لبنان ،2010، ص

(2) لويس هيل فاند ،نيلسون مانديلا ، ترجمة ندى احمد قاسم، مراجعة انجي بنداري، ط1، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر 2013، ص18

(3) نفس المرجع ، ص 22

(4) انطوني سامبسون، مانديلا السيرة الموثقة، ترجمة هالة النابلسي وغادة الشهابي، ط1، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، 2001، ص 50-52

(5) نلسون مانديلا، مصدر سابق، ص 22

وعندما بلغ مانديلا الرابعة عشر من عمره رأى وصيه يونجينتابا بأنه بلغ سن الرشد وقد آن الأوان لينتقل الى مرحلة الرجولة وتقضي تقاليد الكوسا ان يتم ذلك بطريقة واحدة وهي الختان والختان عند الكوسا يعني الدخول إلى عالم الرجال والاعتماد على الذات[1].

بعد عدة اسابيع من مراسيم الاحتفال ارسل مانديلا إلى معهد في كلاركبيري[2]. للتحصيل العلمي وانهى المرحلة الأولى من الدراسة في سنتين فقط بدلاً من ثلاث سنوات الاعتيادية في هذه المرحلة وفي التاسع عشر من عمره توجه إلى كلية وسيليان (... لا داعي لهذه النقاط) حيث طرد من الجامعة اثر احتجاجات طلابية على سياسة الجامعة .. حيث تابع دراسته بالمراسلة مع جامعة جنوب إفريقية وبعدها حصل على درجة البكالوريوس في القانون من جامعة ويتس واترلاند .. ثم بدأ الإعداد الماجستير من جامعة فورت هار والكنه فصل من الجامعة وصديقه اوليفر تامبو عام1940 بتهمة الاشتراك في الأضراب الطلابي[3].

وفي اثناء السنة تم ترشيح مانديلا في انتخابات مجلس الطلبة وبدا التصويت الرسمي للانتخابات وقاطعها معظم الطلبة عدا خمسة وعشرين طالباً انتخبوا الستة المرشحين الذين قرروا تقديم استقالاتهم وكان من بينهم .. وحصل على الإجازة من جوهانسبرج ثم التحق بجامعة ويتواتر سلاند لدراسة الحقوق .. وحين أنهى دراساته العليا في جامعة جنوب إفريقيا الأهلية الخاصة بالسود كان ملماً باللغة الإنجليزية والحقوق والإدارة المحلية والعلوم السياسية .. لينتقل بعدها إلى جوهانسبرج المدينة الرئيسية في البلاد .. وكان طموحه العمل في المحاماة ولكنه بدا العمل فقط كاتباً لدى محام يهودي اسمه سابرلسكي ووصفه بأنه (أول رجل ابيض عاملني معاملة البشر وهو الذي دربني كي اخدم بلادي) ثم تشارك مع محام أبيض اسمه نان بريجان في مكتب واحد .. وانطلق يعمل وينشط في السياسة التي حملته مسؤولية كبيرة .. ولكنة تابع دراسته ليحصل على اجازة في الحقوق ليحق له العمل كمحام وليس مساعد محامي .. فانتسب إلى جامعة تسمح لوجود عدد محدود من الطلاب السود.. وحين تخرج انغمس في حياته العملية[4]. وفي عام 1942 انضم مانديلا إلى المجلس الأفريقي

---

(1) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية معالم وثائق وموضوعات، ج7، مؤسسة هانياد للنشر، لبنان، 1996م، ص77

(2) مدرسة كلاركبيري، klarkebury boarding institute تعتبر هذه المدرسة اكبر مركز تعليمي للأفارقة السود في تامبو لاند، ولقد بنيت في عام 1929م، تفتخر بعراقتها في التدريس معظم اساتذتها من المبشرين البريطانيين، وتوسعت في عام 1934م، فأصبحت كلية لإعداد المعلمين ومدرسة ثانوية واماكن تدريب على دورات علمية، فيها سكن للصبيان واخر للبنات، وباحات رياضية، اصبحت انجازاتها السابقة بالغة الاهمية أثر ادخال تعليم البانتو عام 1935م، وبعد خسرت اموالها بعد الحرب العالمية الثانية.

(3) انطوني سامبسون ، مرجع سابق ، ص60

(4) عصام عبد الفتاح ، المرجع السابق، ص23

القومي...الذي كان يدعو للدفاع عن حقوق الأغلبية السوداء في جنوب إفريقية اصبح مانديلا قائدا لحملات المعارضة[1].

توثقت علاقة مانديلا مع والتر سيسول الذي لعب دوراً بارزاً في نصحه وإرشاده وتعليمه وتوعيته وتدريبه وتثقيفه وتوجيهه فيما ينبغي عليه القيام به داخل منظمة المؤتمر الوطني الأفريقي .. في1943م التقى مانديلا داخل الصالون الريفي الشهير مع انتون لمبيد المع وأشهر المحامين الافارقة السود الذي كان ثائرا على الأوضاع المستبدة السائدة. وكان لحديث لمبيد مفعول السحر حيث كان له مدى؟ هائل لدى مانديلا الذي كان يرهف السمع اليه مشدوداً ومسحوراً.

حيث اطربته كلماته وافكاره واعجبته طريقة ادائه وحركاته الانفعالية اللافتة للأنظار... فقد كان يقول:(إن لون بشرتي السوداء جميل، إنه لون تربة أفريقيا الأم)... وعلى هذا النحو التقى نلسون بشباب إفريقي مفعم بالأمل يشتعل حماساً يناضل ويكافح من أجل الوصول لساعة التحرر وأنهاء عصر الرق، وسياسة العبودية، والاذلال والطغيان. التقى ايضا مع اوليفر تامبو ودافيد بوبابي والدكتور ليونيل ماجو ميوزي ووليام نوكولو وأخرين أثاروا بداخله انتفاضة الغضب ضد الاستبداد الغاشم .وتعددت اللقاءات السرية بين اولئك الذين أرادوا الحياة، وقد ندد نلسون وزملاؤه بأعمال المؤتمر الوطني الذي شاخ وبدا واهناً لا يقوى على التقدم قيد انملة إلى الأمام في سبيل التحرر والسيادة والعدالة والمساوة فقد أصاب اليأس رموزه واستولى على أغلبهم الخوف علي مضبه من؟ تنديد المجتمع الأسود ضد السادة البيض الذين لا يبالون بأمنيات السود[2].

وأمام حالة الوهن التي أصابت المنظمة اقترح الشباب ضرورة تفعيل دوره مرة اخرى وأشار الدكتور ماجو مبوزي إلى تأسيس وحدة تنظيمية تضم بين جنباتها اعضاء المؤتمر من الشباب بغرض اثارة الحماس وإشعال نار الوطنية لعلها تحرك المياه الراكدة لقادة المؤتمر، وعلى اثر هذا المقترح حمل نلسون مسودته وقدمها للدكتور أكسوما رئيس منظمة المؤتمر الذي استقبله في صالون بيته بمدينة صوفية تاون، وقد اثار حنقه وأبدى اعتراضه على المسودة متعللا بمخالفتها لمواد الدستور لكن الواقع الذي كان جلياً للجميع انه كان لا يعبأ بمدى توافقها أو تعارضها مع الدستور بقدر ما كان يحمل على كاهله هموم المواجهة مع الساسة البيض وما يمكن ان يتمخض من جراء تلك المجابهة وتأثيراتها الخطيرة على حياته وعمله ومستقبله[3].

ومن ناحيته لم يلتفت نلسون مانديلا إلى معارضة الدكتور أكسوما واعتزم المضي قدماً في ترسيخ المسودة الشبابية وخلال فترة وجيزة تأسست وحدة تنظم الشباب برئاسة وليام نكامو، وقد لاقت قبولاً واسعاً لدى اعضاء المؤتمر جميعاً. وفي اعقاب تلك الموافقة الواسعة تقرر عمل انتخابات

---

(1) هشام خضر، المرجع السابق، ص90-92

(2) مها عبداللطيف ، المجتمع والتحول السياسي في جنوب أفريقيا حتى عام1999، كلية العلوم السياسية ، جامعة النهرين ، العراق 1999، ص104

(3) هشام خضر ، المرجع السابق ، ص11.10

داخلية للوحدة، وقد حصل نلسون على عدد كبير من الأصوات ليصبح عضواً في اللجنة التنفيذية وتأجج نيران الوطنية والكفاح والتحرر داخل صدور اولئك الشباب الذين رفعوا راية القومية الافريقية من أجل أحياء أمة واحدة تتألف من عدة قبائل والعشائروالتخلص من سيادة البيض عبر تأليف حكومة ديموقراطية[1].

كان نلسون مانديلا يترقب موعد محاكمته بتهمة "الخيانة العظمى" من خلال ضلوعه في اتصالات مع دولة أجنبية وتخطيطه مع بقية المتهمين لقلب نظام الحكم وهو ما دفع نلسون للابتسام بطريقة لا تخلو من التهكم والسخرية ولا مبالاة أمام النيابة العامة لأدراكه انها تهمة ملفقة ستكشف حين تبدا اجراءات المحاكمة ... ولكن في نهاية الجلسة قضت المحكمة بالأفراج عن جميع المتهمين بكفالة مالية شرط ان لا يمارس اي منهم اي نشاط سياسي[2].

وبعد الأفراج عنه في المرة الأولى؟ تقرر انشاء ما عرف بالجناح العسكري للمجلس الأفريقي القومي.. واصبح مانديلا رئيسا له وقام بأعمال تخريبية؟ (ما هذه) ضد مؤسسات حكومية واقتصادية ثم قاد المقاومة السرية التي كانت تدعو إلى ضرورة التوافق على ميثاق وطني جديد يعطى السود حقوقهم السياسية. وزادت مقاومة السود بمرور الوقت .. وأصبحت القوانين التي صدرت تحدد الأماكن التي يمكن للسود العمل والعيش فيها موقع غضب الأقلية؟ السوداء وأحرقت المكاتب بينما كان يعمل مانديلا في الخفاء وينظم المزيد من الإضرابات واصبحت المقاومة السلمية شيئا من الماضي[3].

رحلة الدعم الأفريقي

من خلال وثيقة صفر؟ كان يحملها نلسون مانديلا طار إلى اديس ابابا بعد رحلة طيران شاقة وطويلة توقف خلالها في الخرطوم التي لاق فيها ترحاباً واسعاً وتكريما لم يكن يتوقعه... ثم انتقل نلسون إلى تونس وألتقى بالرئيس الحبيب ابو رقيبة الذي منح نلسون مبلغاً يقدر بخمسة الف جنيه بغرض شراء اسلحة فضلاً عن عرض قدمه لهم بفتح ابواب بلاده للتدريب العسكري اذا هم رغبوا في ذلك. ثم سرعان ما طار إلى الجزائر التي التقى خلالها ثوارا من شتى القارات الأفريقية للوقوف على تجربة الشعب الجزائري في حرب العصابات التي شنها ضد الفرنسيين .. ثم طار بعدها إلى جمهورية سيراليون التي ابدت حفاوة بالغة لقدومه وكأنه رئيس جمهورية حيث باغتته حشود رسمية اصطفت لمصافحته إبداء لترحابها... ثم طار إلى غانا التقى بالرئيس سيكوتري.. أما في السنغال فقد استقبله الرئيس سنغور الذي اصدر له جواز سفر ودفع له ثمن تئكرة سفر ألي لندن وفي لندن استطاع انجاز بعض المهام. وعاد نلسون بعد هذه الرحلة الطويلة إلى اثيوبيا للبدء في تلقي التدريبات العسكرية... وبعد بضعة اسابيع تلقى نلسون برقية من جنوب افريقيا تدعوه للعودة السريعة حيث اشتدت حدة

---

(1) عصام عبد الفتاح ، المرجع السابق ، 92.87

(2) هشام خضر ، المرجع السابق ، ص137.133

(3) عصام عبد الفتاح ، المرجع السابق ، ص71

المواجهة الضيقة؟ بين المؤتمر الوطني والنظام العنصري الأمر الذي يتطلب وجوده بوصفه القائد والرئيس[1].

فور وصوله اجتمع مع أعضاء اللجنة المركزية للمنطقة اعقبه اجتماع اللجنة العليا لمنظمة رمح الأمة عرض خلالها تقريراً طويلاً ومفصلاً حول نتائج رحلته الطويلة وما تمخضت عنه من نتائج ايجابية رائعة. وظل نلسون كعادته متخفياً كسائق او كخادم او طباخ في تنقلاته داخل البلاد، وخلال قيادته للسيارة برفقة بعض زملاء العمل الوطني استوقفته سيارة فورد تكتظ بجنود بيض وبجانبهم سيارة اخرى وقد ادرك فيه ان ساعة الحرية قد ولت وانتهت. وبينما كان جالساً يترقب ما سوف تسفر عنه احداث الموقف تقدم نحو سيارته شخص نحيف ذو قامة فارعة على وجهه ملامح بارزة وراح يقدم نفسه انه الجاويش مورستر .. كان الجاويش يطلب منهم ابراز هوياتهم وبادر نلسون قائلاً (أنا ديفيد موتسامابي) وعلى ضواء ذالك راح الجاويش يمطره بوابل من الاسئلة، ولم يكن نلسون بارعاً في التواصل معه حيث كان مضطرباً الأمر الذي دفع بالجاويش يقول له في ثقة "تعال معي أنك نلسون مانديلا وهذا الذي يجلس بجوارك زميلك سيسل ويلمبامبز، وكل منكما مطلوب القبض عليه من السلطات الأمنية"[2].

في اليوم التالي تمت احالتهما رسمياً إلى القاضي المحلي بجوهانسبرج... من جانبها وجهت النيابة إلى نلسون تهمة تحريض العمال على الاحزاب ومغادرة البلاد دون أوراق رسمية وتأليب البلدان الأفريقية والمجتمع الدولي ضد بلاده. وأرسل مانديلا بعد الحكم عليه بالسجن مدى الحياة إلى عدة سجون مجهولة قبل أن يرسل بصفة نهائية إلى السجن الموجود بجزيرة روبن الخاضع لحراسة مشددة في خليج نيبال قبالة ساحل الكيب تاون..وفي الخارج كان الوقت قد بدا ينفذ إمام نظام التمييز العنصري.. ومع وجود قادة؟ حزب المؤتمر الوطني الأفريقي في السجن أو في المنفى ساعد الاضطهاد على استمرار اضهاد الثوار[3].

هذه المظاهرة السلمية الصفوية من قبل الطلاب تحولت إلى مقاومة شعبية واسعة فنجد الطلاب أمام الشرطة وهم يحملون الزجاج والحجارة محاولين الدفاع عن انفسهم من هذه القوة الكبيرة من الشرطة المسلحة... استمرت المظاهرات طيلة عام، مما ادى إلى مذبحة راح ضحيتها الالف. لم تكن أول مذبحة جرت على ايدي النظام العنصري.. في نفس الوقت كانت مذبحة سويتو نقطة تحول في مقاطعة النظام العنصري. لأن بطولة وقيادة هؤلاء الشبان الطلاب من المدارس الوسطى والثانوية ومناصريهم ضربوا مثلاً رائعاً لملاين السود في جنوب افريقيا في مقارعة الاستعمار والظلم[4].

---

(1) هشام خضر، المرجع السابق، ص133-137

(2) عصام عبد الفتاح ، المرجع السابق ، ص71

(3) هشام خضر، المرجع السابق ، ص160.157

(4) عصام عبد الفتاح ، المرجع السابق ، ، ص97.96

وفي خطوات ابعدت البلاد سياسياً عن بريطانيا جرى في عام 1961م استفتاء للبيض فقط اصبحت البلاد جمهورية مستقلة عن الكومنولث ليصبح اسمها "جمهورية جنوب افريقيا" وألغى المكتب العام استعين عنه بمنصب رئيس الدولة. وتماشياً مع سياسة التمييز العنصري[1].

بقى نلسون حتى 11 فبراير 1990م عندما اثمرت جهود المجلس الإفريقي القومي والضغوطات الدولية عن إطلاق سراحه بأمر من رئيس الجمهورية فريدريك ويليام دي كليرك فاعلن ايقاف الحظر الذي كان مفروضاً على المجلس الإفريقي (حان يوم أطلاق سراحه؟)...خرج مانديلا بعد عشرة ألاف يوم كاملة في المعتقل عند خروجه من السجن قال مانديلا " لم يدر في خلدي قط انني لم اخرج من السجن يوماً من الأيام وكنت أعلم انه سيجئ اليوم الذي أسير فيه حراً تحت اشعة الشمس والعشب تحت قدمي .. فأنني اصلاً انسان متفائل[2].

منذ ما يقارب مئة عام، ولدت في جنوب افريقيا قوة تحرير وطنية من رحم عمر كان الظلم والتمييز فيه حاكماً... كان هدفها التخلص بشكل نهائي من الحقد والقهر اللذين فرقا لفترات طويلة شعب هذا الأرض الساحرة وتعزيز وحدة نسيجه المتنوع إلى الأبد. في الثامن شهر يناير 1912م إنشاء المؤتمر الوطني الإفريقي... وبزغه معه آمال وتطلعات الملايين من الأشخاص... سيظل هذا التاريخ دائماً محفور في وعيهم ووجدانهم... فهو علامة فارقة ليس فقط في تاريخ حركة التحرير في جنوب افريقيا... وانما في تاريخ النضال الإفريقي ضد التعصب العنصري)[3].

بدأت محادثات كوديسا أو (اتفاقية ارساء الديمقراطية في جنوب افريقيا the conversation (for democratic south Africa: codesa) في ديسمبر 1993م في مركز التجارة العالمية بجوهانسبرغ للتجارة العالمية حضره 229 مندوبا من الاحزاب السياسية وترأس سيريل راما فوزا وفد حزب المؤتمر الوطني الافريقي، وبقى مانديلا كشخصية رئيسية في هذه المحادثات[4].

---

(1) سير قبور وديقوس، نمازج افريقيا، الطلاب يقودون مقاومة كبرى ضد التفرقة العنصرية في افريقيا ، الاحتفال بزكرة ثورة سويتو 1976

(2) سعيد ابراهيم كريديه، المرجع السابق، ص37

(3) محمد كامل عمرو، مساهمة جنوب افريقيا في مكافحة العنصرية والتميز واشكال التعصب الأخرى، ندوة قدمة للاحتفال بمئوية المؤتمر الوطني، نيويورك، 22سبتمبر 2011

(4) اتفاقية السلام الوطني: هي اتفاقية تم التوقيع عليها في 10 سبتمبر 1991 من قبل الاحزاب السياسية والمنظمات الرئيسية في جنوب افريقيا ومن قبل نقابات العمال والتجار والزعماء المحليين وغيرهم ممن اسسه شبكة للجان السلام على المستويات المحلية والاقليمية الوطنية من اجل تيسير حل النزاعات، ويهدف ازالة العنف والترهيب السياسي، وقد وضعت هذه الاتفاقية الاستثنائية اعرافا لمسلكيه الاحزاب السياسية والامن والشرطة، وحاولت المساهمة في تطوير الوضع الاجتماعي والاقتصادي، وقد تم حل اطر هذه الاتفاقية من قبل حكومة الوحدة الوطنية في ديسمبر 1994. (لا توجد إشارة لهذه الاتفاقية في المتن بين من ومن)؟ انظر: سوزان كولن ماركس، ص298

عقدت الجولة الثانية لمحادثات كوديسا في عام 1992م (مراجعة ذكرت ان الاولي في 1993م) وفيها اصر دي كليرك على ان نظام الفصل العنصري في جنوب افريقيا يجب ان يستخدم نظام اتحاديا برئاسة دورية لحماية الاقليات العرقية، اعترض مانديلا على هذا القرار، مطالبا بنظام مواحد في الحكم فيه للأغلبية في اعقاب مذبحة بوبا تونج التي ذهب ضحيتها نشطاء من حزب المؤتمر الوطني الافريقي على يد نشطاء انكاثا بمساعدة من الحكومة العنصرية ، دعا مانديلا لا يقاف المفاوضات في سبتمبر 1992م[1].

جاءت الموافقة بشرط ان يتم اطلاق صراح جميع السجناء السياسيين، وحظر اسلحة الزولو التقليدية، وتسييج مساكن الزولو، كان الغرض من الطلبين الاخرين منع المزيد من هجمات انكاثا وتحت ضغوط متزايدة وافق ديكلرك(دي كليرك صيغة موحدة) تم الاتفاق على اجراء انتخابات عامة متعددة الاعراق نتج عنها حكومة ائتلافية لمدة خمسة سنوات وجمعية دستورية، واستمرار نفوذ الحزب الوطني، وقبل حزب المؤتمر الوطني الافريقي بالحفاظ على موظفي الخدمة المدنية للبيض[2].

جلبت هذه التنازلات انتقادات داخلية شرسة اتفق الثنائي؟ على دستور انتقالي وضمان الفصل بين السلطات وإنشاء محكمة دستورية بما في ذلك مشروع حقوق على طراز الولايات المتحدة وايضا تقسيم البلاد الى تسعة محافظات كما تنازل دي كليرك عن رغبته في الفيدرالية ، ومانديلا عن حكومة موحدة[3].

واجهت العملية الديمقراطية تهديدا من مجموعة الجنوب الافريقيين اليمينيين " concerned south Africa group (COSAG)" وهو تحالف من احزاب افريكانية يمينية متطرفة وجماعات عرقية انفصالية سوداء مثل انكاثا، او جماعة تفوق العرق الابيض الأفريكانية التي هجمت على مركز كمبتون للتجارة العالمي، وخلفت عدد كبير من القتلى، في اعقاب مقتل زعيم المؤتمر الوطني الافريقي كريس هاني نشر مانديلا خطابا للتهدئة من الاعمال الانتقامية بعد ظهوره في جنازة جماعية من سويتو في وفاة تامبو الذي توفي بسكته دماغية، وفي جوان؟ ما هذا الشهر يونيو ام يوليو 1993 زار كل من مانديلا ودي كليرك الولايات المتحدة والتقيا كل من الرئيس بيل كلنتون واستلما ميدالية الحرية وبعد فترة قصيرة تلقيا جائزة نوبل للسلام في النرويج[4].

خاض مانديلا معركة اول انتخابات عامة عام 1994 وهو في سن الخامسة والسبعين نظم المؤتمر الوطني الافريقي انتخابات ناجحة عبر مئة مكتب من مختلف انحاء البلاد، وتم القاء الخطب عبر منابر شعبية حيث كان ينتقل عبر المنابر اربع مرات في اليوم وقد اقترح مانديلا تخفيض سن الاختراع

---

(1) نلسون مانديلا، مصدر سابق، ص 554 ـ 555

(2) محمد علي فرحات ، مرجع سابق ، 22

(3) Claude Gohin: nelson Mandela discourse Dinvestiture et petit précis D history: edition. liber universal" 2013:p 21 22

(4) Claude Gohin، op cit. p. 22.

من سن الثامنة عشر الى الرابعة عشر، وقال في مايو 1993 "يقولون ان الشخص تحت سن الثامنة عشر لا يمكنه التفكير تفكيرا صحيحا والقيام باختيار حاكم جيد: إننا نرفض ذلك ونطالب بان يكون سن لاختراع من الرابعة عشر"، وقد رفضت الهيئة التنفيذية في المؤتمر الوطني الافريقي المصادقة على اقتراح نلسون مانديلا ولم يتم اثارة القضبة مرة اخرى[1].

لقد كان اداء نلسون مانديلا الانتخابي ذكيا جدا، حيث كان قادرا على حشد المواطنين السود حيث طمأن الناخبين البيض على البقاء في جنوب افريقيا حيث الحاجة اليهم كبيرة[2].

وضع المؤتمر الوطني برنامجا طموحا لإعادة البناء والتطوير، حيث وعدت حملة الحزب ببناء مليون منزل في 5 سنوات وإدراج التعليم الشامل وتوسيع نطاق الحصول على المياه والكهرباء .كرس مانديلا الكثير من وقته لجمع التبرعات لحزب المؤتمر الوطني الافريقي سواء داخل افريقيا اوفي اسيا وأمريكا[3].

بدأت الحملة رسميا في 12 فبراير 1994 ، ولم يشك احد في ان المؤتمر الوطني الافريقي سيحرز اصواتا اكثر من حزب دي كليرك الوطني[4].

وقد كانت مجموعة الجنوب الأفريقيين اليمينية، معنية بتفويض الانتخابات بعد مذبحة شال هاوس shell house، وقد التقى مانديلا بالساسة والجنرالات الافريكان بما في ذلك الجنرال فليجوين كنستان الذي كسبه الى جانبه وكانت هذه العلاقة مفتاح للانتخابات السلمية، كما استقطب وزير الخارجية بك بوثا الذي ابقاه في السجن لمدة طويلة جدا، حين كان رئيسا للحكومة(حين ذلك مراجعة؟) لأقناعهم بالعمل في اطار نظام ديمقراطي[5]. قبل الانتخابات بعشرة ايام التقى مانديلا ودي كليرك[6].

في مقابلة على التلفاز، رغم اعتبار دي كليرك كأحسن متكلم في المناظرة الا ان عرض مانديلا فاجأه بالمصافحة مما دفع بعض المعلقين لاعتبار ذلك انتصارا لمانديلا[7].

---

(1) فراس البيطار ، الموسوعة السياسية والعسكرية ، ج3 ، دار ا سامة الاردن عمان ، 2013 ، ص 955

(2) انطوني سامبسون ، مصدر سابق ، ص682

(3) وليد محمود عبد الناصر مانديلا وجنوب افريقيا ، دار المستقبل العربي ، مصر ، 1996 ، ص146

(4) محمد علي فرحات ، مرجع سابق ، ص46

(5) نفس المرجع ، ص 55

(6) دي كليرك فريدريك . De clerk f ، ولد من عائلة افريكانية منحدرة من اصول هولندية وفرنسية تربى في وسط وسط الاقلية البيضاء المسيطرة في البلاد ، والده تولى العديد من الحقائب الوزارية وانتهى ابنه بدوره الى الحزب الوطني منذ سنوات حياته التي قضاها في جامعة بوت فستروم وفي عام 1927 اصبح دي كليرك نائبا في البرلمان ولقد تم اختياره الى منصب الرئاسة في عام 1989 وسرعان ما بداء تفكيك نظام الابارتيد مع نلسون مانديلا الزي تقاسم معه جائزة نوبل للسلام .

(7) Claude Gohin op cit p 27

راقب العالم الانتخابات بتوتر، اشرف المبعوث الخاص من الامم المتحدة الجزائري الاخضر الابراهيمي على جيش من المتطوعين من الامم المتحدة بأربطة ايديهم وقبعاتهم الزرقاء، وهم مبعثرون حول عدة مناطق، ومع ذلك كانت هناك فوضى في العديد من مراكز الاقتراع، ولما ظهرت النتيجة، احرز حزب دي كليرك 50% (وكانا لا نكاثا باث ليزي مراجعة) 51%، اما في المقاطعات الاخرى فاز حزب المؤتمر الوطني بأغلبية ساحقة 62%، مما اعطا ه252 مقعدا من بين 4000 في البرلمان الجديد[1].

تم تنصيب نلسون مانديلا رئيس لجمهورية جنوب افريقيا في 10 مايو 1994 تابع مراسم الحفل الرئاسي مليار شخص حول العالم، وحضر هذه المراسيم 4000 ضيف من مختلف بلدان العالم، وأصبح مانديلا اول رئيس اسود لحكومة الوحدة الوطنية التي هيمن عليها حزب المؤتمر الوطني الافريقي ،ولم تكن له أي تجربة في الحكم وضمت الحكومة نوابا من الحزب الوطني مثل انكاثا، وتم اختيار دي كليرك نائبا اولا للرئيس في حين تم اختيار تامبو ايمبيكي نائبا ثاني للرئيس، على الرغم من انه لم يكن الاختيار الاول لهذا المنصب الا ان نلسون اراد الاعتماد عليه في تنظيم امور السياسة[2].

وقد أدلى نلسون البالغ من العمر 75 عاماً القسم التالي: "أقسم بأن أكون رئيس لجنوب أفريقيا، واعد رسميا وبكل صدق ان اشجع كل من ما شأنه ان يتقدم بالجمهورية وان اناضل كل ما من شأنه ان يضر بها " كما تعهد مانديلا الذي قضى 27 عاماً من عمره في السجون بسبب كفاحه ضد التفرقة العنصرية، باحترام الدستور والحفاظ عليه مثل بقية قوانين الجمهورية وتحقيق العدل للجميع، واوضح في خطاب القاه امام الجمهور ان جنوب افريقيا خرجت من كارثة استثنائية استمرت طويلا، واعلن ان الحكومة الجديدة ستبحث في المقام الاول على مسألة اصدار عفوا عن مختلف شرائح الشعب، التي تقضي عقوبة السجن، وتوجه نلسون بالشكر لرئيس جمهورية جنوب افريقيا السابق دي كليرك، "ان اسم فريدريك دي كليرك سيبقى خالدا في التاريخ بوصفه واحد من اكبر المصلحين"[3].

المصلحين"[3].

في نهاية المطاف نشرت السيرة الذاتية لمانديلا بعنوان "المسيرة الطويلة الى الحرية" في اواخر 1994م، حضر المؤتمر الـ49 للمؤتمر الوطني الافريقي في بلمفيتين الذي شهد انتخاب اكثر للعضوية التنفيذية الوطنية، من بينهم ويني مانديلا[4].

---

(1) سراب خالد القاسم ، مفهوم الكرامة الانسانية وعلاقتها بالمقومة ، رسالة ماجستير تخصص ، الديمقراطية وحقوق الانسان ، كلية الدراسات العليا ،جامعة بيزيت ، فلسطين ،2012 ،ص 32

(2) محمد علي الفوزي ، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ط1 ، دار النهضة ، العربية بيروت ، لبنان ، 2006 ، ص360

(3) نفس المرجع ، ص 361

(4) محمد بو زينة ، احداث العالم في القرن العشرين (1960 ـ1969) ، مكتبة الاسكندرية ، 2001 ، ص360

تراس مانديلا الانتقال من حكم الاقلية البيضاء بنظام الفصل العنصري إلى الديمقراطية المتعددة الثقافات، وراي المصالحة الوطنية بانها المهمة الاساسية في فترة رئاسته، وبعد ان شاهد كيف تضرر الاقتصاد الافريقي بعد حيل النخب البيضاء، عمل نلسون على طمأنة السكان البيض في جنوب افريقيا بانهم ممثلون في "أمة قوس قزح"، حاول تكوين اوسع تحالف ممكن في مكتبه، مع دي كليرك في منصب نائب اول للرئيس، في حين اصبح غيره من اعضاء الحزب الوطني وزراء للبيئة والصناعة والطاقة، اما غالبية المناصب الوزارية فعادت الى حزب المؤتمر الوطني الافريقي[1].

أشرف مانديلا على لجنة "الحقيقة والمصالحة" للتحقيق في الجرائم التي ارتكبت في ظل نظام الفصل العنصري، من جانب كل من الحكومة وحزب المؤتمر الوطني الافريقي ومنحت اللجنة عفوا فرديا لمن يدلي بشهادته حول الجرائم التي ارتكبه في حقبة الفصل العنصري وبعد الاستماع الى تفاصيل الجلسات التي دامت عامين حول عمليات الاغتصاب والتفجير والتعذيب والاغتيالات، أشاد مانديلا بعمل اللجنة مشيرا إلى أنها "ساعدتنا على الابتعاد عن الماضي والتركيز على الحاضر والمستقبل"[2].

لقد ورثت حكومة مانديلا بلد بتفاوت كبير في الثروة والخدمات بين مجتمعي السود والبيض فمن اصل 40 مليون نسمة من السكان كان حوالي 23 مليون نسمة يفتقرون الى الكهرباء والصرف الصحي الملائم ،12 مليون يفتقرون الى امداد المياه النظيفة و2 مليون طفل غير ملتحق بالمدارس، وثلث السكان أُميون، بلغة البطالة 33%، اقل بقليل من نصف السكان يعيشون في خط الفقر، كانت الاحتياطات المالية للحكومة على وشك الانتهاء، وخمس الميزانية الوطنية مخصصة لسداد الديون، مما يعني ان برنامج التنمية الموعود بها سيتم تقليصه دون تأميم او مناصب شغل مقترحة[3].

بدلاً من ذلك تبنت الحكومة سياسة اقتصادية ليبرالية تهدف الى تشجيع الاستثمارات الاجنبية، ادخلت الحكومة التكافؤ في المنح بما في ذلك من الإعاقة، ومنع خدمة الطفل ومعاشات الشيخوخة، التي كانت سابقا بمستويات متفاوتة تختلف باختلاف الجماعة العرقية في جنوب افريقيا، وفي عام 1994م تم تقديم الرعاية المجانية للأطفال دون سن ست سنوات للنساء الحوامل، تم تمديد التغطية لتشمل جميع الذين يستخدمون المستوى الأول، من خدمات القطاع العام للرعاية الصحية، وتم ربط 3 ملايين بخطوط الهاتف، التحق مليون ونصف طفل بالتعليم، وتم تشيد وترقية 500 عيادة وتوصيل 2 مليون شخص بشبكة الكهرباء، وصدر قانون اعادة الاراضي لسنة 1994م مكن الناس من استرجاع ممتلكاتهم المفقودة[4].

---

(1) Samuel Willard Cromption nelson Mandela Ending A partied in south . Africa Chelsea house state of America 2007 p 86

(2) نلسون مانديلا ، مصدر سابق ، ص 450

(3) محمد السماك، عودة الابارتيد الى جنوب افريقيا، المستقبل، عدد3641، 2010 ، ص 19

(4) الشيماء علي عبد العزيز، جنوب افريقيا ما بعد مانديلا "" مجلة علوم سياسية وسياسة دولة ، ع132 ، 1998 ،ص210

للاقتداء بتجربة جنوب افريقيا شجع مانديلا الامم الاخرى على حل النزاعات عن طريق الدبلوماسية والمصالحة، وردد مطالب ثامبو امبيكي بالنهضة الافريقية واهتم كثيرا بقضايا القارة انتهج الدبلوماسية الناعمة لإزالة الصبغة العسكرية الديكتاتورية في نيجيريا بقيادة ساني اباتشافي، وفيما بعد اصبح الشخصية البارزة في الدعوة لفرض عقوبات على نظام اباتشافي، لزيادة انتهاكاته لحقوق الانسان[1].

الخاتمة:

نجح مانديلا في الإحساس بما تعانيه أمته منذ طفولته فحرص علي المساهمة في رفع الضرر والظلم عنها بالتسلح بالعلم فاختار سلك المحاماة الذي يهيء له المجال للدفاع عن المظلومين. انخرط أثناء الدراسة في النشاط الطلابي وتعرف علي قيادات العمل الوطني في المجلس الأفريقي القومي وانخرط في نشاط واسع في الدفاع عن الأغلبية السوداء في مواجهة نظام الفصل العنصري الأبيض، وقد تعرض للاعتقال عدة مرات إلا أن نشاطه توسع إلى الدول الأفريقية الأخرى التي تعاطفت معه ودعمته في كافة المجالات خاصة بعد أن أسس المؤتمر الوطني الافريقي. أصبح مانديلا رمزاً للنضال ضد القهر والظلم والتمييز العنصري متحملاً كافة أشكال الأذى بما فيها الحبس الانفرادي لمدة ٢٥ عاماً، إلا أن هذه التضحيات أثمرت قيام جمهورية جنوب أفريقيا التي شاعت فيها الديمقراطية والتعدد العرقي والثقافي.

المصادروالمراجع

1. انطوني سامبسون، مانديلا السيرة الموثقة، ترجمة هالة النابلسي وغادة الشهابي، ط1، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، 2001م.
2. سراب خالد القاسم، مفهوم الكرامة الانسانية وعلاقتها بالمقومة، رسالة ماجستير تخصص، الديمقراطية وحقوق الانسان ، كلية الدراسات العليا ،جامعة بيزيت ، فلسطين ،2012م.
3. سوزان كولن ماركس، ص298
4. سير قبور وديقوس، نمازج افريقيا، الطلاب يقودون مقاومة كبرى ضد التفرقة العنصرية في افريقيا، الاحتفال بذكرى ثورة سويتو 1976م.
5. الشيماء علي عبد العزيز، جنوب افريقيا ما بعد مانديلا "مجلة علوم سياسية وسياسة دولة" ، ع132 ، 1998م.
6. عصام عبد الفتاح، نلسون مانديلا، كنوز للنشر، ط2، 2011م.
7. فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، ج3، دار أأسامة، الأردن، عمان، 2013م.
8. قصي محبوبة، القائد بين السياسة والسلطة والنفوذ، ط1، دار الاهلية، لبنان، 2010م.

(1) محمد السماك ، مرجع سابق

9. لويس هيل فاند، نيلسون مانديلا، ترجمة ندى احمد قاسم، مراجعة انجي بنداري، ط1، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر 2013م.
10. محمد ابراهيم المشاعلي، الموسوعة السياسية والاقتصادية مصطلحات وشخصيات، ط1، دار الاحمدي، مصر، 2007م.
11. محمد السماك، عودة الابارتيد الى جنوب افريقيا، المستقبل، عدد3641، 2010م.
12. محمد بو زينة، أحداث العالم في القرن العشرين (1960-1969)، مكتبة الاسكندرية ، 2001م.
13. محمد علي الفوزي، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ط1، دار النهضة، العربية بيروت، لبنان ، 2006م.
14. محمد علي فرحات، سلام الى الاصدقاء والى السجانين، منظمة اليونسكو لبنان، 2007م.
15. محمد كامل عمرو، مساهمة جنوب افريقيا في مكافحة العنصرية والتميز واشكال التعصب الأخرى، ندوة قدمة للاحتفال بمئوية المؤتمر الوطني، نيويورك، 22سبتمبر 2011م.
16. مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية معالم وثائق وموضوعات، ج7، مؤسسة هانياد للنشر، لبنان، 1996م.
17. مفيد شهاب، الابارتيد والعنصرية في جنوب افريقيا، مجلة السياسة الدولية، ع32، ابريل 1972م.
18. مها عبداللطيف، المجتمع والتحول السياسي في جنوب أفريقيا حتى عام1999م، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، العراق 1999م.
19. نلسون مانديلا، رحلتي الطويلة من أجل الحرية، ترجمة عاشور الشامس، جمعية نشر اللغة العربية، 1998م.
20. هشام خضر، والد مانديلا، نيلسون مانديلا، مركز الشرق للنشر، ط2، 2013م.
21. وليد محمود عبد الناصر، مانديلا وجنوب افريقيا، دار المستقبل العربي، مصر، 1996م.
22. Claude Gohin: nelson Mandela discourse Dinvestiture et petit précis D history: edition. liber universal" 2013.

Samuel Willard Cromption nelson Mandela Ending A partied in south Africa Chelsea house state of America 2007.

ملحق رقم (1)

خريطة سياسية لجمهورية جنوب افريقيا

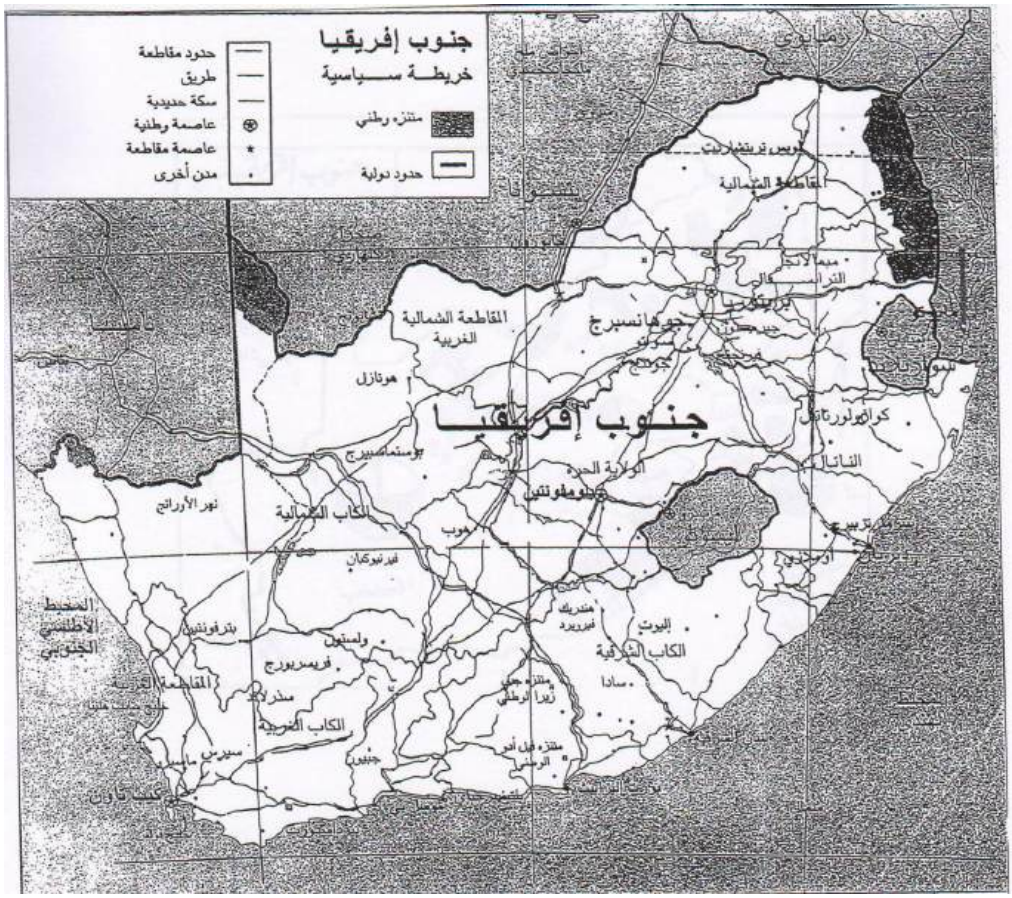

صورة لنلسون مانديلا

Samuel Willard Cromption : south Africa Estate of Apartheid Chelsea house : state of America :1997: p44 / 1

الخطاب الحِجاجي في وثائق المراسلات السنارية 1504-1821م

(دراسة تطبيقية لعينة مختلفة من المراسلات)

د. لمياء دفع الله(*)

Abstract:
A study of the corresopondence available in documents from Sennar .(a selected sample) The study of such correspondence is important as it revealed the level of culture of the writer and may be thestate as a whole. It also reveal the extent of foreign contacts, and this can be done by collecting samples of corresponpence ffrom outside especially the Islamic world. A study of this corresepondence should be acollective effort of specialists in various topics: law, geography, litrerture and anthropology as a message usually includes several elements. The paer gives a definition "the message "`in language, in the Quran, its historical implication and depth, the aim of the writer and his style of writihg.

يعتمد التاريخ على الوثيقة (الرسمية) باعتبارها مصدراً أساسياً ومهماً يساعد الباحث على الوصول إلى الحقيقة ...فالوثيقة بالاضافة لكونها تمثل الأثر المادّي الملموس للافعال الانسانية فهي تعد ايضاً تجسيداً حقيقياً للتعبير عن الأفعال التي سبق أن خلفت الاحداث والوقائع، كما أنها تمثل أهم سمات الدولة المدنية وتعكس مستوى التحضر والمستوى التعليمي السائد فيها. وتختلف الاساليب الخطابيه التي تكتب بها المراسلات، وتهدف هذه الدراسة لتسليط الضوء على احد تلك الاساليب وتعني الورقة بتتبع الحُجة في المراسلات السنارية (المتوفرة) من (وثائق المراسلات) . وانطلاقاً من الفرضية الأساسية وهي أن المراسلات المتمثلة في الوثائق لابد أن تؤثر وتتأثر بأنماط المكاتبات السائدة في الفترة السابقة والمعاصرة لموضوع الورقة ، وسلطنة سنار لابد لها أن تتأثر بما ساد في العالم الاسلامي انذاك باعتبار أن التأثير مداً للثقافة الاسلامية وبفعل عوامل أُخرى لابد من أن تؤثر في غيرها.

وحتى يتضح نوع الخطاب الحِجاجي المقصود تطرح الورقة اسئلتها في الاتي: ما المقصود بالخطاب الحِجاجي وإلى أي علم ينتمي ؟ ما هي الظروف السياسية والتاريخية التي عاشتها سلطنة سنار وأثرت في نوع الخطاب؟ هل ادرك كتاب مراسلات سنار ذات الخطاب الحجاجي ام أن مكاتباتهم كانت تقليداً لما كان سائداً انذاك؟ بماذا تميز نمط المراسلات والوثائق المكتوبة في تلك الفتره؟ما البنيات الحجاجية التي شكلت هذه المراسلات والوثائق؟ وهل توفرت كل الآليات والتقنيات الحجاجية في الوثائق والمراسلات السنارية وهل حققت غرضها؟

وللإجابة عن تلك التساؤلات قامت الورقة بدراسة أُسس نظرية الخطاب الحِجاجي ثم إسقاط تلك النظرية على العينة المتوافرة من وثائق مراسلات سلطنه سنار، للتعرف على واقع لغة خطاب

(*) باحثة في التاريخ

المراسلات، لذا كان لابد من رصد خطوات كتابتها ودراسة مراسلات الدوله السنارية من حيث الآليات والأنماط والإستراتيجية والإستعانة بعينة أخرى من المراسلات بهدف الإستفادة منها والإستهداء بها ومقارنتها لإدراك مدى التأثر بإسلوب المراسلات التي كانت سائدة، وللكشف عن مدى تعمقه في المراسلات السنارية ومقارنته مع ما كان سائد في العهود المختلفة (من حُكم الدولة الاسلامية بحدود مركزيتها).

وتعد الورقة بمثابة دعوة للتكامل بين العلوم لدراسة الوثائق والمكاتبات وفتحًا لآفاق أوسع للتعمق في دراسة الوثائق السنارية وهي دراسة ليست حكراً على تخصص منفرد وإنما هي دراسة متداخلة مع العلوم الأخرى ومن بين تلك العلوم تعتمد الورقة على علم البلاغه، علم، القانون ، علم المنطق، في التحليل ورصد أركان الوثيقه.

عليه فإن الورقة تتبع المنهج الوصفى التحليلي لرصد ماجاء في تلك المكاتبات والرسائل وإسقاط نظرية الحِجاج عليها (من أُسس وأنماط وآليات حجاجية) ثم النظر في نوع الإستراتيجية الحِجاجية، مرتكزه على المنهج التاريخي وكذلك المنهج المقارن للمقارنة بين العينة المتطرق لها، وبين ما كان سائداً في العالم الإسلامي من مراسلات أو خطابات شفوية، إذ أن النظر إلى النمط السائد يوضح جوانب الشبه والاختلاف، ويعد خطوة أولى لدراسة عملية التاثير والتاثر بالأخر.

تنقسم الورقة إلى الأقسام الرئيسة التالية:

القسم الاول: التأسيس النظري لمفهوم الحِجاج

1/ مفهوم الحِجاج لغة واصطلاحاً.

2/ الحِجاج في القرآن الكريم

3/ تعريف الحِجاج

4/ العمق التاريخي للحِجاج

5/ أنواع الحِجاج

6/أسس الحِجاج

7/ آليات وأنماط الحِجاج

8 / إستراتيجية الخطاب الحِجاجي

القسم الثاني: نماذج تطبيقية للمراسلات السناريه

1/ شكل المراسلات السناريه

2/ دراسه الحِجاج في المراسلات السناريه

3/عناصر الحِجاج لدى النماذج التطبيقية

4/ مقارنة المراسلات السنارية ببعض النماذج السابقة او المعاصرة لها محلياً وعالمياً

القسم الثالث : معايير تحقق وتوافر الحِجاج في الوثائق السنارية

1/ معايير خاصة بالمراسلات موطن المقارنه

أ- التأثر

ب- التأثير

2/معايير خاصة بالمنهج المتبع في الدراسة

ثانياً: التحديات التى واجهت لغه الخطاب السناري

خاتمة: أهم النتائج والتوصيات

القسم الاول : دراسة الخطاب الحجاجي (في المراسلات)

الدواعي ، المبررات

يقع العبء الأكبر في عملية قراءة الأحداث التاريخية وتحليلها على الوثائق باعتبارها أصدق الشهود على الفترة الزمنية التي يراد دراستها، كما أنها تشير لما قبلها ولما بعدها من أحداث. والمتعارف عليه في دراسة الوثائق هو القيام بعملية عرض وتعليق على الوثيقة. وتخضع الوثيقة لبعض التحليل. ونوع الوثائق المعنية هنا هي وثائق المراسلات والمكاتبات، إلا أن هنالك عمقاً لايرد ذكره كثيراً في دراسة تلك المراسلات هو نوع الخطاب الذي ساد فيها (باستثناء حِجج الأرض التي تأخذ حِجاجاً ذا عمق قانوني). ومن أهم تلك الخطابات، الخطاب الحجاجي لأن إبراز الملفوظ الحِجاجي له إشارة واضحة في ثنايا الكلام، وهي توضح توجه أسلوب كاتب الرسالة والذي دائماً ماينحى المنحى السلمي كنوع من التحوط منعاً من الدخول في أي نزاع، لذلك يكون التعامل مع البنية الحِجاجية بتوخى مقاصد عدة، منها الرغبة في التأثير والتوجيه والاقناع، لأن المحاجج يحاول التأثير على المتلقي إما لإبعاده عن الأطروحة النقيض وإما لتغيير رأيه وموافقة المُحاج في فكرته.

والحِجاج قد يكون دلالة أو إشارة مادية لها صدى ووقع كبير في نفس الطرف الأخر يعقبها حديث كما كان في حملة غزو السودان من قبل محمد علي بقيادة ابنه اسماعيل فقد اتخذت الحملة حِجاجاً معنوياً ذا دلالة كبيرة كما سيأتي الاشارة إليه.

الخطاب الحِجاجي لغة واصطلاحاً

حُجّة: (اسم) الجمع: حُجَجٌ، وحِجاجٌ. والحُجّة: الدَّليل والبُرْهان والحُجة البرهان وقيل ما دفع به الخصم وهي مرادفة لكلمة برهان، والحِجاج لابد من أن يكون فيه بيان والبَيِّنُ والبين بمعنى: الواضح(1). حُجَّة ملكيَّة : صَكُّ البَيْع، سند يُثبَت به حقُّ انتقالِ الملكيَّة (2)

والحِجاج لغة: أن تتميز لغة النص بلغة تقريرية، موضوعية، تعبر عن الأفكار بوضوح ومباشرة أي أنها تحمل صفه البيان.

---

(1) ابن منظور :لسان العرب : ماده (حجج) ، ج2 ص779

(2)) إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار(: لمعجم الوسيط المؤلف : مجمع اللغة العربية،، القاهرة(ب،ي) الناشر :دار الدعوة ج1 ص 157

الحجاج في القران

جاء مفهوم الحِجاج في القران بالمعنى اللغوي والذي مفاده{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ}(1) وفي قوله تعالى (قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ)(2) وجاء في قوله تعالى: (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (3) أن إستراتيجة الاقناع الحِجاج وأضحة في القرآن الكريم وأقوال رسول الله لأن نشر الرسالة المحمدية وسط قوم كفار يتطلب حِججاً قوياً لإقناعهم باعتناق الدين الجديد، إذ نجد الأيات القرآنية متضمنة للاساليب الحِجاجية القوية، فالرسل موجهون للناس كافة على امتداد الزمان، والمكان وهذا يدل على أن تعلم المناظرة مما يحتاج إليه المسلم، وفي ذلك يؤاكد ابن خلدون على ضرورة استعمال الحجاج بوصفه آلية للاقناع، خاصة في زمن كثرت فيه المناظرات التى أساسها الجدل معتبراً أن معرفة آدب المناظرة التي تجري بين المذاهب الفقهية وغيرها أمر مهم ولذلك قيل فيه إن المعرفة بالوقائع من الحدود والأداب في الاستدلال التى يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره فالمناظرة وتعلمها من الضرورة بمكان(4).

تعريف الخطاب الحِجاجي

النص الحجاجي بناء لغوي يختلف عن غيره من النصوص لكونه يبنى بناًءا تفاعلياً مدعوماً بأدوات ووسائل توظف لغرض الإقناع والتأثير، والحجاج وسيلة من وسائل الإقناع والتعبير عن الرأي، (تفنيد) الرأي المخالف و التي تعتمد على مقابلة الرأي بالرأي ومقارعة الحجة بالحجة(5) وهي نوع من الجدال بالتي هي أحسن بين فريقين (طرفين) وصولاً للحق والصواب، والحجاج تبرير يتميز بالموضوعية والانفعال تبعا للتأثير الذي يرغب الخطيب في إحداثه. أما في الانجليزية فيشير لفظ (Argue) إلى وجود اختلاف بين طرفين ومحاولة كل منهما إقناع الأخر بوجهة نظره بتقديم الأسباب والعلل (Reasons) التي تكون الحجة (Argument) مع أو ضد فكرة أو رأي أو سلوك ما . ومن خلال هذه التحديدات المعجمية نجد لفظ الحِجاج او المحاججة متضمناً لدلالة ومعنى مستمدين من طبيعة سياقة أو شرطه التخطابي المتمثل في " ألتخصام ، التنازع ، الجدل ، والغلبة " اي بمعناها الفكري والتواصلي. (6)

---

(1) سوره البقره ، الايه (258) ،

(2) سوره البقره ، الايه (139)

(3) سوره البقره ، الايه (76)

(4) ابن خلدون : المقدمه ، دار الكتب العلميه ، بيروت لبنان ، 1993 ، ص362

(5) http://www.achamel.info/Lyceens/cours.php?id=969

(6)هاجر مدقن: آليات الخطاب الحِجاجي (بين نظريه البيان ونظريه البرهان) (الأثر) مجلة الآدب واللغات _ جامعة قاصدي مرباح _ الجزائر _ العدد الخامس _ مارس _ 2006م ص190

العمق التاريخي للحِجاج

تعود دراسة النص الحِجاجي إلى أزمنة خلت فقد استخدم أسلوبه في المناظرات ابتدءً من مؤلفات أرسطو، وسقراط ولاسيما في الخطابة، ثم ماثورات العرب عن أصول الخطابة ومميزات الخطيب من الارث الفكري الضخم الذي احاط بكل مايمكن أن يطرا على هذه النصوص من خلال تطبيقات كبار المفكرين والفلاسفة والفقهاء عن مختلف النصوص (1) وافل نجمه قبل الأسلام إلا أنه جاء بقوة مع مجئ الرسالة على سيدنا محمد ﷺ واستخدم إستخداماً صحيحاً و صار توجيه الحُجة من أُسس توجهيات الاسلام وهي أحد أسس حكم الدولة الاسلامية . ويتضح ذلك فيما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (لو يُعطى الناس بدعواهم ، لادّعى رجالٌ أموال قوم ودماءهم ، لكن البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر)(2). وتتمثل فيما أوصى به عمر بن الخطاب عامله ابو موسى الأشعري وقال له البينة على من أدعى واليمين على من انكر. إذاً تقدم الحجة على إدعاء حق وهذا الحق ربما كان صاحبه محقاً او كاذباً فيه، أي هناك طرفا نزاع، وهذا الأسلوب لبرهان الحجة ضروري. ومن هنا وحتى تحقق الحجة غرضها لابد أن تكون لها اركان وأسس.

وتختلف انواع الحِجج وتتفق في سبب وجودها. أما أنواعها فهي: حُجة تملك الأرض، وحُجة مراسلات، وحُجة نزاع ، وحُجة حرب وحجة أمان . وباختلاف تلك الأنواع للحِجج تختلف أيضاً الأركان التي تبنى عليها كل نوع حسب متطلبات الموضوع .أما مفهوم الحجاج المتداول فيعرفه (ميشال مابيرهو) بانه جهد اقناعي (افحامي). كما يعتبر البعد الحِجاجي بعداً جوهرياً في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع الطرف الأخر، ولهذا اختار المرسل أدواته اللغوية وآلياته الحجاجية مما يجعل الحِجاج في شكله النهائي هو ترجيح من بين خيارات بواسطة أسلوب هو في ذاته عدول عن امكانية لغوية أخرى يتوقع أنها أكثر نجاعة في مقام معين) (3)

أنواع الحِجاج :

يتنوع الحِجاج ويعود تنوعها لتنوع مجالات استخداماتها وتباين مرجعياتها. وتسخدم الورقه الأنواع التى تخدم غرضها من ماورد من تنوع المواضيع التي يخوض فيها وبطبيعة الطرف المقابل الذي يريد إقناعه.

ومن أهمّ الحجج هي:

1- الحجة المنطقية: وهي الحجة التي تبني على أساس الرّبط بين السبب و النتيجة، أو على أساس القياس فيتم فيها الربط بين المقدمات والنتائج، ويعوّل في هذه الحجة على العقل والمنطق في الإقناع.

---

(1) http://www.achamel.info/Lyceens/cours.php?id=969

(2) حديث حسن رواه البيهقي وغيره وفي غير الصحيحين

(3) هاجر مدقن : المرجع السابق ، ص 190

2- حجة الشاهد القولي: وهي الحجج التي عادة ما تكون منتقاة من نصوص معترف بأهمّيتها بلّ أن قوة النصّ في هذه الحجة هي التي تحدد قوة الحجة. وأمثلة النصوص في هذه الحجة مثلا: النصّ القرآني – السنة – أقوال الصحابة والتابعين – أقوال الحكماء والعقلاء .... وقد يطلق على هذه الحجة أيضا مصطلح حجة السلطة إذا كانت الحجة تمثل سلطة إجماع الفقهاء أو الأئمة أو العلماء.

-الحجة الواقعية : وهي الحجة التي تكون استعراضاً لمجموعة من العلاقات أو الأعمال التي تميّز واقعاً اجتماعياً أو حضارياً أو تاريخياً أو دينياً أو سياسياً ما . وقد يعتمد المحاج في إيراد هذه الحجج على نمط السرد أو الوصف كأن يروي أحداثاً ما أو يرسم ملامح صورة معيّنة.

-حجة المثل: وهي الحجة التي تقوم على التمثيل بمثل مسرود عادة ما يكون استطراداً ،أو تقوم على ذكر مثل سائرمن أمثال العرب المعروفة والشائعة.

وظائف الحجج :

يمكن إجمال هذه الوظائف في ثلاث وظائف رئيسة:

1- الإقناع : أي حمل المتقبل على تبني الأطروحة المدعومة ويكون ذلك باعتماد حجج عقلية ومنطقية و واقعية.

2- حمل المتقبل على تصديق الأطروحة المدعومة: وذلك بمخاطبة الرغبات والعواطف فيه (إذ أن اللغة تنهض بوظيفة تأثيرية) وتسمي هذه الوظيفة وظيفة نفسية.

- الدّحض: ويتمثل في نقض أطروحة الخصم عبر الكشف عن عيوبها وإثبات عدم صحّتها بحجج مختلفة.

تشترك هذه الوظائف في كونها تمثل دعوة إلي تغيير موقفاً أو رأياً أو إنجاز عملاً ما .

- شروط نجاحها:

-انتقاء الحجج حسب ملاءمتها للأطروحة، وحسب الوظيفة التي ينهض بها الحجاج، وحسب تلاؤمها مع المقام

(حالة المتقبل) بمعني العلاقة بين(الطرفين) المتقبل والمخاطب.

-انتقاء الأساليب والصيغ التعبيرية التي تسهم في تقوية الحجة، وما يظهر من عبارات تتدخل في تحديد العلاقة بين الطرفين، والسعيّ إلي إحكام الترابط بين وحدات النص الحجاجي

دوافع الخطاب الحجاجي: هو الإقناع لذلك لا بد من الوعي بآليات من شأنها تحريك المعنيين بالكلام صوب الفعل وتغيره بما ينسجم مع المقام، (وتتصل مقاصد النص وطموح الخطيب (الكاتب) بوصفه حاملاً لرؤية معينة يسعى الى إرسالها أو جعلها داحضة في مواجهة حجج أخرى مناوئة)(1).

---

(1) محمد سالم ولد محمد الاسيف : مفهوم الحجاج (بيرلمان وتطوره في البلاغه المعاصره) عالم الفكر ،يناير ومارس 2000م ص23

1. **الانماط الحجاجية** (1)

وأهم أسسها :

أ- المقدمة.

ب- السرد (الحكي) وفيه تقدم الوقائع إلى القارئ أو المستمع تقديماً مركزاً واضحاً ومقبولاً.

ت- النهاية تضم ملخصاً موجزاً للبرهنة

وللحجاج طريقتان:

أ- الطريقة الظاهرية : يعرض المحاور شواهد من أقوال غيره من نقل وتضمين وحكاية وشرح . الطريقة الباطنية ينشئ بها الكاتب نصه عبر نصوص سابقة مماثلة او مباينة ويفتح بها آفاق نصوص أخرى مكملة أو مبدلة . (2)

الخصائص الحوارية للخطاب الحِجاجي

تعد الحوارية من أهم مستويات تجلي البُعد التداولي للخطاب الحِجاجي، وهي العلاقة التخطابية بين المُخاطَب والمُخاطِب والتي تتغير فيها الإدعاءات في ظاهرتي :

أ- التشخيص: وهي خاصية تلفيظية تتميز بحدة العلاقة الخطابية مع الشريك أكان حقيقياً او متخيلاً، فردياً او جماعياً: أي هو تجريد ذات ثانية ينزلها المخاطب من نفسه منزلة المعترض على دعواه وهو نوعان صريح وضمني.

ب- المقام: يدل على الموقف التواصلي، وتلتقي فيه جميع العناصر الحِجاجية من مقدرات برهانية وحقائق فعلية وافعال توافق الحال وهذا ما كان في مراسلات الدفاع(3).

استراتيجية بناء النص الحجاجي

تعد البرهنة منطلقا استراتيجياً في بناء النص الحجاجي، وهي وان كانت لا تخلو من الذاتية فأنها توظف عمليات عقلية ينتقل بها الفكر من قضية إلى أخرى. وتتجلى في الاستقراء وهي عملية عقلية ينتقل فيها الفكر من التخصيص إلى التعميم، وإلى استنباط ما هو كلي القياس. وهو عملية ينتقل بها الفكر من التعميم إلى التخصيص اي إخراج الجزئي مما هو كلي لاستدلال الجدلي، وهو حركة فكرية تنتقل من الأطروحة إلى نقيضها ثم إلى نقيض النقيض.

الاستدلال السببي وهو حركة فكرية تقوم على ربط الأسباب بالمسببات. (4)

آليات الخطاب الحجاجي

للخطاب الحِجاجي آليات يجب أن تتوأفر حتى يتحقق غرضه :

---

(1) https://ar.wikipedia.org/wiki/

(*) نقول السلم الحجاجي لان هناك تدرج في عرض الحجج

(2) محمد سالم ولد محمد الامين : المرجع السا، ص72

(3) هاجر مدقن : المرجع السابق ،ص 191

(4) https://ar.wikipedia.org/wiki/

1- المقدمة.

2- المناظرة : و هي كل خطاب استدلالي يقوم على المقابلة والتفاعل الموجه .

من شروطها العامة :

1- وجود متناظرين

2- وجود دعوى أو ادعاء

3- لا بد من عجز أحد المتناظرين أو غلبة اطروحة على اخري بناء على قوة السلم الحجاجي (اي التدرج في طرح الحجج). ويتبين من خلال هذه القواعد الشكلية للمناظرة وجود المفاهيم المرتبطة بالحجاج هي:

1. الادعاء : ويسمى عرض الدعوى.
2. المنع : وهو الاعتراض على الدعوى.

التدليل : ومن أهم شروطه صدق العرض والمعترض فيما يدعيانه.

ومن آليات الحِجاج أيضاً:

- الأخبار: من الخبر وهو ما يصح أن يدخله الصدق أو الكذب وهو لفظ يدل على علم في نفس المخبر.
- التفسير: يحتاج الموضوع الذي يطرح اشكالية أو قضية كما هو الشأن في المناظرة أو الخطبة في إنجازه إلى اساليب للتفسير لهم في توضيح أبعاده ودلالته وتجعل المتكلم قادرا على الشرح والتوضيح لخصمه، أو من يناظره لغرض الإقناع وأهم اساليبه التعريف، الوصف، المقارنة والسرد.
- الإقناع : تستخدم حجج وبراهين للدلالة على صحة الموقف الذي يدافع عنه المتناظرون والخطيب اعتماداً على أدلة ملموسة من الشواهد أو أدلة تعتمد على مبادئ منطقية. وللاقناع ضوابط بدونها لا يحصل التسليم بالرأي. (1)

القسم الثاني : نماذج تطبيقية للمراسلات السناريه

1- وصف وثائق المراسلات السنارية :

عند دراسه أي وثيقة، سواء كانت مرسلة، أو هي جزء من عمل إداري أوغير ذلك من أنواع الوثائق ، لابد من عرض الشكل العام لها، والتعرف على لغة الكتابة، ومن ثم التعمق في المحتوى، وتكاد تتفق رؤية الورقة مع وصف محمد ابراهيم ابو سليم للوثائق السنارية.

---

(1) نفس المرجع .

أولاً: الشكل العام لوثائق المراسلات

ستقوم الورقه بعرض الشكل العام لوثائق المراسلات، وحسب المتوفر من وثائق بنصها الكامل هي وثائق حِجاج الارض. ورغم انها وثيقة تمليكية إلا أن الورقة تعدها رسالة لتوفر أسس الخطاب المرسل فيها من (مرسل ومرسل إليه).

وأول وثيقة مكتوبة في السودان كتبت في شكل معاهدة مع الدولة الاسلامية أتخذت شكل الرسالة وهي هدنه البقط (1) فقد اتخذت شكل المكتوب المرسل إذ توافرت فيها عناصر الرسالة وهي :

1- الركن الأول : من عبدالله بن ابي السرح .
2- لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته
3- الموضوع
4- تحديد موقع تنفيذ البنود
5- الكاتب
6- التاريخ(2)

تبدأ الوثيقة دائماً بالبسملة (باسمك يا كريم .بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الحمد لله الذي بلغ الرسول ونحن آمنا بما يقول). وهناك من يضيف للبسملة (الحمد لوليه. والصلاة والسلام على نبيه). ويلي البسملة الختم ويعد من إمارات الإثبات الدالة على صحة الوثيقة ومفعولها القانوني. وهذا الابتهال شبيه بالصفات التي يذكرها السلاطين في التعريف بأنفسهم، ولكن نص الابتهال نفسه لا يرد في التعريف إلا نادراً.

ويلي الابتهال إسم السلطان ومعه الالقاب مثل: (الواثق بالله العزيز الجبار) (المتوكل على الله).(الواثق بالملك الهادي) . وبعد ذلك تظهر صفه الوثيقة أو موضوعها (إن كانت لها صفة قانونية أو هي وثيقة اخبارية) وهنا يظهر الراسل والمرسل إليه. ويلي صفة الوثيقة ذكر المكان الذي تم فيه العمل الوثيقي الذي تصفة الوثيقة ولا يذكر المكان إلا في وثائق التمليك.ويلاحظ أن بعض الوثائق قد نصت على الأماكن التي حررت فيها الوثائق كقولهم مدينة سنار أو بندر قرى، في حين ان بعضها قد ذكرت بطريقة مبهمة كقولهم بنواحي قرى أو الديار الفنجية أو لدى شيخ قري. وقد أسقطت بعض الوثائق اسم المكان الذي حررت فيه . ويبدو من هذا أن السلطان أو الوزير أو الشيخ كان ينص على المكان إذا كانت الكتابة قد تمت في مقر الدولة أو العاصمة التي يقيم فيها، أما إذا تمت في مكان آخر فإنهم يغفلون ذكره أو يشيرون إليه باشارات عامة.

---

(1) لمياء دفع الله مصطفى : النظره الموضوعيه لهدنه البقط على الدوله النبويه ، ورقه قيد التحكيم

(2) مخطوطات 56/7/1. مخطوط يوضح علاقة عبد الله بن أبي السرح بالرسول صلى الله علية وسلم (دار الوثائق القومية) الخرطوم

ويلي المكان ذكر وصفه. ويوصف المكان بالمحروسة المحمية سواء كان سنار أو قرى أو غيرهما. ويلي ذلك الدعاء للمكان، ونص الدعاء في كل الوثائق نص واحد وهو(أجلها الله تعالى لدا متوليها) . وهذا الدعاء يعتبر معبراً يعبر به الكاتب من ذكر المكان إلى التعريف بمحرر الوثيقة. وقد يسقط الدعاء في بعض الاحيان.ويلي ذلك ذكر الشهود. ويمكننا أن نعتبر ذكر الشهود جزءاً من ملحقات العمل القانوني، لان الشهود يشهدون على الفعل القانوني وتحريره، ولان الفعل القانوني نفسه لا يتم الا بذكرهم. ويمكننا أيضاً أن نعتبر ذكرهم جزءاً من الأجزاء الختامية التي تعطي الوثيقة احدى المقومات التي تدل على صحتها، وبالتالي فإن وظيفة الشهود مشتركة بين ملحقات الفعل القانوني وبين الاجزاء الختامية. ولكن ما هو الدليل على أن هؤلاء الشهود قد شهدوا الواقعة فعلاً؟ ليس هناك دليل مادي صادر من الشهود أنفسهم وانما الدليل هو كون الوثيقة نفسها صادرة من جهة رسمية.(1) وهذا الشكل لوصف الوثيقة يحتاج للمزيد من التحليل وهذا ماستتطرق له الورقه في دراستها .

ثانياً : **اللغة**

تطرقت الورقة لمعرفة اللغة في الوثائق لانها تحمل دلالة لمعرفة المستوى العلمي والمعرفي مع ملاحظة أن هذه الوثائق صادرة من جهة رسمية ولابد ان يكون الكُتاب من أعلى الدرجات العلمية. ما يلاحظ أن بداية الوثيقة تحمل استهلال بلغة عربية فصحى، الا ان بعض الوثائق وعند عرض الموضوع تستخدم اللغة الدارجة والمثل على ذالك : (اما بعد فيسلم عليهم الشيخ / محمد جزيل السلام ويقول لك سبب الجواب ليك / من جهت دار ناس الفقيه السيد الكريده / الفقيه السيد انت عارفه صاحبه وفي بطن بيته /ذا الحين قوم بنفسك وامنع الدليباب منها /ونكان اخدو فيها فرد محلق اخده منهم ورده / لي سياده ولا تتهاون بامرهم انا ما بلوم زولا ....). (2)

بنية الملفوظ الحِجاجي في الوثائق السنارية

حاولت هذه الدراسة ابراز الوظيفة الحجاجية التى تحتويها الخطابات المختارة فكان الحِجاج المتبع في التحليل هو حجاج لغوي بالدرجة الاولى، فرصدت بعض الظواهر اللغوية. ويختلف باختلاف المناسبة منها ما كان يعتمد المناظرة لاثبات حق او ضحد فكرة، ومنها ماكان قانوني لردع مدعي وثبات حق، ومنها ما كان ملفوظ ولكن كل الملفوظ الحجاجي يعتمد على نقطة مهمة وهي الاعتماد على عنصر اللغة بقصد التاثير في الطرف الاخر. وقبل الخوض في الخطاب الحجاجي هنا يكمن تساؤل: هل كل خطاب يجب ان يحمل الصفة الحِجاجية؟ ليس بالضرورة ان يكون كل خطاب يحمل صفة الحجاج الا انه ربما حمل وصف يستند عليه لاحقاً لا ن يكون بنية حجاجية.

---

(1) محمد ابراهيم ابو سليم : الفونج والارض (وثائق تمليك) شعبة ابحاث السودان بجامعة الخرطوم 1967م مطبعة التمدن بالخرطوم ، ص18.22

(2) محمد ابراهيم ابو سليم واسبولدنق، مرجع سابق، الوثيقة التاسعة عشر، ص 37

أولاً: حِجاج عمارة دنقس

يظهر الخطاب الحِجاجي في المراسلات التى كانت مابين الملك عمارة دنقس والسلطان سليم الذي كان قد دخل الحبشة بقصد الزحف منها على سنار، فخاطب ملكها يدعوه الى الطاعة فاجابه عمارة دنقس بالاتي : (إني لا أعلم ما الذي يحملك على حربي وامتلاك بلادي فإن كان لأجل تأييد دين الاسلام فإني انا واهل مملكتي عرب مسلمون ندين بدين رسول الله ، وإن كان لغرض مآدي فاعلم أن اكثر اهل مملكتي عرب بادية وقد هاجروا إلى هذه البلاد في طلب الرزق ولاشئ عندهم تجمع منه جزية سنوية)(1) هذه الرسالة لم يصل نصها كاملاً ،ولا يعرف كيف كانت مقدمتها، وتفاصيل الموضوع حتى تسقط كل الأُسس الحِجاجية عليها ومن ثم قياس مدى تحقق الخطاب الِجاجي عليه .

كل ما وجد في بداية هذه الرسالة هو استفهام استنكاري (اني لا اعلم ما الذي يحملك على حربي وامتلاك بلادي) وهذا الاستفهام الاستنكاري يختلف في أهم جزء من انماط الحِجاج، وقد اختزل عماره دنقس كل مايرد في تلك الانماط من تقديم للوقائع تقديماً مركزاً واضحاً ومقبولاً، على اعتبار أن تلك الوقائع معروفة للطرفين الراسل والمرسل إليه.

ثم اتجه عماره دنقس في خطابه لإستقراء واستنباط اسباب غزو السلطان سليم لسنار كواحدة من استراتيجيات النص الحجاجي، وتقديم الدفوع ضد ماذهب اليه من اسباب مستنبطة، ووضع الخيارات التي توقعها، وقدم تفنيد لكل سبب استقراءه من خلال التوقع. ويظهر ذلك في قوله: (فإن كان لأجل تأييد دين الاسلام) هذا احد الاسباب المحتملة . ثم الحقه بتقديم الحُجة (فإني انا واهل مملكتي عرب مسلمون ندين بدين رسول الله) .الاحتمال الثاني (وإن كان لغرض مآدي) ايضاً الحقه بتقديم الحُجة (فاعلم أن اكثر أهل مملكتي عرب بادية وقد هاجروا إلى هذه البلاد في طلب الرزق ولاشيئ عندهم تجمع منه جزية سنوية). فان الدفوع التى قدمها عمارة دنقس حملت كل الصدق ، وقدم حقائق عن وجود العنصر العربي في دولته . فان قدوم العرب إلى سنار يؤكده اكثر من مصدر تاريخي، فان العرب تكاثروا إلى بر السودان لاجل تتبع الخصب ، واغلبهم من حمير وربيعة وبنو عامر وقحطان وكنانة وجهينة وبنو يشكير وبنو كاهل وبنو ذبيان وبنو عبس (2) . كما أن ابن خلدون قد تطرق لذلك الامر بقوله (ثم انتشر احياء العرب من جهينة في بلاد النوبة واستوطنوها وملأوها عيباً وفساداً وذهب ملوك النوبة لمدافعتهم (أي مدافعة العرب) ، فعجزوا وصاروا إلى مصانعتهم بالصهر فافترق ملكهم وصار لبعض جهينة من أمهاتهم لأن أمهاتهم من بنات ملوك النوبة على عادة الاعاجم في تمليك الاخت وابن الاخت فتمزق ملكهم واستولى اعراب جهينة على بلادهم) . (3)

---

(1) نعوم شقير: جغرافية وتاريخ السودان ، (تحقيق فدوى عبد الرحمن علي طه) ، دار عزة للنشر والتوزيع _ الخرطوم _ السودان ، ص388

(2) م مخطوطات 1795/107/1 مخطوطه كاتب الشونة .(نسخة اركل احضرها بروفسر أ وفاهي. (دار الوثائق القومية الخرطوم، ص 4

(3)**ابن خلدون** _ تاريخ ابن خلدون " العبر" دار الفكر، بيروت الثانية، 1408 هـ - 1988 م

ويقرأ من حِجاج عماره دنقس الاتي :

1- ان هذا المكتوب لم يكن خطاب مقصوداً لذاته أو مباشر وإنما كان رداً على مكتوب بعثه السلطان سليم لعمارة دنقس .

2- راعى عمارة دنقس شخصية المخاطب (سلطان بلاد المسلمين).

3- قدم عمارة دنقس -الحجة المنطقية : وهي الحجة التي تبني على أساس الرّبط بين الاسباب والنتائج أو على أساس القياس ، و يعوّل في هذه الحجة على العقل والمنطق في الإقناع .

ويمكن القول أن عمارة دنقس قد راعى كل الاسس التى يجب أن تكون في الخطاب الحجاجي رغم أن الرد الوارد في الخطاب غير مكتمل الا أن عمارة دنقس لم يشر إلى استخدام قوة وانما اشار إلى الاسباب ونتائجها فدفع بتفنيد الاسباب اتقاء شر النتائج وهو الغزو. كما استطاع انتقاء الحجج حسب ملائمتها للأطروحة وحسب الوظيفة التي ينهض بها الحجاج و حسب تلاؤمها مع المقام وكان صاحب المقام هنا سلطان الدولة العثمانية .

اذاً الدفوع التي قدمها عمارة دنقس للسلطان سليم بنيت على عدة أسس هي كالاتي:

1- أن البلاد المستهدفة (سنار) دولة اسلامية

2- انهم عرب

3- السبب المادي ان بلاده فقيرة وان هؤلا العرب مهاجرون لطلب الرزق .

ولم يكتفي عمارة دنقس بأن جاء بكل تلك الحِجج اللفظية وإنما دعم ذلك القول ببرهان عملي ودليل مادي بأن أرسل كتاب انساب قبائل العرب والذي جمعه له الامام السمرقندي(1) ويقال وهنا اسئلة تطرح هل هذا الحِجاج الذي جاء في خطاب ورسالة السلطان عمارة دنقس اقنع السلطان سليم وهل هذه الدفوع المقدمة كافية لرده ؟؟؟

وتاتي الاجابة من اشارتين :

الاولى: انه قفل راجعاً وقد كان مستعداً للحرب

الثانية: يقال انه اعجب بالكتابين في اشارة لمكتوب عمارة دنقس. وربما كان سبب الاعجاب الدفوع التي قدمها عمارة دنقس فربما شابه شئ من الطمانينة على حدود دولته مع سواكن غرباً ومع مصر جنوباً، اما الكتاب الاخر هو انساب العرب ربما كان تاكيد على صحة صدق المعلومة التي اوردها عمارة دنقس).

ثانياً: حجاج محمد ود عدلان

بنية الملفوظ الحجاجي لرد محمد ود عدلان على اسماعيل بن محمد علي باشا

عند غزو السودان. وقد سار اسماعيل باشا بجيوشه واخضع عدد من المناطق. وجه محمد ود عدلان وزير السلطان بادي خطاب الى الجيش الغازي مخاطباً فيه اسماعيل باشا قائد الحملة قائلاً له (لا

---

(1) نعوم شقير: جغرافية وتاريخ السودان ، (تحقيق فدوى محمد ابراهيم ابو سليم) مرجع سابق، ص200

يقرنك انتصارك على الجعليين والشايقية فنحن الملوك وهم الرعية اما بلغك أن سنار محروسة محمية بخيول جرد ادهمية وقواطع هندية ورجال صابرين على الموت بكراً وعشية)[1]

كما هو الحال في خطاب عمارة دنقس كان المكتوب ناقص ولم يعرف بدايته إلا أن الراجح انه قد بدأ بالبسملة لانه قد ورد في مخطوط مورد الظمان لمؤلفه محمد ود عدلان وهو احد المؤلفات السنارية والذي يذهب فيه إلى أن (كل أمر لايبدا فيه بسم الله فهو اقطع وفي رواية ابتر وفي رواية اجذب وكلها بمعنى ناقص اي عايب)[2]

ويُجهل الطريقة التي خطاب بها محمد ود عدلان اسماعيل باشا وباي لقب خاطبه، الا أن ماوجد في الخطاب يدل على أن اسلوب الخطاب جاء شديد اللهجة في واحدة من مقاطعه (لايغرنك انتصارك على الشايقية والجعليين فنحن الملوك وهم الرعية). يحمل الخطاب صفات معنية لذاتها للتاثير على افكار المتلقي ومن ثم الخروج بنتيجة التاثير عليه بترك ما يدور بخاطره. فقد أشار لاسماعيل بصفة الغرور ولاهل المناطق المخضعة بأنهم رعايا وان ود عدلان من زمرة الملوك. فقد استعمل محمد ود عدلان الاسلوب الحِجاجي التوجيهي من ضرورة مراجعة نفسه، وان لا يغتر بفرحة بلانتصار على الشايقية والجعليين. واستعمل دليل قطعي على ذلك بان اوضح نحن الملوك وهم الرعية، اذن لا يجب على الغازي الاستهانة بتقدمه لانه لاتوجد مقارنة في امر السيادة والخضوع ودرجة المقاومة ما بين الرعية والملوك.

ثم قدم محمد ود عدلان حُجة استخدام القوة بناءا على اسس بُنيت على خلفية معرفية لمكونات الجيش الفونجاوي المؤسس من (الخيالة ذووا الاسلحة الثقيلة وهي عبارةعن قميص من الحديد وخوذة من النحاس ورمح وسيف عريض (هو القاطع الهندي) ودرع بيضاوي الشكل. وكان معظم هؤلا الجنود من السود (رجال صابرين على الموت بكراة وعشية) وكانوا يمتطون صهوات جياد سوداء (خيول جرد ادهمية) اشتهرت بأصالتها وقوة احتمالها (3) .هذه الصورة الذهنية عند محمد ود عدلان هدف إلى أن يعكسها ويوجهها في كلمات إلى اسماعيل باشا (المتلقي) . ويهدف بخطابه الى تخويف المتلقي والتأثير فيه وإقناعه بافكاره ومواقفه . وقد تنوع سلم الخطاب والملامح الحِجاجية في بنية الملفوظ. فقد وظف محمد ود عدلان كل مالديه لتحقيق هدفه بشتى الوسائل من آليات لغوية ودلالات لفظية تحمل اشارات تؤدي غرضه، كما ساق عدد من الادلة التي تؤدي غرضها باسلوب حجاجي يحمل معنين (الأسلوب التخويفي وفي ذات الوقت التحدي) والمراد هدف واحد هو رد الغازي عن دياره . والالفاظ المستخدمة في النص تشكل الخلفية الثقافية المشتركة من الخطيب (محمد ود عدلان)، واسماعيل باشا (المتلقي)

---

(1) نعوم شقير: جغرافية وتاريخ السودان، (تحقيق فدوى عبد الرحمن علي طه) ، دار عزة للنشر والتوزيع _ الخرطوم _ السودان ، ص388

(2) مخطوطات 1/ 1435/87 شرح مورد الظمان لمحمد ود عدلان (دار الوثائق القومية. الخرطوم)ص2

(3) نعوم شقير: جغرافية وتاريخ السودان ، (تحقيق محمد ابراهيم ابو سليم) ص106

على اعتبار أن الرجلين على علم بالمجال الحربي ويدركان ما أورده محمد ود عدلان من وصف لجيشه، إذاً استحضار تلك الالفاظ والمسميات لها تاثيرها الخاص في المتلقي.

أشار محمد ود عدلان للمناطق الواردة في خطابه باسماء قبائلها (الشايقية، الجعليين) ولم يشر اليها بمسمياتها (كورتي) و(المتمة). وعلى ما يبدو من هذه الإشارة أن محمد ود عدلان كان على درجة من الثقافة الإسلامية لأن الرسول ﷺ كان قد حذر من ذكر البلدة أو الديار التي ينتمي اليها وانما يذكر القبيلة والنسب.

لم يعدم اسماعيل باشا ايضاً خطة الحِجاج والبرهنة والاستدلال لانه وكما وردت الاشارة اليه في بداية الورقة ان الحِجاج يمكن أن يكون دلالي غير ملفوظ ويحمل اشارة برهانية غير منطوقة وانما يكون حِجاج معنوي وهو ما كان في قدوم حملة غزو لسودان من قبل اسماعيل باشا. فقد كان في معية الحملة عدد من العلماء هم (القاضي محمد الاسيوطي والسيد أحمد البقلي مفتي السادة الشافعية والسيد أحمد السلاوي مفتي السادة المالكية) (1) ووجود العلماء في صف أحد الجيشين لابد أن يؤثر في نتيجة المواقف للطرفين حتى ولو لم يفتي اولئك الشيوخ فان وجودهم في صف القائد الغازي يعتبر اقرار ضمني بشرعية الغزو.

ثالثا :حِجاج الارض(التملك)

تظهر وثائق التمليك بصورة مكتملة بناءا وتحريراً ،وتاخذ نفس الطابع العربي الاسلامي الذي تأخذه الوثيقة في بلاد العالم العربي الاخرى . وهذا يعني أن كتابها كانوا على دراية تامة باصول كتابة الوثائق وشروطها . وهذا يدعونا الى ان نسال من اين لكتاب الفونج والفور بهذه الدراية وهذه المعرفة؟(2) بالرغم من هذا الاستفهام الذي طرحه محمد ابراهيم ابو سليم الا ان هناك خلفية للتعامل مابين بلاد الاسلام وحكام بلاد النوبة مع الحكام العرب طيلة سبع قرون، وكانوا يؤدون (جزية هدنة) البقط، وعند التسليم لابد من ان تكون هناك إجراءت ديوانية توضح الاتي:

- عدد الزنوج المرحلون للدولة الاسلامية
- من الذي يقوم بعملية التسليم هل هو وزير، أم أنه احد افراد البلاط، أو موظف في الدوله؟
- لمن يسلم هذا العدد؟
- كيف يستلم النوبه مانصت عليه شروط الهدنه من حبوب لبلاد النوبة؟
- هل هناك مكتابات عند التسليم والتسلم؟

رغم ان المعلومات عن هذه التساؤلات غير متوفرة إجابتها الاان فرضياتها تشير إلى أن هناك تعامل رسمي في أمر التسليم والتسلم.

---

(1) مخطوطات 1795/107/1 كاتب الشونه (نسخة اركل)، ص478 دار الوثائق القومية الخرطوم ونعوم شقير: جغرافية وتاريخ السودان ، (تحقيق محمد ابراهيم ابو سليم) ص105

(2) محمد ابراهيم ابو سليم : الختم الديواني في السودان مرجع سابق ، ص36

كما يمكن أن نلمح بعض الارهاصات التي تدل على النظام الديواني لم تكن معرفته صعبه تظهر تلك الارهاصات في الاتي :

1- عند زيارة ملك النوبة للعراق في عهد الدولة العباسية امر المعتصم بان يشترى داراً تكون لرسلهم واجرى لهم في ديوان مصر سبعمائه دينار ....الخ (1)

2- انشأ السلطان بيبرس من اجل ذلك ديوان خاص اسماه " ديوان النوبة " يشرف عليه الصاحب بهاء الدين بن حنا الوزير (2)

مما سبق يوضح أن هناك تعامل مباشر مع النظم الديوانية فلا بد من أن تتاثر بالنظام الديواني الاسلامي .

ويمكن قراءة الخطاب الحِجاجي في وثائق سلطنة سنار في حَجج الارض وهي اكثر الوثائق السنارية تداولاً منها ما سمي ب(وثائق الكدرو) ولا تبتعد الاركان التي تؤسس عليها قراءة الحِجاج في وثائق سنار عن تقسيم محمد ابراهيم ابو سليم(3) لوصف التوثيق عند الفونج في كتابه (الفونج والارض) كما سبقت الاشارة اليه. وتتخذ حُجة الارض الصادرة من السلطان بادي الدكين بن السلطان بادي عن اقطاع ارض عام : 1206هـ (4) نموذجاً لاجراء القراءة عليها فقد جاءت اركان تلك الحُجة التمليكية كالاتي :

1- تعريف الوثيقة بنفسها.

عرف المكتوب بنفسه إذ جاء في اول الوثيقة (حُجة سلطانية ووثيقة مملوكية بمدينة سنار المحروسة المحمية أجلها الله تعالى)) (5) .وهذه اول خطوة في حِجاج التمليك توضح انها صادرة من جهة رسمية وجهة الاصدار (الدولة. المملكة . المدينة).

2- الصفة الرسمية للحُجة

كما اوضح المكتوب حُجة المانح واطالت في وصفه إذ جاء فيها (اجلها الله لدى متوليها سلطان المسلمين(6) ، وخليفة رب العالمين ،القائم بامور الدنيا والدين ،المنتخب لصالح المسلمين، وناصر

---

(1) ج. فانتيني : تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة (والسودان الحديث) الخرطوم 1978م ص 353

(2)القلقشندي – صبح الاعشى دار الكتب العلمية، بيروت

(3)محمد ابراهيم ابو سليم : الفونج والارض مرجع سابق ، ص 24.27

(4) محمد ابراهيم ابو سليم : الفونج والارض ، سبق ذكره ،ص18 ومابعدها

(5) متنوعات / مخطوطات 15/3/1 وثيقة صادرة من السلطان بادي الدكين بن السلطان بادي عن اقطاع أرض : 1206هـ

(6) جاءت كلمه السلطان أصطلاحاً لقب الذي يحكم في ولايته حكم الملك، ويكون رئيساً للامراء وله من العسكر مايزيد عن عن عشره الف فارس، ويشترط فيه أن يخطب له له في ممالك متعدده لايق السير في عرضها عن ثلاث ايام، ولايزيد عن ثلاث شهور واول من حمل هذا اللقب من المسلمين : آل بويه ، في العصر العباسي ، وعنهم اخذه السامانيون والغزونيون والسلاجقه ثم الايوبيون والمماليك ثم العثمانيون فيما بعد . وعقب هذا الاتساع انتقل إلى

شريعة سيد المرسلين ،وناشر لواء العزل والفضل على كافة العالمين، من اصلح الله به العباد، وانار به البلاد، أهل الكفر والمكر والعناد، وأهل الظلم والفساد، ورحمت الله سبحانه وتعالى (ـ)الهادي السلطان ابن السلطان المظفر المعان بادي بن المرحوم دكين بن السلطان بادي نصره الله الرحمن الرحيم ،بجاه القراءن العظيم ،والنبي الكريم ، آمين آمين آمين يارب العالمين).

3- توجيه المكتوب

وقد وجه المكتوب إلى (كل من حضرت هذه الوثيقة والناظر لما فيها من الحقيقة). إذاً في صفة توجيهه المكتوب ايضاً حملت حُجة اذ وجهت ألى الحضور ممن كان موجود .وهي ايضاً موجهة لكل شخص يراها بعينه سواء كان قد رأها مصادفة او من ابرزت له كدليل على من يدعي ملكيتها ، وفي غير هذه الوثيقة يدعم مبرر كاتبه حِجج الارض بقوله (مكر الانسان) (1) أي أنها كتبت خوفاً من مكر الانسان وإدعاء ملكيتها.

4- تعين حُجة المنح

(فإن السلطان المحفوظ المبرور المؤيد المنصور السلطان بادي اعطى وامضا امضاء(2) تاماً للشيخ عوض الكريم ابي سن بن علي أبي علي بن محمد الاديغم شيخ قبيلة الشكرية).

5- تعين حُجة المكان الممنوح

حددت وثائق التمليك مكان وحدود المكان الممنوح من غير تحديد المساحة (أطيان مطرية وجربة). تحديد مكان المنحة مثل ما جاء في الحدود الاتية (بشرق بحر العاديك وشرق الرهد ،وهي ارض واسعة حدودها من الصعيد عين اللوبقة ،ومن الصباح بحر اتبره لغاية الشريف حسب الله ،ومن الغرب السافل أطيان الشيخ الصالح على ابو دليق والشيخ الصالح حسن ولد حسونة ،ومن الغرب الساحل الشرقي من بحر العاديك وبحر الرهد ،ليعمر فيها قبيلة الشكرية وغيرهم ممن يختاره وينتفع باخذ خراجها منها ويخرج من داخل تلك الحدود).

إلا أن هناك بعض المنح يمكن أن يحدد الباحث مساحتها إن إستطاع معرفة ما جاء في الوثيقة من مقاييس مثل الدار التي منحها الشيخ محمد الأمين (صدقة جارية إلى الفقيه محمد بن الفقه السيد دوليب

الهند فتقلب به امراء الدولة الاسلاميه هناك ، ثم انتقل به رؤساءالمماليك والامارات الافريقيه . (انظرمصطفى عبد الكريم الخطيب : معجم المصطلحات والالقاب التاريخيه ، مؤسسه الرساله للنشر بيروت .لبنان .1993م ص256)

(1) متنوعات / مخطوطات 15/3/1 وثيقة صادرة من السلطان بادي الدكين بن السلطان بادي عن اقطاع أرض : 1206هـ

(2) الامضاء المراد هنا هو الاقرار والموافقة على ماجاء فيها.

وتلك الصدقة ثلاثين عود في مرن الضناقلة ..... وذراعها ابو ثمانية اذرع) (1) . ويمكن أن تحدد مساحة الارض عندما ندرك اي نوع من انواع الازرع (2)

6- شروط حُجة المنح

ويختلف المنح في شروطه إذ تكون بعض المنح مشروطة بنوع المَنح .والمثال على ذالك الوثيقة موضع الدراسة كما جاء فيها :

(أن ينتفع بأخذ خراجها منها.....).ثم اشارت الوثيقة إلى (وظني العبدلاب فقط اعطاءنا جزاله ولذريته ولذرية ذريته إلى ماشاء الله لاينازعهم فيها منازع في أرضهم فيها معارض ،ومن يعترض له بعد وثيقتي هذه فقد عرض نفسة للهلاك والحذر ثم الحذر من المخالفة لايلوم الانفسه) .يتضح أن شرط المنح هو الاستفادة من خراجها وملكيتها بالتوريث. ولم تشر الوثيقة إلى اي استثناءت أخرى أي ان تطبق عليها كل القوانين. وهناك نوع من الوثائق تكون شروط المنح مستثنية لصاحبها بخصوصية وتحمي صاحبها من أي ضرائب او عوائد او اي اجراءت ادارية يمكن ان تمنع خالص عطاءها للممنوح كما جاء في الوثيقة التالية (سالمة مسلمة من جميع الشرور والسبل والمضار لا عليها دم و / ولا حسب ولاعلوق ولانزول ولاتورث ولاكليقة ولا مخلا ولا سنسنة ولاعاده ولا عانه ولا سبلة من السبل حجر دارهم عندهم في إيدهم ...) 3)

7- حُجة الشهود

وتحمل الوثيقة اسماء الشهود ومناطقهم وتلمح لوظائفهم ويتضح ذلك في الوثيقة موطن الدراسة :

(حضر ذلك وشهد به الوزير الشيخ ناصر بن الشيخ محمد أبو لكيلك والامين الشيخ هارون ولد يونس والجندي علي ولد شوال جندي السوق والشيخ الصباب ولد عبد الرازق شيخ حوش خال الملك والشيخ بادي ولد مسمار شيخ قري والشيخ عمر جور ولد حمد الزير شيخ التاكا والشيخ عجيب ولد (هاكيث) شيخ اتبره والشيخ ابراهيم ولد عبد العاطي شيخ بليه والشيخ صباحي ولد عدلان شيخ البحر والشيخ على ولد النور شيخ كردفان والشيخ قاسم ولد إدريس ولد نايل مقدم السواكن والسلطان عبد الله ولد السلطان مدني ولد شنبول شيخ أربجي والشيخ على ولد محمود شيخ القوارير والمؤذن عثمان خضر إبراهيم يعقوب حميرا وكفى بالله شهيدا).

---

(1) متنوعات (مخطوطات) 14/3/1 وثائق الفونج : الوثيقه الخامسه

(2) التي استخدمها الفونج ومعرفه طول العود المشار اليه لان العرب لان هناك الازرع التي عرفت في العصر الاسلامي ، منها انواع مختلفة من حيث الطول ، اشهرها الذراع الهاشميه طولها 64سم او 32اصبع والذراع المعماريه طولها 75سم ، والذراع البلديه طولها 58سم . ا(نظر مصطفى عبد الكريم محمد : معجم المصطلحات والالقاب التاريخيه . مرجع سابق ، 192)

(3) مخطوطات 14/3/1 وثائق الكدرو ، دار الوثائق القومية ص 1

وما يلاحظ في أمر الشهود أن هناك حشد منهم أي أن أعدادهم تتفاوت مابين الـ 19(1) شاهد . وهناك وثائق يصل عدد الشهود فيها إلى 22 شاهد (2) . وهذا العدد الكبير من الشهود بمثابة إعلان عن هذه المنحة كما يعتبر حُجة قوية لحفظ حق الممنوح من مكر الانسان مع ملاحظة تنوع مناطق هؤلا الشهود . وتشير اخلاص مكاوي (3) بأنهم شهود عدول ** (4) وهو لقب اتصل بوظيفة دينية في العصر المملوكي والعثماني كان متولوها يجلسون حول القاضي حسب مراتبهم في العدالة(5). ولم ياتي مسمى العدول في اشارة للشهود وانما جاء في عدد من الوثائق التي يطلب فيها الفصل لفظ عدول(6).

8- حُجة الزمان

تلزم الحُجة بذكر تاريخ تحرر المكتوب، ويظهر ذلك في وثيقة حُجة الارض موضع الدراسة اذ جاء تاريخ توثيقها في ظهر الاثنين اثنا عشر خلت من شهر الله ربيع الاول من شهور 1206هـ ستة بعد المايتين والالف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاه والسلام) (7) يحفظ التاريخ وقت المنح المنح كما انه يجيب عن اسئلة قد تبدر الى ذهن من يحكم في حال وقوع نزاع مثل :

أ. الاسبقية الزمنية للممنوح وللمحاجج في الطرف الاخر عندما يبرز حُجه؟

ب. كما انها تؤكد أن المانح هو السلطان المشار اليه في الوثيقة لان تاريخ التوقيع عليها يجيب على هل تزامنت الفترة لحكم السلطان مع فترة المنح؟

ورغم أن اغلب حجج الارض كانت مؤرخة إلا ان بعضها لم يحمل تاريخ وانما كان التاريخ في الختم، والمثل على ذلك الوثيقة الثانية والعشرون من وثائق سلطنة سنار(8).

---

(1) مخطوطات وثيقة 15/3 /1 سبق ذكرها

(2) انظر الى وثائق الكدرو 14/3/1 سبق ذكرها

(3) وكان الشهود العدول هم أحد اسباب تاخر التدوين والتوثيق الكتابي في سلطنة سنار إذ كان يكتفى بشهادتهم فقط (اخلاص مكاوي : عرض وتحليل لنمازج من وثائق السلطنة الزرقاء (الندوة العلمية احتفلات خمسمائة عام على قيام السلطنة الزرقاء وعشر سنوات على قيام جامعة النيل الازرق ص 2ـ 3)

(4) إخلاص مكاوي: عرض وتحليل لنمازج من وثائق السلطنة الزرقاء (الندوة العلمية احتفلات خمسمائة عام على قيام السلطنة الزرقاء وعشر سنوات على قيام جامعة النيل الازرق ص 2ـ 3)

(5) متنوعات / مخطوطات 15/3/1 سبق ذكره

(6) ابو سليمو واسبولدينق : مرجع سابق : ص10 وص23

**وكان الشهود العدول هم أحد اسباب تاخر التدوين والتوثيق الكتابي في سلطنة سنار إذ كان يكتفى بشهادتهم فقط (راجع اخلاص مكاوي: المرجع السابق ص 2ـ 3)

(7) متنوعات / مخطوطات 14/3/1 وثائق الفونج (الكدرو) ص2

(8) محمد ابراهيم ابو سليم و ج.ل .اسبولدنق : وثائق سلطنه سنار في القرن الثامن عشر :دار جامعه الخرطوم للنشر ((الخرطوم) 1992م , ص41

كما أن بعض الوثائق ليس فيها تواريخ وليس فيها اختام كما هو الحال في الوثيقة رقم عشرون من وثائق سلطنة سنار(1)، ففيها لم يرد تاريخ وقد توقع كلاً من ابو سليم واسبولدنق أنها كتبت في 1172او 1180م وجاءت قراء تهم تلك بمقارنة الوثيقة بوثيقة جاءت بعدها. وهناك اشارة في الجزء الأعلي من الوثيقة جهة اليمين يحمل احرف هي (م ع ر و ق ى ق ا ل ن ع م ا ني) وقد أشار أبو سليم واسبولدنق إلى انها تعويذة لحفظ الوثيقة، الأ أن هناك ملاحظة قد تغير في هذه القراءة التي وردت عن ابو سليم وهي أنه وفي العصر المملوكي والعثماني قد استعمل نوع من الحساب يسمى حساب الجمل إذ يشير كل حرف الي رقم يقابله رقم (2)

9- حُجه شرط المنحة

ويمكن أن نقرأ في شروط المنحة الاتي: تلك المنح كانت عبارة عن هبات وقد حقق السناريون استحقاق تلك الهبات على المذهب المالكي إذ جاء في مختصر العلامة الخليل إبن اسحاق عن الهبة ما حققه السناريون كاملاً وهي تمليك بلاعوض لثواب الاخرة صدقة وصحت في كل مملوك ينقل من له تبرع بها، وواحدة من شروط الهبة تعين الموهوب، وأن يشهد عليه شهود (3)، واتباع المذهب السائد في الدولة يقوي حُجة الممنوح حتى لايؤتى بمذهب مخالف فتكون حُجة عليه.

وتحقق احد أُسس الحجاج في امر التمليك هذا اذ ان كل المانحين يوجهون مكاتباتهم إلى شخص غائب او متخيل (كل من حضرت كل من ـ هذه الوثيقة والناظر لما فيها من الحقيقة) إلا أن في الحُجة الملوكية الصادرة من بادي بن السلطان نول سلطان سنار قد انتقل في حُجته من العام الى الخاص. ويظهر ذلك في قوله (لا احد يقربها ولايدنيها ولايقف / عليهم ونؤكد عليكم يا جميع الشيوخ والمقاديم والجري الذين تحتهم / إلى حد ملكي كله خصوصاً الشيخ اونسه ولد سرير ومن بعده إلى قيام الساعة لا احد منكم يتعرض لهذه الصدقة ومن يتعرض لها بعد كلامي هذا فقد عرض نفسه للهلاك والحذر الحذر من المخالفة والمخالف لايلوم الا نفسه)) (4) التحول في التنبيه من التعميم إلى التخصيص وهذه حالات فردية وليس قاعدة عامة .

ومما تقدم يتضح أن هذه الحِجج التمليكية هي مسالة سابقة لاي إدعاء وداحضة لاي دعوى لها ويمكن أن تسمى إجراء احترازي يمنح للمالك على تملكه الارض . هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى

---

(1) محمد ابراهيم ابو سليم و ج.ل .اسبولدنق، المرجع السابق، ص 38

(2) (أ1ـ ب2 . ق100 . غ1000) لمزيد من التفاصيل راجع مصطفى عبد الكريم : معجم المصطلحات والالقاب التاريخيه ، مرجع سابق ، ص143

(3) خليل بن اسحاق المالكي : مختصر العلامه خليل ((تحقيق احمد جاد)) دار الحديث للنشر ، 1426-2005م ص214

(4) وثائق الكدرو (مخطوطات) 1//14 سبق ذكره

أن هناك سبب اخر لكتابة هذه الوثائق كما جاء في وثائق الكدرو (هو خوف النسيان ومكر الانسان)(1)

والوثيقة المشار اليها سابقاً يمكن ان يلاحظ الاتي :

أن الوثيقة بدات بالبسملة مقرونة بالحمد ومشار فيها الى الرسول عليه افضل الصلاة والتسليم. قدمت الحجة الاولى ويقاس عليها كل وثائق التمليك استخدمت طريقة للعرض في الخطاب الحجاجي تسمى الطريقة الباطنية ينشئ بها المحاور نصه عبر نصوص سابقة ممثالة او مباينة ويفتح بها أفاق نصوص أخرى مبدلة. وكل وثائق التمليك لها نمط واحد مع اختلاف في الاركان (من المانح إلى الممنوح، الشيئ الممنوح، المكان، التاريخ، نوع المنحة، والشهود والزمان).

والخاصية الحِجاجية الحوارية موجودة في الوثائق والمراسلات السنارية وهي تعمل على التشخيص خاصية تلفظية تتميز بحده العلاقات الخطابية مع الشريك اياً كان حقيقيا أو متخيلاً، فرداً أو جماعة، أو هو تجريد ذات ثانيه ينزلها المخاطب من نفسه منزلة المعترض على دعواه سواء كان الحِجاج صريح أوضمني.

والخطاب الحِجاجي الموجود في هذه المراسلات والوثائق توجد به مقدرة برهانية وحقائق فعلية ، تثبت حق المالك .

رابعاً: التاثيروالتأثرفيما ساد من مراسلات السلطنة السنارية

ليس من السهل دراسه تأثير وتاثُر اساليب المكاتبات خصوصاً عندما تفقد معلومات سواء كانت كلية او جزئية، او ان تدون معلومات من رواية سماعية. ويعود السبب في الصعوبة لان اللفظة تمنح الدلالة الكاملة. الا انه وحتى استنباط مدى التأثير والتأثر لابد من وضع معايير تساعد الدارس على قياس ذلك التاثير او التاثر ومن تلك المعايير:

أ- الاسبقية الزمنية: أي أن يقاس التاثير بمن له اسبقية زمنية في ايراد المعلومة.

ب- كما يمكن قياس التأثر بمن ياتي لاحقا في الفترة الزمنية وتثبت الاسبقية الزمنية بالرجوع الى التواريخ وفترة وقوع الحدث.

ت- العلاقة بين الاطراف موضوع الدراسة: فكل علاقة لابد ان تترك اثر ولابد من ان يحدث تاثير حتى وان كانت العلاقة عدائية.

ث- دراسة ماهو سائد من الفاظ واساليب وعدم استبعاد اي احتمال لوصول ذلك الاثر بما انه تحقق فيه المعيار الاول وهو الاسبقية الزمنية.

وفي أمر التاثر يتضح تأثر المراسلات السنارية بانماط المراسلات الاسلامية ويتضح ذالك بمقارنة نمط المكاتبات السنارية مع ما ساد من انماط في الوثائق الاسلامية كما اشار ابو سليم إلى أن الوثائق السنارية عرفت النظام الديواني وادركت انماط المكتبات بما ساد من انماط عربية) الا ان ماساد من

---

(1) وثائق الفونج (وثائق الكدرو) قائمة المتنوعات 14/3/1 دار الوثائق القوميه الخرطوم ملحق 2، ص 22

نظم ديوانية لايمكن نسبه الى النمط العربي وانما وجود العنصر العربي الذي اشير اليه كان مختزلاً في الاسلام وفي توسعاته ويمكن ان تحمل الوثائق التي اشار اليها ابو سليم الصبغة العربية من حيث اللغة فقط

أُسس نمط الوثيقة الاسلامية ومقارنتها بالوثائق السنارية

إن الوثيقة الاسلامية تقوم على أُسس اتخذت فيما بعد منه الشكل العام والذي يمكن ان يكون معيار تقاس عليه الوثائق الاخرى خاصة في مجال المراسلات .ولما حدثت تغيرات في شكل المراسلات حسب نمط الثقافة السائد تغيرت الشكليات واحتفظ بالمضمون ويمكن ان تحدد تلك الاسس بالاتي:

أ- البسملة

ب- البدء بكاتب الرسالة، أي أن يقدم كاتب الرسالة نفسه: وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: (إذا كتب أحدكم إلى إنسان فليبدأ بنفسه وإذا كتب فليرتب كتابه فهو أنجح)(1).

ت- الجهة المخاطبة

ث- الموضوع ومبررات طرحه

ج- الختام

ح- التاريخ

والنموذج على ذلك مايتضح في مكاتبات الرسول ﷺ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى· أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين، (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)(2).

يشرح الخطاب المرسل نفسه من خلال وضوحه، اي انه حمل البسملة ثم اسم المرسل، من محمد رسول الله إلى المرسل اليه وموضوع الرسالة الإ أنه وصل ناقص وسقطت بقيه دراسته.

أولاً : مقارنة تأثر الحِجاج السناري بالحِجاج الاموي

في الدوله الاموية احتفظ نمط الكتابة بما هو سائد في العهد الاول من الاسلام حسب الترتيب الا انه زاد في كل اجزائه بعد التواصل مع العالم الخارجي فافرز ثقافة جديدة في المكاتبات.

أ- مقارنة حِجاج محمد ود عدلان المكتوب والحجاج بن يوسف المنطوق

رغم صعوبة هذه المقارنة لعدة اسباب منها عدم توفر النص المكتوب كاملاً لمحمد بن عدلان كما اشير اليه عند دراسته سابقاً، لذلك ستبنى هذه المقارنة على اوجه التقارب والتباعد من غير تأويل. ومن تلك الاوجه :

---

(1) تخريج السيوطي : تحقيق الالباني انظر الحديث رقم 672 في ضعيف الجامع

(2) http://www.nourallah.com/islamic-pictures.asp?c=4&id=1

1- اوجه الإلتقاء
2- الشخصية القيادية لكلا الشخصيتين
3- حدة اللهجة
4- اسلوب التهديد
5- الرغبة في تغيير الخصم لفكرته
6- تمليك المتلقي معلومات عن مدى قوة المتكلم .

استغنى الحجاج بن يوسف عن البسملة والسلام وبدأ ببيت الشعر المعروف في قوله: (انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى)

استعمل الحجاج اسلوب شديد اللهجة اذ قال: (يا اهل الكوفة أما والله إني لأحمل الشر بحمله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله) كما استعمل الحجاج لفظ الشر وله دلالة معنوية ينقله الحجاج إلى المستمعين من اهل العراق مقروناً بالفاظ (احمل، احذوه، اجزيه) التي تدل على قدرة الحجاج لفعل مايريد وهذا توضيح من الحجاج لمدى قوته وبطشه. ودلالته المادية هو التاثير في المتلقي وإقناعه بعدم مواجهته لانه يتميز بالقوة والبطش(1). كذالك كان الحال في مكتوب محمد ود عدلان والذي جاء فيه قوله (لايغرنك) ، استخدام هذه اللفظة.

واللفظتان اللتان وردتا عند الحجاج (الشقاق والنفاق) وعند محمد ود عدلان (لا يغرنك) تتفقان في استعمال كِلا الشخصين وصف للمخاطب، فقد وصف ود عدلان اسماعيل باشا(بالغرور) ووصف الحجاج أهل العراق (بالشقاق والنفاق).

لم يكن محمد ود عدلان او الحجاج ملك ولكن كلا الطرفين اشار لمطلق صلاحياته في دحر الاعداء، والقضاء على الخصم. فقد اشار محمد ودعدلان الى مطلق سلطته بقوله (فنحن الملوك)، واشار الحجاج الى ان امير المؤمنين اطلق يده على اهل العراق: (وإن أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، نثر كنانته بين يديه، فجمع عيدانها، فوجدني أمرها عوداً، وأصلبها مكسراً فرماكم بي)

لمح محمد ود عدلان لاستخدام القوه مختزلاً ذلك في الاشارة بان سنار محروسة محمية (بالقواطع الهندية والخيول الجرد ادهمية وصبر الرجال بكرة وعشية). اما الحجاج فقد وجه كلامه مرة بالتلميح ومرة بالتصريح (وإني لأري أبصارا طامحة وأعناقا متطاولة وروؤسا قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها ، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى تترقرق) وفي مرة ثانية يصرح بعقابه مباشرة: (وإني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا سفكت دمه ونهبت ماله وهدمت منزله).

---

(1) خديجة محفوظي : بنية الملفوظ الحجاجي للخطبه في العصر الاموي، مذكره انيل شهاده الماجستير 2006. 2007م جامعه منتوري قسنيطة. الجمهوريه الجزائريه ،،،ص 111. 112

أوجه الاختلاف:

أن محمد ود عدلان يمثل الدولة ومؤيد بوظيفة رفيعة في بلده وصاحب حق والطرف الاخر دخيل مغتصب .

أما الحجاج ابن يوسف معين من قيادة الدولة الاسلامية على منطقة هي جزء من الدولة الاسلامية تشدق أهلها .

ب- مقارنة المراسلات السنارية مع الوثائق العثمانية

لم تكن الوثائق السنارية بعيدة كثيراً عن ما كان سائدا في نمط المكاتبات في الدول الاسلامية المتعاقبة (العباسية والعثمانية). فلم تكن منفردة بالمسميات الواردة فيها سواء كان ذلك في مسميات الدولة أو ما يكنى به السلاطين والملوك أو حتى وصف الملوك (الواثق برب العالمين)، (الواثق بالملك الجبار)، (الواثق بالله العزيز الجبار)، (المتوكل على الله)،(الواثق بالملك الهادي).

او ما تسمى به الاماكن والدول والمثال: ففي مسمى الدولة سنار محروسة محمية. (حُجة سلطانية ووثيقة مملوكية بمدينة سنار المحروسة المحمية) (1)

نجد أن هناك ممثالة مع الاشارة العثمانية للمكان والمسمى (بمقام دار السلطنة العلية القسطنطينية المحروسة المحمية)(2) الا انه في مكاتبات سنار تاتي المحروسة المحمية في اول المكتوب، اما في مكاتبات الدولة العثمانية فانها تاتي في اخر الرسالة .

1- المماثلة في تقديم الكاتب وبدئه بنفسه والتعظيم المصاحب للملك .

ففي المراسلات السناريه تبدأ ب(لدا متوليها الذي ايده الله بالنصر والتمكين والتحصين وجعله ظلا ظليلا / ياوي اليه كل مسكين الذي هو في الدنيا سعيد وفي الاخرة ان شاء الله شهيد (3) من انطوى / باطنه على الصفا وظاهره على الصدق والوفاء الصادق في قوله الامين على فعله / الذي اذا قال صدق واذا تكلم بالحق نطق مولانا السلطان بن السلطان السلطان بادي بن السلطان نول نصره الله الرحمن الرحيم بجاه القران العظيم والنبي الكريم / امين امين يارب العالمين(4).

يبدأ التقديم للسلطان بالدعاء له وتمني كل ماهو محمود له سواء كان ذلك في الدنيا او الاخرة. وتاتي المرحلة الثانية من تقديمه وهي الدعاء له ووصفه باجمل الاوصاف مثل انه امان المساكين ثم يكمل الدعاء له. ومن ثم تاتي المرحلة الاخيرة من سرد صفاته بما يشير الى نقاء سريرته ورفعة اخلاقه .ثم الدعاء له (نصره الله الرحمن الرحيم بجاه القران العظيم والنبي الكريم / امين / امين يارب العالمين) وختم ايضاً التقديم بالدعاء وطلب البركة بجاه القران والنبي الكريم ثم التأمين على الدعاء.

---

(1) سهيل صايان : نمازج من وثائق من المراسلات العربية في وثائق والارشيف العثماني، المجلة الاردنية للتاريخ والاثار، المجلد 2 العدد 1 ، 2008م ، ص 102

(2) http://www.forsanhaq.com/showthread.php?t=313047

(3) ربما جاءت الاشاره في لفظه شهيد الى انه سينال ثواب الشهاده في الاخره

(4) متنوعات (مخطوطات) 14/3/1 سبق ذكره

أما في المكاتبات العثمانية فقد جاء فيها: (بعناية حضرة عزة الله جّلت قدرته وعلت كلمته ، وبمعجزات سيد زمرة الأنبياء، وقدوة فرقة الأصفياء محمد المصطفى ﷺ الكثيرة البركات، وبمؤازرة قدس أرواح حماية الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وجميع أولياء الله. أنا سلطان السلاطين وبرهان الخواقين، أنا متوج الملوك ظلّ الله في الأرضين، أنا سلطان البحر الأبيض والبحر الأسود والبحر الأحمر والأناضول والروملّي وقرمان الروم، وولاية ذي القدرية، وديار بكر وكردستان وأذربيجان والعجم والشام ومصر ومكة والمدينة والقدس وجميع ديار العرب والعجم وبلاد المجر والقيصر وبلاد أخرى كثيرة افتتحتها يد جلالتي بسيف الظفر ولله الحمد والله أكبر. أنا السلطان سليمان بن السلطان سليم بن السلطان بايزيد).

بدأ بالدعاء وطلب البركة في بداية التقديم وذكر كل ما له وقع قدسي حتى الخلفا ء الراشدين ثم شرع في تقديم نفسه بدأً بالوصف ثم عرج على تحديد حدود ملكه من بلاد وبحار واجناس واوضح كيف استولى على تلك البلاد ومن ثم ذكر اسمه.

اما في المكتوب السناري فلم يرد ذكر لبلدان او حدود غير مايرد في حد الهبة الممنوحة أي الهدف هو تحديد موطن المنحة. كما يرد ايضاً ذكر المناطق عند استعراض الشهود ومناطقهم . الا أن الاتفاق بين السلطانين مدى درايتهما بما تحت ايديهم من ملك .

ثم تقارب الخطابان : في توجيهه الخطاب الى الطرف الثاني (إلى حضرت كل من تقف عليه هذه الوثيقة والناظر لما فيها من الحقيقة)

وفي الوثيقة العثمانية كذالك جاءت المباشرة في الاشارة إلى المرسل اليه (إلى فرنسيس ملك ولاية فرنسا).

ثم جاء سرد الموضوع

في الوثيقة السنارية :

(تمامت صدقت الدار على الفقيه .....)

في الوثيقة العثمانية:

(وصل إلى أعتاب ملجأ السلاطين المكتوب الذي أرسلتموه مع تابعكم (فرانقبان) وأعلمنا أن عدوكم أستولى على بلادكم، وأنكم الآن محبوسون، وتستدعون من هذا الجانب مدد العناية بخصوص خلاصكم، وكل ما قلتموه عرض على أعتاب سرير سدتنا الملوكانية، وأحاط به علمي الشريف على وجه التفصيل، فصار بتمامه معلوما . فلا عجب من حبس الملوك وضيقهم، فكن منشرح الصدر، ولا تكن مشغول الخاطر).

(تحريرا في أوائل شهر آخر الربيعين سنة 932 من الهجرة النبوية الشريفة 1525 من الميلاد)

السؤال هو هل حمل الخطاب العثماني اي خطة حِجاجية ؟ لايبدو ذلك ، فقد تم الاستشهاد به ودراسته كنوع من المراسلات التي كانت هي صميم الخلافة الاسلامية كما انه اعطى مؤشر جيد لشكل المراسلات العثمانية والتأثر بالمسميات والالقاب.

2- تأثير الحِجاج السناري في السلطنات المصاحبة (سلطنة الفورنموذج)

أرسل محمد على باشا الى محمد الفضل حاكم دافور في عام 1830م يدعوه للتسليم وجاء في الخطاب وجاء رد محمد الفضل بالاتي:

اولاً : بدأت الوثيقة بالركن الاول وهوالحمد ((الحمد لله الذي حكم بين عباده بالحق قطعاً سبحانه يجزي كل نفس بما تسعى واليه المعاد والرجعى وهو حسبي وكفى).

لم يرد في الخطاب بسملة وانما بدأ بالحمد . واحد شروط المكتوب أن تُسْتَهلَّ الخطبة بحمد الله وتمجيده والثناء عليه، وتُزَيَّن بالصلاة على الرسول الكريم ﷺ، مع ضرورة توشيحها بآيات قرآنية، "وعلى أنّ خطباء السَّلَف الطيّب، وأهل البيان من التابعين بإحسان، مازالوا يُسَمّون الخطبة التي لم تُبْتدأ، بالتحميد، وتُستفتح بالتمجيد (البتراء). ويُسَمُّون التي لم توشّح بالقرآن، وتُزَيَّن بالصلاة على النبي ﷺ (الشوهاء)(1) وقد حقق المكتوب أحد شروط صحتها وهو البدء بالحمد.وحقق بذلك الركن الاول.

ثم قال محمد الفضل: (من حضرة من امن الله به البلاد وجعل ملكه مسموعاً من كل احد وصيره في قلوب الاعداء ناراً تستعر وجمراً يتوقد وجعل الله على يده ضرب من طغى وتمرد ومن صلٌ وتعند وهو شاب صغير السن ولو صار كهلاً لخضعت له الانس والجن وقد اشتهر بالكرم والجود وحال بعوارضه لنصعت انجم السعود وإن قامت الهيجاء بنفسه يجود ويصل الى الاعداء بقواطع الهنود وينتصر بعون الله على كل موجود !!!

وهو مولانا السلطان محمد الفضل بن عبد الرحمن الرشيد اعزه الله).

ثانياً: الركن الثاني وقد بدأ الكاتب بتقديم نفسه للشخص المخاطب امتثالاً لما جاء في حديث رسول الله ﷺ يقول: "إِذَا كَتَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى أَحَدٍ فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ". اتخذ محمد الفضل من الاستهلال بداية نقطة مهمة واستخدمه ببراعة استطاع من خلالها ان يقدم نفسه للمستمع وتخير من الاسلوب ما كان جيد"، فالمتكلم يبدأ كلامه بما يشد انتباه من يكلمه، فيتخير من اللفظ ما يناسب مستمعه، ولم يتواضع محمد الفضل في تقديم نفسه بل ربما غالى في رفع شانه ووصف نفسه بالنقيض بالامان لبلده والنار لاعدائه. وبهذا التقديم لذات المتكلم يكون قد حقق واحدة من أهم عناصر الخطاب الحِجاجي وهي حضور ذات الكاتب مشار اليه بضمير (وهو). ثم جيئ بالاسم مولانا محمد الفضل باعتباره مرسلاً يريد تبليغ اطروحته ، أي وجهة نظره ،إلى المتلقي قصد اقناعه او التاثير فيه.

ثالثاً: الركن الثالث: توجيهه المكتوب (إلى حضرة الكوكب العالي والنير المتلالي بهجة الأنام وقدوة الليالي صاحب العز والافتخار اخينا العزيز محمد على باشا سلمكم الله تعالى من المحذورات واستعملكم بالباقيات الصالحات بمنه وكرمه) توجيهه الخطاب الى المخاطب يحمل كل الادب واعطى الطرف

(1 نظريه الحِجاج: مراحل بناء النص الحجاجي: ايمن ابو مصطفى http://taj23.blogspot.com/2011/07/blog-post_23.htm(

الاخر حقه كحاكم وشخصية اعتبارية بان استخدم لفظة (حضرة)* وهي من القاب التشريف، وهي من الفاظ التهذيب واللباقة. وتذكر لفظة (حضرة) أيضاً في اشارة عند الاطرف المتخاصمة(1) وبهذا يكون محمد الفضل قد حقق الكثير من دبلوماسية الكلمة، وفَّعل كل ادوات الخطاب الحِجاجي ويوازن بينها وبين أقدار المخاطب وحالته فيجعل لكل طبقة منهم كلاماً يخصهم به حتى يقسم بالتساوي أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم المعاني على أقدار المقامات التي عليها المستمعون وحالاتهم". مقارنة مع محمد ود عدلان الذي كانت مخاطبته لاسماعيل باشا بقوله "لا يغرنك".

ويذهب محمد الفضل بالقول: (أما بعد فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته قد وصلنا جوابكم اوصلكم الله إلى رضوانه وفهمنا خطابكم ومقتضى جوابكم وكل كلمة من المرقوم يستحق جوابها المفهوم ولكن يكفي من ذلك كله كلام الحي القيوم).

اسخدم محمد الفضل اسلوب السجع في الكلام وهذا الاسلوب يجذب إنتباه السامع ويجعل للتعبير قوة وتاثير ووضوح وبذلك يكون قد ساعد في ترسيخ الفكرة لدى محمد علي باشا واشار المكتوب (المرقوم) وجاء في قول الله تعالى (كتاب مرقوم) وكِتَابٌ مَرقومْ: كِتَابٌ مَسْطُورٌ بَيِّنُ الكِتَابَةِ مَا هُوَ مَرْقُومٌ يَدُومُ ومرقوم مسطور وواضح الكتابه(2). وفي علم التاريخ مرقوم مصطلح كان شائعاً في العهد العثماني، يقصد به السندات والمواثيق والاتفاقيات المكتوبة(3). ولايعلم هل اشار اليه محمد على باشا في المكتوب الذي بعث به إلى محمد الفضل ام انه جاء به بعد انتشار الثقافة العثمانية لأن محمد الفضل ارسل خطابه هذا عام 1830م أي بعد 9 سنوات من غزو سلطنة الفونج وبذلك يمكن أن يكون حدث التاثير الثقافي في نوع مكاتبات سلطنة الفور.

ثم قال: (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه إلى الماء لبلغ فاه وماهو ببالغه وما دعاء الكافرين الافي ضلال) (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك في عباده ربه احدا).

استخدم محمد الفضل الادلة القرانية كنوع مهم من انواع الحِجاج بالشاهد القولي وهو اقوى انواع الحِجاج عند الاستدلال بايات قرانية.

ثم قال: (انكم طالبو دولتنا وطاعتنا وانقيادنا لكم هل بلغكم اننا كفار وجب لكم قتالنا وابيح ضرب الجزية علينا أو غركم قتالكم مع ملوك سنار والشايقيه فنحن السلاطين وهم الرعية. ام ورد لك دليل من الله تجد فيه ملكك أم ورد لك حديث من رسول الله تجد فيه تمليكك أم خطر لك خاطر من عقلك بان لك رباً قوياً ولنا رب ضعيف).

- شاع استخدام (حضرة) بصوره كبيرة في الدولة العباسية وتطور إلى إن صار صاحب الحضرتين باختيار إن الخلفية اصبح رمز للسلطتين الدينية والسياسية (انظر مصطفى عبد الكريم: القاموس التاريخي) ص 145

(1) مصطفى عبد الكريم: سبق ذكره ، ص145

(2) معجم المعاني الجامع -http://www.almaany.com/ar/dict/ar/

(3) مصطفى عبد الكريم : مرجع سابق ، ص394

وضع محمد الفضل كل الخيارات المستقراء من احتمالية الغزو من قبل محمد على ووضع ذلك الاستقراء في شكل استفهام استنكاري وبلغ عدد تلك الاستفهمات ست لم ياتي باجابة نافية غير الاستفهام الثاني بقوله (أو غركم قتالكم مع ملوك الشايقية والجعلييين فنحن السلاطين وهم الرعية) كانما هو نص مقتبس من رساله محمد ود عدلان لم يرغب في تفكيكه فجاء بالنص كامل من غير تغيير وهذا ايضاً نوع من حجاج الشاهد القولي. أما بقية الاستفهامات بدأ في الرد عليها في الفقره الثانيه بقوله: "الحمد لله نحن مسلمون وما نحن كافرون ولا مبتدعون لدين الله وسنة رسول الله ونؤدي الفرائض ونترك المحرمات ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر والذي لم يُصل نأمره بالصلاة والذي لم يزك نأخذ منه الزكاة ونصرفها في بيت المال ولاندخرها ونرد الامانات إلى اهلها ونعطي كل ذي حق حقه حتى دانت لنا القبائل العظام "ورد على الاستفهام هل بلغكم نحن كفار" اوضح لمحمد على باشا بانهم مسلمون وليس لديهم بدع واستخدم محمد الفضل المنهج الوصفي واستعرض طريقة اداء العبادات واشار الى ركنين من اركان الاسلام وكيف يتم التعامل معهم بحزم وهما الصلاة والزكاة". والسؤال هو هل كان السلطان محمد الفضل مجبراً للاشارة لسلوكهم الديني وشرحه لمحمد علي باشا؟ في تقديري انه اراد الذهاب بالمخاطب محمد علي باشا في صورة كاملة حتى تكتمل عنده الصورة الاقناعية وتسد كل الثغرات لدحض مبررات الغزو وفق معطيات الواقع الذي يعيشه محمد الفضل حتى وان كان هذا الاقناع بين محمد على ونفسه وبذلك يكون قد قطع عليه أي احتمال أو توقع كمبرر للغزو. وبعد ان ختم شرحه لطريقة تصريف الأمور الدينية واتى بمسبب لسبب ادانة البلاد اليهم وهي اعطاء الحق لاهله وقرنها مباشرة بتهديد بقوله: "ومن أتى دولتنا يرجع مكرها باذن الله تعالى ولو اشتدت به الريح في يوم عاصف ألم تر ألى قوله .ﷺ (لو بغى جبل على جبل لدك الباغي) اما علمت ان دارفور محروسة محمية بسيوف قطع هندية وخيول جرد ادهمية وعليها كهول وشبان يسرعون إلى الهيجاء بكرة وعشية ، اما علمت ان عندنا العباد والزهاد والاقطاب والاولياء الصالحين ظهرت لهم الكرامات في وقتنا هذا وهم بيننا يدفعون شر ناركم فتصير رماداً ويرجع الملك الى اهله ويكفي من ذلك والله يكفي شر الظالمين " كتبه الفقيه محمد ود عماري من متخرجي الازهر وكان مدرساً للسلطان محمد الفضل واولاده بالفاشر)(1).

بعد ان اوضح محمد الفضل أدائهم للعبادات كاملة ولما فرغ من دحض كل الحجج التى من الممكن ان تكون سبب في الغزو اشار في تهديد واضح فيه اشارة لمحمد علي بقوله (من أتى دولتنا يرجع مكرها) ولو اشتدت به الريح في يوم عصف) واستدل بقول الرسول ﷺ (لو بغى جبل على جبل، لدك الباغي منهما)(2).

---

(1) نعوم شقير تاريخ السودان الحديث (تحقيق محمد ابراهيم ابو سليم): ص172.171

(2) محمد الالواسي ابو الفضل روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني ، دار التراث العربي بيروت ص100

وعلى مايبدو أن السلطان محمد الفضل كان ضليع في استخدام الحِجج واستخدم كل آلياتها والحصول على نص الخطاب كامل أدى دوره في قراءته قراءة سليمة.

وما يلاحظ أن محمد الفضل اتجه الى اسلوب أخر وهو استخدام الاولياء الصالحين ولما لم يكن لهم دور ظاهر فقد استخدم دورهم الباطن وهو الدعاء.

ومن هذا المكتوب الذي سطره السلطان محمد الفضل لمحمد علي باشا يتضح ان مملكة سنار كانت المركز العلمي الذي تتطلع اليه جميع المناطق، وكانت سلطنة الفور تستعين بفقهاء سنار لنشر العلم في ربوعها فقد شجع السلطان (سليمان سولونج) الذي تولى عرش دافور 1637م فقهاء الفونج للنزوح الى بلده وكان يقطع لهم الاقطاعيات (1) وهذا يدلنا على أحد أمرين:

الاول ان نمط الثقافة الموجودة في بلاد الفونج قد انتقلت الى بلاد الفور بوسيط مهم ومؤثر هم العلماء.

الامر الثاني: هو ان الملك محمد الفضل قد تعمد ان ياتي ببعض ماورد في مكتوب محمد ود عدلان الى الابن (اسماعيل) اعاد توجيهه والاقتباس منه الى الوالد (محمد علي). وفي هذه المرة احس محمد الفضل بالقوة وعلى مايبدو ان كل منهزم يوصف بانه من الرعية. فقد وصف محمد ودعدلان الجعليين والشايقيه بانهم من الرعية وان السناريين هم الملوك والان يصف محمد الفضل بان السناريون هم الرعية واهل الفور هم السلاطين. وعلى مايبدو أن الظروف التي عاشتها مملكة سنار هي التي ادت لايجاد ذلك النوع من الخطابات كنوع من النمط السائد لتلك الماكتبات كما ان الخلفية التاريخية لعلاقات سنار الخارجية أوجدت نمط من المكاتبات تجد فيه النفس الاسلامي واضح.

إن كل المراسلات التي اجريت عليها الدراسة جاءت كالاتي:

1- انها كانت ردود لمكاتبات سابقة
2- انها اتفقت في رفض الخضوع لحكم دولة اخري

عدم الاستفاضة في هذه الدراسة يعود لعدد من الاسباب منها :

1- الجهل بنوع الخطاب المكتوب من الراسل الاول (السلطان سليم او اسماعيل باشا او محمد علي باشا).
2- أ ن بعض الردود لم تصل كاملة مثل خطاب عمارة دنقس او محمد ود عدلان حتى ندرك الاسلوب الحِجاجي كاملاً .

رابعاً : عناصر الحِجاج لدى النماذج التطبيقية (الاساسية والمقارنة).

من خلال الاستعراض السابق للمراسلات والمكاتبات يمكن أن يلاحظ أن عناصر الحِجاج قد اكتملت فيها بنسبة عالية من خلال معيارين:

---

(1) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربيه في السودان ، دأر الثقافة للطباعة والنشر ،ص 60

1- المعيار الاول هواستخدام نوع الحِجاج: ففي بعض المراسلات يكون هناك اكثر من نوع من انواع الحِجاج .ويتضح ذلك في الاتي :

أ- **حِجاج عمارة دنقس** استخدم فيه نوعين من الحِجاج هما الحُجة المنطقية والتي تقوم على الربط مابين السبب والنتيجة اذ رأي ان سبب السلطان سليم لطلبه من عمارة دنقس التسليم هو اعتقاده بكفر وعجمية دولة سنار فستكون النتيجة الغزو اذا دفع بالاسباب حتى لا تحدث النتيجة. كما استخدم نوع أخر من الحِجاج هو الحِجاج الواقعي ويتم فيه استعراض لمجموعة من العلاقات أو الاعمال التي تميز الواقع الاجتماعي والديني واعتمد عمارة دنقس على ايراد نمط سردي ووصفي رسم من خلالهما ملامح معينة في مخيلة السلطان سليم.

ب- **حِجاج محمد ود عدلان** والحجاج بن يوسف رغم أن المقارنة اجريت بين حِجاج هذين القائدين واتفاقهما في استخدام نوع معين من انواع الحِجاج الا أن كل واحد منهما قد استخدم نوع من الحِجاج فيه مغايرة عن الاخر رغم التقارب الكبير بينهما في الاسلوب. فالتقارب بينهما كان في استخدام الحُجة الواقعية إذ جاء في كلا الرسالتين (المكتوبة والملفوظة) إذ تم استعراض واقع حضاري للمتحديثين يعكس الواقع السياسي مع الطرف الاخر (الخصم)، **وقد تفرد الحجاج بن يوسف** على استخدام حُجة الشاهد القولي فقد استخدم ابيات شعر كانت من القوة بمكان ان اكسبت الحُجة قوة .

ت- **حِجاج محمد الفضل** : استخدم كل انواع الحِجاج من الحِجاج المنطقي والواقعي وقد أكثر من حُجة الشاهد القولي فقد استدل بكل انواع الاستشاهد القولية الواردة في هذا النوع من الحِجاج من ايات قرانية واحاديث ومقولات مشهورة (مقولة محمد ود عدلان) مما جعل هذه الرسالة يمكن أن تكون نموذج متفرد لدراسة الحِجاج في كل المكاتبات:

2- المعيار الثاني تحقيق الحِجاج لوظيفته إن كان الهدف من اتباع سبيل الحِجاج هو الاقناع فالسؤال هو هل حقق الحِجاج مفعوله الاقناعي؟ للإجابة على هذا السؤال لابد من دراسة الاحداث اللاحقة للمكتوب. ورغم ان هذا ليس من صميم مهمة الورقة الا أن هناك اشياء لابد من ايرادها وهي ان هناك اطراف مقتنعة بما جاء في الحِجاج ولا تستجيب للمبررات لان لها هدف مسبق (والنموذج هو اسماعيل باشا) الذي لم تكن تلك المبررات التي ساقها محمد ود عدلان مقنعة لانه عقد العزم سلفاً كما أن الامر كان بالنسبة له تحدي حسب رد محمد ود عدلان اما السلطان سليم حققت الحُجة غرضها وغفل راجعاً عن الفكرة.

أما من حيث لغة الخطاب فقد حققت المراسلات السابقة الجانب الاقناعي والاسلوب الداحض لفكر الطرف الاخر.

الخاتمة

أن وثائق المراسلات رغم انها بسيطة وضعيفة العدد الا أنها سمحت بقراءة بعض من تاريخ سلطنة عريقة استمرت لعدد من القرون ورغم أن الورقة خصصت لدراسة زاوية واحدة من لغة الخطاب

السناري الا أنها اعطت ابعاد اخرى في تاريخ سنار والتعمق في دراسة النص السناري اشار إلى ان هناك تقارب كبير مابين النمط الاداري والكتابي في سنار مقارنة مع ممالك ودول كبيرة مثل الدولة الاموية او السلطنة العثمانية (شكلاً فقط).

إن أهم مايميز الورقة أنها استخدمت نظرية موجودة بعمقها التاريخي وبكل ابعاد تخصصها من علوم غير علم التاريخ ثم اسقطت تلك النظرية على المراسلات السنارية حتى تدرك البعد الذي استخدم في المراسلات السنارية هل كان مقصوداً لذاته أم انه كان يشابه النمط الذي ساد مراسلات تلك الفترة. وبعد المقارنة التي قامت بها الورقة تأكد بما لا يدع مجالا للشك من أن الخطاب الحِجاجي في المراسلات السنارية كان مقصوداً لذاته ولم يكن مقلد الموجود والنتيجة هذه لم تكن من فراغ وانما كانت بسبب المواقف التي انتجت تلك الخطابات. فكل خطاب قامت الورقة بدراسته كان عبارة عن رد على خطاب أُرسِل لسطان سناري. ولا يستبعد أن في الخطابات التي ارسلت لملوك سنار كان ما بها من إدعاءت وطلبات كانت سبب مباشر في استخدام الحُجة لدحضها أي يمكن القول أن هذه الحِجج كانت ردود افعال.

ويلاحظ أن االخطاب السناري كان قوي في تقديم دفوعه وكان على علم وادراك بطريقة استخدام الحُجة حتى انه اثر في الاخر المعاصر له من خطابات والدليل على ذاك ما جاء في الخطاب الفواروي (هذا ماثبت من المعايير التي وضعتها الورقه لقياس مدى التاثير والتاثُر)

أما ما وجد من خطاب حِجاجي خاص بالتمليك فيبدو انه طبق المذهب المتبع لان المسالة الِحجاجية في التمليك لابد أن تاخذ البعد القانوني وهذا ماكان في حِجج الارض .

النتائج والتوصيات

اولاً : النتائج

1- أن قراءتنا للوثائق يتخذ اسلوب نمطي وسطحي ولا نتعمق في تلك الوثائق وو ضع كل الاحتمالات عند التحليل .
2- المراسلات المتوفرة بسيطة والمعلومات عن سلطنة سنار ضعيفة لا تكفي لدراسات متعمقة عن تأثير وتأثر سلطنة سنار بغيرها من السلطنات الاخرى .
3- أن المعرفة التي توفرت للمتعلمين ورغبوا في التدوين لم يكن تدينهم منهجي وموضوعي مقارنة مع ما ساد العالم الاسلامي من منهجية في التدوين ويتضح ذلك بمقارنة (طبقات ود ضيف الله مع مقدمة ابن خلدون) فان الفرق شاسع وهذا يعزى للنتيجة هو ضعف التعليم .
4- يجب دراسة سلطنة سنار وماساد فيها من اوجهه الدولة من خلال الاخر المتوفر حتى ندرك بعض الملامح من المفقود (لان النتيجة الحتمية لشيئ مفقود التوثيق امر مستحيل)
5- السعي لاحضار المفقود من وثائق من خارج السودان (ان وجدت) والمثال على ذالك الخطاب الذي أرسله محمد ود عدلان لاسماعيل باشا غير موجود كمخطوط او كنص كامل ولايوجد له اثر غير ما اشار اليه نعوم شقير، والاسئلة التى تطرح لاحتمال توقع مكانه كالاتي:

هل كانت هذه المراسلة كتابية ام شفهية؟

هل ارسله اسماعيل باشا إلى والده محمد على باشا في مصر؟

6- نستبعد أن يكون الخطاب قد احترق عند اغتيال اسماعيل باشا لأن العملية تمت خارج مقر اقامته اذن النتيجة هي انه ارسل عقب الاغتيال مع متاع اسماعيل باشا الى مصر.

7- هناك بعض الكلمات في الوثائق ربما دلت على مدى تأثر سلطنة سنار بغيرها من الممالك الاسلامية مثل (صاحب المقام، الصدر الاجل، المحروسة الممحمية، القواطع الهنديه، الشهود العدول).

8- الوثائق المتوفرة من سلطنة سنار أغلبها حجاج أرض وعدد من الباحثين لا يستخدم مافيها من الفاظ لمعرفة العلاقة مع العالم الخارجي والمثال هو الالفاظ الواردة في النتيجة (7).

9- اوضحت بعض المراسلات والمكاتبات ضعف اللغة العربية ويعود ذلك لسبب رئيس وهو أن معاهدة هدنة البقط كانت عقبة كبيرة أمام توغل الاسلام واللغة بالعربية في السودان.

ثانياً : التوصيات

1- توصي الورقة بالبحث عن تاريخ السودان القديم في بطون الكتب العربية والسعي لمعرفة وضع سلطنة سنار في الارشيف العثماني لان ارشيفهم هو تاريخنا.

2- التعمق في دراسة سلطنة سنار في مختلف المراحل فهي مملكة استمرت لقرون ومقارنته بالمهدية والتي لم تتجاوز سني وجودها ال13 سنة تقريباً.

3- في اطار التوجه نحو الجودة وهو اتجاه اجتاح كل المؤسسات خصوصاً التعليم العالي لا بد من اقامة دورات تدريبية (وان كانت مدفوعة الثمن) للباحثين في مجال التاريخ لتعليمهم وتدريبهم كيف يحقق الكتاب ودراسة المخطوطات.

4- احياء جمعية التاريخ إذ من خلالها يتم نشر أي نشاط خاص بتخصص التاريخ واقامة المنتديات والندوات والورش لإنتاج فكر يبرز المعلومة التاريخية برؤية مغايرة لان المعلومة دائما ما تكون واحد ولكن تختلف الرؤى.

5- ابعاد المهنية عن التخصص لأن المهنية محدودة والتخصص شامل وفضفاض (والمهنية هنا يقصد بها عدم ربط العضوية في الجمعية التاريخية بالمعينين في الجامعات من اعضاء هيئة التدريس وانما تكون العضوية مفتوحة بالتساوي لكل المتخصصين بمختلف درجاتهم العلمية.

6- انشاء قاعدة بيانات تحمل ارقام وايميلات كل المختصين بالتاريخ حتى يتم التواصل بسهولة ويكون الجميع على علم بكل مناشط جمعية التاريخ.

قائمه بالمصادروالمراجع

االمصادروالمراجع

اولاً المصادر:

1. القران الكريم

2. الأحاديث
3. انظر الحديث رقم 672 حققه الالباني تخريج السيوطي

المخطوطات (دار الوثائق القوميه)

4. مخطوطات 1/ 1435/87 شرح مورد الظمان لمحمد ود عدلان (دار الوثائق القومية. الخرطوم.
5. مخطوطات 1795/107/1 مخطوطه كاتب الشونة (نسخة اركل احضرها بروفسر أ وفاهي.
6. متنوعات / مخطوطات 15/3/1 وثيقة صادرة من السلطان بادي الدكين بن السلطان بادي عن اقطاع أرض : 1206هـ
7. متنوعات (مخطوطات) 14/3/1 وثائق الفونج: الوثيقة الخامسة متنوعات/ مخطوطات 14/3/1 وثائق الفونج (الكدرو).
8. خليل بن اسحاق المالكي: مختصر العلامه خليل (تحقيق احمد جاد) دار الحديث للنشر، 1426-2005م

<u>المعاجم</u>

9. ابن منظور :لسان العرب : ماده (حجج) ، ج2
10. إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار: (المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية،، القاهرة(ب،ي) الناشر : دار الدعوة
11. القلقشندي – صبح الاعشى دار الكتب العلمية، بيروت
12. عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والالقاب التاريخيه، مؤسسة الرساله للنشر، بيروت، لبنان. 1993م

<u>الكتب</u>

13. ابن خلدون : المقدمه ، دار الكتب العلميه ، بيروت لبنان ، 1993
14. محمد الالواسي ابو الفضل، روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، دار التراث العربي، بيروت.
15. محمد ابراهيم أبو سليم: الفونج والارض (وثائق تمليك) شعبة أبحاث السودان بجامعة الخرطوم 1967م مطبعة التمدن بالخرطوم
16. محمد ابراهيم ابو سليم و ج.ل .اسبولدنق : وثائق سلطنه سنار في القرن الثامن عشر :دار جامعه الخرطوم للنشر (الخرطوم) 1992م
17. نعوم شقير: جغرافية وتاريخ السودان(تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم (دار الجيل، بيروت، 1981م.
18. محمد سالم ولد محمد الامين: مفهوم الحِجاج عند بيرلمان وتطورة في البلاغة المعاصره (مقال في مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 28 عدد 3 مارس 2000

19. نعوم شقير: جغرافية وتاريخ السودان (تحقيق فدوى عبد الرحمن علي طه) ، دار عزة للنشر والتوزيع الخرطوم. السودان

الروابط في الشبكه العنكبوتيه

20. https://ar.wikipedia.org/wiki/
21. http://www.nourallah.com/islamic-pictures.asp?c=4&id=1
22. http://www.forsanhaq.com/showthread.php?t=313047
23. http://taj23.blogspot.com/2011/07/blog-post_23.htm
24. http://www.almaany.com/ar/dic
25. **http://www.achamel.info/Lyceens/cours.php?id=969**

الرسائل الجامعية

26. خديجة محفوظي: بنية الملفوظ الحجاجي للخطبه في العصر الأموي، مذكره انيل شهاده الماجستير 2006.2007م جامعة منتوري قسنيطة. الجمهوريه الجزائريه
27. سهيل صايان: نمازج من وثائق من المراسلات العربية في وثائق والارشيف العثماني، المجلة الاردنية للتاريخ والاثار، المجلد 2 العدد 1 ، 2008م ، ص 102
28. هاجر مدقن: آليات الخطاب الحِجاجي (بين نظريه البيان ونظرية البرهان) (الأثر) مجلة الآدب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، العدد الخامس، مارس 2006م.
29. (مقال) نظريه الحِجاج : مراحل بناء النص الحجاجي: ايمن ابو مصطفى).

الاوراق العلمية

30. اخلاص مكاوي: عرض وتحليل لنمازج من وثائق السلطنة الزرقاء (الندوة العلمية احتفلات خمسمائة عام على قيام السلطنة الزرقاء وعشر سنوات على قيام جامعة النيل الازرق.
31. لمياء دفع الله مصطفى: النظره الموضوعية لهدنة البقط على الدوله النبوية، ورقه قيد التحكيم تاريخ الثقافة العربيه في السودان.

الهجرة الإسلامية البينية (هجرة زيريي إفريقية إلى الأندلس نموذجاً)
(الشروط –الأسباب - النتائج)

أ.د. عبد القادر عثمان جاد الرب(*)

بعد ظهور الكتابة أصبح بمقدور الإنسان التعرف والوقوف على تجارب وخبرات أسلافه بصفه خاصة والتجربة الإنسانية بصفة عامة، والاستفادة منها في فهم نفسه ومجتمعه والعالم المحيط به، وفي الحياة وفلسفتها بصفة عامة، وفي حل المشاكل والمتاعب التي تعترض سبيله والتخطيط لمستقبله ومن هذه التجارب الهجرة التي نحن بصدد دراستها.

ومن خلال وجودي في دولة تنتمي إلى الأمةالإسلامية والعربية واحتكاكي المباشر بعدد كبير من النخب العربية التي تتوزع على كل الدول العربية، وقراءتي للإنتاج الفكري لمجموعات من مفكري العالم العربي الحديث لاحظت أن الاعتداد والاعتزاز بالماضي هو القاسم المشترك بين معظمهم، وهذا الاعتزاز بالنظر إلى واقعنا المؤلم يعتبر من وجهة نظرنا دفاعاً عن النفس ومؤشراً إلى عدم الاستفادة من تجارب الأسلاف والتجربة الإنسانية، واعترافاً ضمنياً باستفادة الآخر منهما. ولذلك عقدت العزم على أن تكون كتاباتي التاريخية ذات طابع وظيفي، وهذا الموضوع يندرج فيها. وسوف يتم الالركيز فيه على المحاور الآتية: أسباب اختيار الموضوع، والتعريف بأسرة بني زيري، والشروط، الأسباب، وأوضاع المهاجرين الزيريين بالأندلس، فملاحظات عامة واستنتاجات. وفيما يلي بسط لكل محور على حده.

أولاً: لفت أنظار الباحثين إلى الكتابة التاريخية الوظيفية:

من خلال قراءاتي لكتابات عدد من الباحثين المهتمين بالتاريخ والحضارة الإسلامية ووقوفي على مجموعة من النظم واللوائح الضابطة والمنظمة لحركة الإنسان الداخلية والخارجية في عدد من الدول العربية الإسلامية، وعلاقات هذه الدول مع الآخر، اتضح لي ضعف الاستفادة من التراث الإسلامي في هذه الجوانب، واعتماد معظم هذه الدول على نماذج جاهزة مستوردة من الآخر، رغم رفع بعضها لشعارات التأصيل، أي الرجوع إلى التراث الإسلامي للوقوف على تجارب الماضين في كل ما يتعلق بحياتنا الحالية للتعرف عليها وفلسفتها في كل مسألة، والظروف التي نشأت فيها، لبناء قاعدة معلوماتية جديدة ترتكز على الجوانب التراثية التي لا زالت متوافقة مع روح العصر، وإضافة عناصر جديدة مكملة لها حتى نصبح قادرة على القيام بالمهمة المنوطة بها، وهذا الفهم للتأصيل هو نفسه الذي نقصده بعبارة الكتابة التاريخية الوظيفية، مع إضافة بسيطة، وهي ضرورة التفريق بين التأصيل كشعار ترفعه الدولة وتحاول أن تلتزم به في سياستها وبرامجها ومشاريعها، والكتابة التاريخية الوظيفية كمنهج مرفوع ومعتمد من قبل قسم أكاديمي أو مؤسسة علمية؛ لأن مهمة الآخيرين تنتهي بإكمال البحث بينما بالنسبة للدولة تنتهي المهمة بالتنفيذ على أرض الواقع، ولذلك

(*) أستاذ تاريخ الاندلس، جامعة امدرمان الاسلامية، امدرمان.

فإن التوظيف السليم للموارد البشرية والمادية يتطلب التكامل في الأدوار بين المؤسسات البحثية والجهات الحكومية المنفذة.

ولقد أردنا من كتابة هذه الدراسة أن تكون المبادرة من المؤسسات الأكاديمية البحثية.

ثانياً: لفت أنظار المشرعين في الدول الإسلامية العربية للأخذ بعين الاعتبار تجارب الأسلاف عند التعاطي مع مسألة الهجرة.

إن حالة عدم لاستقرار السياسي والاجتماعي التي تعيشها معظم الدول العربية والإسلامية، والتي ترجع إلى أسباب عديدة أهمها التدخلات الغربية في الشأن الداخلي لهذه الدول، لفرض نظمها السياسية ومنظوماتها الاجتماعية والاقتصادية عليها، والتشكك في الأنا على المستوى الداخلي، والتخوف منه، والعمل على إلغائه أو إقصائه، وبعبارة أخرى عدم الاستماع إليه والاستفادة من تجاربه وآرائه، تعتبر من وجهة نظرنا من أقوى الأسباب التي شكلت حاجزاً بين المشرعين والاستفادة من التراث الإسلامي بالصورة المطلوبة. وقد هدفت هذه الدراسة إلى لفت أنظار المشرعين وتنبيهم إلى النظر إلى الهجرة من منظور واسع يأخذ في الاعتبار تجارب الماضين والأمم الأخرى، وأبعاد الهجرة والنتائج التي سوف تترتب عليها، والتوقف عندها لاستيعابها وفهمها، وتوظيفها، وتوجيهها في الوجهة التي تخدم المصالح الآنية وتراعي الأبعاد والمصالح المستقبلية، وتجاوز المفاهيم والنظرة السالبة إلى الأنا، والتأسيس لفهم جديد تتصالح فيه الذات مع الأنا، وتنفتح عليه وعلى إرثها لتوظيفه والاستفادة منه في وضع الضوابط المنظمة للهجرة على المستويين الإقليمي والعالمي.

ثالثاً:إبرازأهمية الهجرة الجماعية بالنسبة للدولة المودعة والمستقبلة

موضوع الهجرة بأنواعها المختلفة؛ الاستيطانية الدائمة والمؤقتة إلخ من الموضوعات التي أخذت حيزاً لا بأس به في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، الشيء الذي يدل على أهميتها بالنسبة لاستقرار المجتمعات الإنسانية ونموها وتطورها، مستضيفة كانت أم مودعة.

ولقد اهتدى القائمون على الدولة الإسلامية منذ نشأتها على يد سيدنا محمد ابن عبد الله ﷺ بالهدي الإلهي وبسنة النبي محمد صلى الله علي وسلم في كل الجوانب على قدر اجتهادهم واستطاعتهم، ومن بينها مسألة الهجرة ؛ فكانت الأبواب مفتوحة أمام كل مسلم للانتقال من مكان لآخر دون قيد أو شرط ، على الرغم من أن ارض الإسلام قد بدأت في الانقسام إلى دويلات مستقلة ومتناحرة منذ نهايات القرن الثاني من الهجرة.

وقد كان لهذه الهجرات البينية، جماعية كانت أم فردية آثار إيجابية في جسم الدولة على جميع المستويات السياسية والحضارية والاجتماعية، ولذلك أردت من خلال هذه الدراسة أن أسلط الضوء على نموذج من هذه الهجرات آملاً أن يكون حافزاً للقومة على أمر الدول العربية والإسلامية ، ولافتاً لأنظارهم للتخطيط لمثل هذا النوع من الهجرة، بناءً على احتياجاتهم الآنية والمستقبلية من الأطر والقوى البشرية ، التي تتوافر عليها دولة عربية أو مسلمة ، وليست في حاجة لخدماتها.

أما عن المحاور التي ستركز عليها هذه الدراسة فهي: التعريف بالمهاجرين من بني زيري، وشروط الهجرة، وأسباب الهجرة، وأوضاع المهاجرين في الأندلس، فملاحظات عامة واستنتاجات.

ثانياً: التعريف بأسرة بني زيري:

ينتمي بنو زيري إلى قبيلة صنهاجة البربرية إحدى فروع مجموعة البرانس. وأسرة بني زيري من الأسر العريقة بإفريقية، وعميدها هو بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي الحميري[1].

وقد هيأت التحولات السياسية التي كانت تمر بها إفريقية الفرصة لهذه الأسرة للعب دور مهم في السياسة حيث استعان الفاطميون بزعيمهم بلقين بن زيري بعد أن نجحوا في القضاء على الدويلات التي كانت تحكم إفريقية والمغرب الأوسط في عام 908/296، واتخذوا مدينة المهدية عاصمة لدولتهم في عام 915/303، للتصدي لأمويي الأندلس، الذين شعروا بخطورة الفاطميين على مستقبل دولتهم بالأندلس، خاصة وأن هنالك عداء تاريخياً بين الأسرتين، واختلافات في مجال الفكر الديني والسياسي، وأوكلوا مهمة القضاء على الفاطميين واجتثاث جذورهم من المغرب، أو على الأقل إقامة حاجز يقيهم من شرهم، إلى قبيلة زناتة البربرية، العدو التقليدي لقبيلة صنهاجة، وقد كان يتزعم قبيلة زناتة وقتذاك جعفر بن الأندلسي، ووفروا لها الدعم المادي والأدبي. لعب بلقين دوراً مهماً في التصدي لزناتة، وكثرت معاركه ضدها، هذا وقد قتل والده في إحدى هذه المعارك في عام 360/يونيو 971، وحز رأسه، وكلف جعفر بن الأندلسي أخاه يحيى بحمله إلى الخليفة الأموي الحكم الثاني بقرطبة (Cordoba)، الذي استقبل، من جانبه، الوفد الزناتي استقبالاً حاراً[2].

أدى قتل زيري والد بلقين إلى اطمئنان الخليفة الفاطمي المعز لدين الله إلى ولاء بلقين وقبيلته صنهاجة إليه، وإلى عدائها لزناتة وأمويي الأندلس، وإلى استخلافه له على إفريقية بعد ضمه لمصر لملكه وبنائه لمدينة القاهرة، واتخاذها عاصمة لدولته والارتحال إليها في عام 972/362[3].

وضع بلقين التصدي لزناتة، وكسر شوكتها، وإزاحتها عن المناطق التي كانت تسيطر عليها في المغرب الأقصى وأجزاء من المغرب الأوسط، على رأس قائمة اهتماماته[4]. فشن حملات عديدة ضدها، وكللت مساعيه بالنجاح، فحل الأمن والاستقرار في المغرب، فكافأه الإمام نزار بن المعز على ذلك بإضافة ولاية طرابلس إليه في عام 977/267. وفي 21 من ذي الحجة 25/273 مايو 984 توفي بلقين، فخلفه ابنه المنصور، الذي استفتح عهده بحرب زناتة ولكنه توقف بعد ما ألحقت زناتة الهزيمة بجيوشه. وبعد وفاة المنصور وجلوس ابنه باديس مكانه في عام 995/385 بادرت زناتة بالتعدي على

-1- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، 1966م، ج8، ص620، وابن خلدون، العبر...، بيروت، 1959م، ج6، ص317، والكندي، كتاب الولاة والقضاة، تهذيب وتصحيح رفن كست، بيروت، 1908م، ص 297-298، والحنبلي، عبد الحي بن العماد، شذرات الذهب، بيروت، بلا تاريخ، ص40.

-2-E. Levi Provencal, Histoire de l'EspagneMusulmane, Paris, 1950, Tome ll, pp.187, 188.

-3-ابن خلدون، العبر...، ج6، ص317، وابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، تحقيق العبادي والكتاني، الدار البيضاء، 1964م، ص59-64.

-4-E. Levi Provencal, Op.cit., Tome ll, PP. 187 -188 et, Diehl et Marcais George, Historie de Moyen Age Paris, 1936, P. 589.

صنهاجة، فاختار باديس عمه حماد بن بلقين ابن زيري للتصدي لها، فاستطاع حماد التوغل في المغرب الأقصى وتأديب زناتة وتقليم أظافرها، فسر باديس بذلك ولكن سروره لم يدم طويلاً إذ استغل حماد نجاحاته العسكرية ونفوذه السياسي، فانتزع هذه الناطق التي استولى عليها وبنى فيها قلعة، أملاً أن تكون عاصمة لإمارة مستقلة خاصة به. فأحدث فعله هذا انقساماً داخل أسرة بني زيري، فحاول الأمير باديس تدارك الأمر، ولم الشمل، ورأب الصدع بإثناء عمه عن عزمه بأسلوبه الخاص، ولكنه قد فشل، فاضطر إلى رفع الأمر إلى رؤسائه الفاطميين، فحاولوا هم بدورهم ممارسة بعض الضغوط على حماد، ولكن دون جدوى، فقد أصر حماد على موقفه[-1-].

بإصرار حماد على موقفه انقسمت دولة بني زيري إلى قسمين دولة بني زيري بإفريقية وعاصمتها القيروان، التي حكمها أبناء وأحفاد باديس بن المنصور، والتي استمرت إلى أن سيطر عرب بني هلال على مدنها ونصارى صقلية، ومجيء عبد المؤمن بن علي لغزوها، واستسلام آخر أمرائها الحسن بن علي الذي كان موجوداً بالجزائر مع بني عمومته من آل حماد، وقد كان يحكم الجزائر منهم القائم بن يحيى ابن العزيز، ابن أمير بجاية يحيى بن العزيز، وذلك لأن إمارته قد سيطر على مدنها وحصونها نصارى صقلية وعرب بني هلال، فأحسن عبد المؤمن استقباله، واصطحبه معه إلى بجاية، هذا، وقد تمكن عبد المؤمن بعد استيلائه على بجاية من استرجاع إمارة بني زيري بإفريقية من نصارى صقلية وعرب بني هلال في عام 1160/555[-2-].

أما إمارة بني زيري ببجاية فقد استسلم آخر أمرائها يحيى بن العزيز لعبد المؤمن ابن علي الموحدي في عام 1152/547، فأحسن عبد المؤمن استقباله، وأكرم وفادته، وقربه من مجلسه، واصطحبه معه إلى مراكش، وجعل له معاشاً سنوياً، وفي مراكش ابتعد يحيى عن السياسة، واشتغل بالطراد والصيد، وفي عام 1162/558م، ارتحل إلى مدينة سلا وظل بها حتى وفاته في العام نفسه[-3-].

-1-ابن خلدون، العبر، ج6، ص319-323، Dieh; et Marcais George, Histoire de M oyen Age, PP. 589-590.

-2-ابن خلدون، العبر...، ج6، ص334-345، و393-394، وجاد الرب، عبد القادر عثمان محمد، الموحدون بإفريقية إلى 627هـ، أطروحة قدمت لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ الوسيط، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط، 1991م، بإشراف الدكتور إبراهيم حركات، ص 95-103.

-3-ابن خلدون، العبر، ج6، ص363-364، والمراكشي، عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم حقي، ممدوح، الدار البيضاء، 1978م، ط7، ص 298-303، وابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، تحقيق زنيبر، محمد وآخرين، بيروت، 1985م، ص46-47، والناصري، أحمد بن خالد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق ابني المؤلف، جعفر ومحمد، الدار البيضاء، 1954م، ج2، ص121.

أما عن الزمن الذي حدثت فيه الهجرة إلى الأندلس فقد حدثت في عهد أمير إفريقية باديس بن المنصور بن بلقين بن زيري وبالتحديد بعد هزيمة زناتة لجيوشه عام 999/389، وكان زعيم المهاجرين هو عمه زاوي بن زيري[-1-].

ثالثاً: شروط الهجرة:

إن أبواب الهجرة البيئية مفتوحة على مصراعيها بالنسبة لكل المسلمين باعتبار أن الأرض أرض إسلام، وأن دولة الإسلام واحدة، ولكل مسلم، فرداً كان أم جماعة، الحق في الانتقال من مكان لآخر طالما كان ملتزماً بتعاليم الإسلام في حركاته وسكناته، وأهدافه متسقة مع توجهات السلطة الحاكمة وسياساتها، وقد كانت الأمور تسير على هذا النهج قبل ضعف الدولة الإسلامية، وانقسامها إلى عدد من الدويلات المتناحرة والمتنازعة ابتداء من الربع الأخير من القرن الثاني الهجري وإلى يومنا هذا، وهذا التغير الذي طرأ على جسد الأمة الإسلامية السياسي هو الذي دفع الباحث للبحث عن الأسس والضوابط التي كانت بموجبها تمنح هذه الدويلات الإذن للمهاجرين إليها في شكل مجموعة، مع التركيز على الحالة موضع الدراسة، فتوصل الباحث إلى الشروط الآتية:

أ- تقديم طلب للاستئذان من الجهة المقصودة:

إن هجرة الأفراد العاديين تجاراً كانوا أم طلاب علم أو رحالة أو دعاة كانت مألوفة ولا قيود عليها، رغم حالة التشرذم والانقسام التي آلت إليها الدولة الإسلامية. أما الهجرة العلنية للرموز السياسية فقد كانت تحتاج إلى إذن من الجهة المقصودة؛ لأن الإذن هنا المقصود منه توفير الحماية لها، ومنحها حرية التحرك، والالتزام بعدم تسليمها لأعدائها. ومن السوابق في هذا المجال الطلب الذي تقدم به عبد الرحمن الداخل إلى يوسف الفهري الذي كان أميراً على الأندلس بعد سقوط الدولة الأموية بالمشرق على أيدي العباسيين في عام 749/132 وتمكن عبد الرحمن الداخل من الهروب إلى بلاد المغرب[-2-].

أما عن الطلب فينبغي أن يحتوي على معلومات دقيقة عن مقدمه كسنه والقبيلة التي ينتمي إليها، والمهنة التي يمارسها، والدويلة التي يعيش فيها، والعلاقة بينه وبين حكامها، ووضعه الاجتماعي والاقتصادي، والأسباب التي دفعته للهجرة، وتحديد الجهة المقصودة مكاناً لها، والأهداف التي يريد تحقيقها من وراء الهجرة[-3-].

ب- موافقة الجهة المقصودة:

إن أدب الاستئذان والالتزام بالرد على المستأذن، سلباً أو إيجاباً، من الآداب الأصيلة في الإسلام، والملزمة لكل مسلم بالتقيد بها، ليس على مستوى الانتقال من دويلة إلى أخرى، وإنما على مستوى

-1-H.R. Idris, La Berberie Oriental Sous les Zirides, Paris, 1962, Vol. 1, PP. 8-41-.58.92-97.

-2-المصدر نفسه، ص40-46.

-3-E. Levi Provencal, op.cit, Tome, ll. P. 271.

التحرك في داخل المنزل الخاص نفسه، وزيارة الأصدقاء والأقربين، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ...)[-1-]، وقوله: (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها وإن قيل لكم أرجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم)[-2-]، هذا وقد كانت الدويلات التي ترفع إليها الطلبات تقوم بدراستها على مستوى الأفراد والجماعات وتقويمها وفقاً لضوابطها واحتياجاتها ومبادئها وأفكارها ثم ترد على أصحابها سلباً أو إيجاباً[-3-].

ج-ضرورة التو افق والتطابق بين أهداف المهاجرين ومهنهم واحتياجات الدويلة المستهدفة:

حركة الإنسان بصورة فردية من مكان إلى مكان، ومن دولة إلى دولة من الأمور العادية التي لا تؤثر على استقرار المجتمعات، وتماسك أفرادها ورفاهيتهم، طالما كان هؤلاء الأفراد أشخاصاً عاديين، ولا يتبنون أفكاراً هدامة. أما التحرك الجماعي، مهما كان نوعه وحجمه، فستكون له آثار سلبية على الجهة المقصودة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية إذا لم تكن المهن التي يمارسها المهاجرون هي المطلوبة والمرغوب فيها، ولا يمكن سد النقص فيها اعتماداً على العناصر المحلية وحدها .[-4-].

د-أن تكون أفكار ومعتقدات المهاجرين منسجمة مع الفكر والمعتقدات السائدة في الجهة المستهدفة:

بدأت الأمة الإسلامية تنقسم إلى دويلات مستقلة ومتناحرة على أساس عرقي وطائفي ومذهبي بعد ظهور الدويلات المستقلة بالمغرب، التي أسسهاالخوارج، الذين لاذوا بالفرار إلى المغرب بعد أن ضيقت الدولة الإسلامية الخناق عليهم بالمشرق، كدولة بني واسول الصفرية بسجلماسة (140-297/758-909)، ودولة بني رستم الأباضيةبتاهرت (160-296/776-909)، ثم ظهرت بعد ذلك الدولة الفاطمية

-1-سورة النور، آية رقم 58.

-2-سورة النور، آية رقم 27-28.

-3-ابن بلقين، عبد الله، كتاب التبيان، تحقيق الطيبي، أمين توفيق، الرباط، 1995م، ص57 و E.Levi Provencal, Op, cit, P. 271.

-4-ابن بلقين، المصدر السابق نفسه، ص57، E.Levi Provencal, Emilio, Garcia Gomez, El Siglo, XI En, la I Persona, Las memorias de "Abd Allah" Ultimo Rey Ziri de Granada destronado por los Almoravides (1090), Madrid, 1981, PP. 81-82.

(909/297) التي قضت على هذه الدويلات الخوارجية ن وكذلك على دولة الأغالبة والأدارسة وحلت محلها[-1].

وإذا نظرنا إلى هذه الدويلات من الناحية الفكرية والمذهبية فإننا سنجد أن الخوارج، مثلاً، بالنسبة للإمامة يفتحون أبواب المشاركة أمام جميع المسلمين، ولا يشترطون في من يتقدم لها سوى الإسلام والعدالة، إلا أن بعضهم كالصفرية يكفرون الحكام الذين ليسوا على مذهبهم ويدعون رعاياهم للثورة ضدهم[-2]. أما الشيعة الفاطميون فإنهم قد ضيقوا دائرة المشاركة السياسية، وحصروها في أسرة سيدنا علي ابن أبي طالب، وفي أسرة علي نفسها حصروها في أبنائه من زوجته فاطمة الزهراء[-3].

ونتيجة لظهور هذه الدويلات على هذه الأسس الفكرية المتباينة فإن كل دويلة كانت تمارس رقابة صارمة على معتقدات وأفكار رعاياها وعلى الأشخاص الوافدين إليها من الدويلات الأخرى،لمنع انتشار الأفكار والمعتقدات التي تتعارض مع المعتقدات والأفكار الدينية والسياسية السائدة فيها، وذلك حفاظاً على تماسك النسيج الاجتماعي ولحمته، وعلى استمرارية وجودها في السلطة، وخاصة في الأندلس التي هي وجهة الهجرة التي نحن بصدد دراستها[-4].

هـ-إعداد الأماكن اللازمة لاستقبال المهاجرين و إيوائهم:

الإسلام دين يحترم الخصوصية الثقافية للإنسان مسلماً كان أم معاهداً، ويعترف بتنوع الأعراق والثقافات، قال تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)[-5].

والشواهد على احترام الإسلام للخصوصية الثقافية للإنسان كثيرة ومتعددة نذكر منها تخصيص أماكن أو أحياء بعينها لتكون مقراً لإقامة أهل الذمة، وإنشاء سيدنا عمر بن الخطاب معسكرات للجند في الكوفة والبصرة والفسطاط، ومنعه للجنود المسلمين من الإقامة في المدن التي تم فتحها في العراق ومصر[-6].

وفلسفة الإسلام من وراء احترام الخصوصية والاعتراف بالتنوع الثقافي والعرقي هي احترام إنسانية الإنسان والحفاظ على خصوصيته الثقافية، وتسهيل عملية التعايش والتساكن بين بني البشر، وتمكين الجهات المسؤولة من إدارة ومراقبة تحركات وسلوكيات أفرادها.

-1-حركات، إبراهيم، المغرب، عبر التاريخ، الدار البيضاء، 1984م، ج1، ص84-85، ومؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004م، ط2، ص114-146.

-2- مؤنس، حسين، المرجع السابق، ص117.

-3-نفسه، ص 136-137.

-4- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص292-293.

-5-سورة الحجرات، آية رقم 13.

-6- ابن عبد المنعم الحميري، محمد، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق عباس، إحسان، بيروت، 1975م، ص 105، 441-442، 501-502.

ويجب التذكير في هذا المقام أن سياسة تخصيص أماكن للسكن لم تكن خاصة بأهل الذمة وحدهم، بل إن المسلمين أنفسهم كانوا يتوزعون على أحياء وأماكن وفقاً لانتماءاتهم العرقية[1].

و- إعداد استراتيجية لاستيعاب المهاجرين ودمجهم في المجتمع وتوظيفهم:

اهتمت الدولة الإسلامية منذ نشأتها بالإنسان وإعداده وتوفير الحياة الكريمة له، وتوجيه كل طاقاته للبناء والتعمير؛ فأنشأ سيدنا عمر ديوان الجند، وسجل فيه كل العرب المسلمين باعتبارهم جنوداً، وجعل لهم أرزاقاً من بيت المال إضافة إلى حظهم من الغنائم. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت كل الإمارات والدويلات الإسلامية تتوافر على ديوان الجند.

أما عن المجموعات المسلمة التي كانت تهاجر من دويلة إلى أخرى فقد كانت الدويلات المستقلة تعد مسبقاً استراتجياتها للتعامل معها ودمجها وتوظيفها بالكيفية التي تخدم مصالحها، وفي الوقت نفسه تحافظ على ثقافتها، وعلى تماسك لحمة ونسيج مجتمعها الأم، هذا، وقد كانت معظم هذه المجموعات المهاجرة تتكون من الجنود والقادة، ويتم استيعابها ودمجها وتوظيفها وفقاً لخطة معدة مسبقاً روعيت فيها الجوانب التي تمت الإشارة إليها[2]-

رابعًا: الأسباب

من الصعب على الباحث أن يحدد عوامل بعينها ويجزم بأنها كانت وراء تحرك مجموعة من المجموعات من دويلة إسلامية إلى أخرى؛ لأن الأسباب التي تدفع المجموعات إلى الحركة متعددة ومتداخلة ومعقدة تعقد السلوك الإنساني، لتدخل عوامل كثيرة فيها كالعامل الديني والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والبيئي والنفسي والسياسي، ولكن الباحث استناداً إلى قراءة متأنية للتراث الإسلامي والسوابق التاريخية في هذا الجانب توصل إلى هذه العوامل التي رأى أن واحداً منها أو اثنين أو ثلاثة أو كلها كانت وراء هجر بعض المجموعات الإسلامية لمناطقها والانتقال إلى مناطق أخرى، والعوامل هي:

1- الاختلافات المذهبية:

بدأ ظهور المذاهب الفقهية وتوزع المسلمين عليها ابتداء من القرن الثاني الهجري حيث ظهر المذهب الحنفي والمالكي ومذاهب الخوارج والمذهب الشيعي الذي وضع أسسه وركائزه الإمام جعفر الصادق.

وإذا نظرنا إلى هذه المذاهب نظرة فاحصة فسنجد أن كل واحد منها له مشروعه السياسي الخاص به، الذي قد يلتقي ويتفق مع نظرائه في بعض الجوانب، ويختلف في الجوانب الأخرى اختلافاً يصعب إزالة مسبباته؛ فالمذاهب السنية ،مثلاً، توجد بعض الاختلافات بينها في مسائل العبادات والمعاملات،

-1- ابن الأبار، الحلة السيراء، نشر مؤنس، حسين، القاهرة، 1633م، ج1، ص61، والحميري، ابن عبد المنعم، المصدر السابق، ص70، و79، 170، وأحمد، مصطفى أبو ضيف، القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية، الدار البيضاء، 1983م، ص87-91.

-2-ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص29.

وهي في مجملها اختلافات بسيطة لا تؤثر في جوهر العقيدة والدين، وأتباعها يشكلون الأغلبية بالنسبة للمجتمعات الإسلامية، وكانت الخلافة بأيديهم إلى أن قام بإلغائها كمال أتاتورك في عام 1924/1343م.

أما المذاهب الأخرى كمذاهب الشيعة والخوارج فقد كان أفرادها يعيشون في كنف الدولة الإسلامية التي يسير دفة أمرها أصحاب المذاهب السنية، وكانوا يتعرضون للاضطهاد من قبل السلطان الحاكم لمعارضتهم له، واختلاف توجهاتهم السياسية ومذاهبهم الفقهية معه، ولذلك كانوا يعملون في الخفاء للانقضاض عليها أو لتكوين كيانات سياسية خاصة بهم. ولتحقيق مخططاتهم ارتحلوا إلى المناطق النائية عن مركز الخلافة، وهنالك بدأوا ينشرون أفكارهم، ويعدون العدة لتكوين كيانات سياسية خاصة بهم. وقد نجح بعضهم كالخوارج الأباضية، الذين كونوا لهم دويلة في تاهرت (160-909/776-909) والفاطميين الذين كونوا لهم دويلة في إفريقية (909/297)، هذا وقد توجهت المجموعات المؤيدة لهم، وتلك التي تربطها معهم روابط أسرية أو عرقية، والتي تقيم في مناطق يسيطر عليها حكام يختلفون معها في المذهب الفقهي إليها للاستظلال بظلها، والاستمتاع بحياة تتفق مع مذهبها الفقهي وتوجهاتها السياسية[-1-].

2- المحل والجدب:

تلعب البيئة الطبيعية دوراً مهماً في استقرار الإنسان، وتكوين مزاجه، وتحديد ملامحه وطبائعه وفقاً لغنائها أو فقرها، كما أن للظروف الطبيعية، هي الأخرى، أثرها في استقرار الإنسان أو تنقله؛ ففي ساعات المحل والجدب، التي كانت ومازالت تتعرض لها كثير من البيئات، تضطر المجموعات المتأثرة أن تتنقل من أماكنها إلى أماكن أخرى أفضل حالاً، وأوفر حظاً من أماكنها، والأمثلة لذلك كثيرة ومتعددة، فقبائل الإيبيروس المغربية (Los Iberos) هاجرت إلى إسبانيا في فترة ما قبل التاريخ واستقرت بها[-2-]. وفي الفترة الإسلامية وفي القرن الثاني الهجري على وجه التحديد هاجرت مجموعات من أهالي مدينة قلسانة (Galsena) التي تقع بكورة شذونة (Sidonia) بجنوب الأندلس واستقرت بمدينة سبتة (Septa) بالمغرب بسبب الجفاف والجدب الذي عم المنطقة[-3-].

3- الاختلافات بين أفراد الأسر الحاكمة:

الاختلافات في المجالات الفكرية وفي الآراء وفي التعاطي مع الأمور الحياتية بين بني البشر أمر مألوف وطبيعي، وهو لا يفسد في الود قضية، كما يقولون، إذ لو كان الناس نسخة واحدة في جميع أفعالهم وتصرفاتهم وأفكارهم...، لتوقفت الحياة.

-1- حركات، إبراهيم، مرجع سابق، ص84-85، ومؤنس، حسين، مرجع سابق، ص114-146.

-2-Jose Lusi Asian Pena, Elementos de Historia de Espana, Barcelona, 1953, P. 11.

-3-العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، 1978م، ص 201-202.

أما الاختلافات بين أفراد الأسرة الحاكمة، والتي غالباً ما تكون حول تداول السلطة، أو الوراثة، أو الطريقة التي أديرت بها أزمة معينة أو مشكلة، أو الاتهام بالتقصير في أداء الواجبات...، فهي لا تؤثر على الأسرة الحاكمة وحدها وإنما تؤثر أيضاً على رعاياها، وقد كانت السلطة الحاكمة تتعامل مع هذه الاختلافات، سعياً منها لإيجاد الحلول المناسبة لها، بطرق مختلفة، تبدأ بالحلول السلمية، وقد تصل إلى خيار الحرب. ومن بين الخيارات هجرة أو تهجير المجموعة المتنازعة مع الأمير الشرعي إلى إمارة أو منطقة أخرى، وقد حدث هذا بالنسبة للمجموعة الزيرية التي نحن بصدد دراستها، وفقاً لإحدى الروايات[-1-].

4- الجهاد في سبيل الله:

المقصود بالجهاد في الإسلام مقاتلة أعداء الإسلام المبادرين بالاعتداء على دولته، والجهاد يتخذ أشكالاً مختلفة، يحددها نوع الاعتداء وحجمه وطبيعته، والجهة التي حدث فيها، وإمكانيات الدولة الإسلامية ووضعيتها، وهو يتدرج من استعمال الكلمة إلى السيف.

وقد شرع الجهاد في الإسلام، أساساً، لتمكين المسلمين من الدفاع عن أنفسهم، قال تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير)[-2-]، ولتحرير الإنسان من ظلم أخيه الإنسان، ومناصرة المستضعفين من الرجال والنساء، قال تعالى: (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها و اجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً)[-3-]، سواء كانوا مسلمين أم لا، وحراسة القيم ومكارم الأخلاق، من أجل توفير الحياة الحرة والكريمة لكل المستظلين بظل الدولة الإسلامية على اختلاف أعراقهم ونحلهم ومللهم، هذا وقد أصبح من المفترض أن تقوم بهذا الدور في زماننا هذا هيئة الأمم المتحدة، الجهة التي تعتبر المنسق بين كل الدول المنضوية في عضويتها.

والجهاد في الإسلام فرض كفاية، أي إذا قام به البعض سقط عن الباقين، ولكنه في بعض الحالات يصبح فرض عين، أي واجباً على الجميع، كالاجتياح المباغت والمفاجئ للأعداء لأرض الإسلام.

أما بالنسبة لدوره في تحركات المجموعات المسلمة من دويلة إلى أخرى فقد كان ملموساً في الفترة موضع الدراسة، فالمجموعات المسلمة كان عدد منها يذهب إلى مناطق الثغور، أي المناطق المطلة على الأعداء، ومن هذه المناطق منطقة الشام التي كانت ثغراً مطلاً على دولة بيزنطة، ومنطقة الأندلس التي كانت ثغراً مطلاً على دويلة قطلونيا (Catalunia) وقشتالة (Castilla) وليون (Leon)، وهي التي اتجهت إليها المجموعات الصنهاجية الزيرية رغبة في إفناء عمرهافي الجهاد في سبيل الله[-4-].

-1-H. R. Idria, la Berberie Oriental Sous les zirides, Paris, 1962, vol, P. 41, 58, 93, 97.

-2-سورة الحج، آية رقم 39.

-3-سورة النساء، آية رقم 75.

-4- ابن بلقين، عبد الله، كتاب التبيان، تحقيق الطيبي، أمين توفيق، ص 57.

5- الأخذ بالثأر:

المجتمعات الإسلامية في القرون الوسطى تستند في تكوينها إلى القبيلة، وهي، وللأسف، حتى في زماننا هذا مازالت في معظمها إن لم تكن كلها، على هذه الحالة، لأن الدول القائمة عليها لم تستطع صهرها في بوتقة واحدة فلبها الإسلام وأوردتها الإخاء والمساواة والمحبة والعدل.

وبالنسبة للموضوع الذي نحن بصدده فقد كانت بلاد المغرب تتوزع السيادة فيها على قبيلتين رئيسيتين؛ قبيلة صنهاجة التي كانت تسطير على معظم بلاد البربر الشرقية، وكانت موالية للفاطميين، وقبيلة زناتة التي كانت تسيطر على بلاد البربر الغربية، وكانت موالية لبني أمية بالأندلس. وقد حدثت حروب بين القبيلتين، وكانت كل واحدة منها تجد الدعم من الجهة المناصرة لها، وقد قتل والد زاوي بن زيري، أخ بلكين بن زيري الذي جعله الفاطميون نائباً لهم في حكم إفريقية حينما رحلوا إلى مصر، في واحدة من هذه المعارك، وحملت زناتة رأسه إلى الخليفة الأموي الحكم بن عبد الرحمن الناصر السند والداعم الأساسي لها. ولذلك ليس من المستبعد أن يكون زاوي ومجموعته قد كان واحداً من أسباب هجرتهم هو الأخذ بثأر زيري، خاصة وأنها تمت في فترة تغيرت فيها الأوضاع السياسية بالأندلس، لاستيلاء المنصور بن أبي عامر على السلطة وتهميشه وحجره للخليفة الشرعي هشام بن الحكم، واستبعاده للعناصر المؤيدة لبني أمية من المواقع المهمة في الدولة كالجيش والوزارة، واستبدالها بعناصر موالية له، وأن زاوي بن زيري قد رجع إلى موطنه بإفريقية، واستقبل استقبالاً حاراً من أميرها بعد أن أخذ ثأره من زناتة ومن سادتها بني أمية رغم أنه قد نجح في تكوين دويلة خاصة به وبأسرته في إلبيرة (Elvira) ثم غرناطة (Granada)[1].

6- الفتن والحروب:

الفتن والحروب والثورات ظاهرة تميزت بها كل المجتمعات في الفترة موضع الدراسة؛ لأنها لم تتوصل إلى عقد اجتماعي يتم بموجبه تداول السلطة سلمياً، وتقاسم الثروة.

وبالنسبة للدولة الإسلامية فإن هذه الظاهرة قد بدأت بعد انقسامها إلى دويلات مستقلة ومتنافسة ومتحاربة ابتداء من القرن الثاني الهجري كدويلة الأدارسة والأغالبة والإمارة الأموية بالأندلس.

وكانت الحروب تحدث بين الدويلات الإسلامية نتيجة لأطماع كل واحدة منها في أراضي وممتلكات الأخرى والاختلافات المذهبية. أما الفتن والثورات فقد كانت تحدث نتيجة للظلم الاجتماعي ، الذي مارسه حكام هذه الدويلات على رعاياهم، وقد كانت هذه الفتن والثورات تضطر مجموعات من السكان لترك مواطنها الأصلية والبحث عن ملاذ آمن في الداخل أو الخارج. ومن الأمثلة للهجرات التي حدثت نتيجة للفتن والثورات هجرة سكان الربض (Arrabal) وهو حي يفصله من قصر الإمارة بقرطبة جسر مشيد على نهر الوادي الكبير Guadquivir، ويمتد إلى الجنوب، وكان معظم سكانه من

-1- نفسه، ص 16-17 و21، 43 وابن خلدون، العبر، ج6، ص368، وابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عنان، محمد عبد الله، القاهرة، 1973، ط2، ج1، ص513-517.

المولدين الذين يمتهنون التجارة والصناعة، والتعليم، وطلب العلم. وقد حدثت هذه الثورة في عهد الأمير الأموي الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل (180-206/796-822)، وتمكن الحكم من القضاء عليها، وحرق الحي، فاتجهت مجموعات من سكانه إلى شمال الإمارة، ومجموعات أخرى عبرت إلى المغرب واستقرت بمنطقة الريف في الشمال، ثم استدعاها الأمير إدريس الثاني لتعمير مدينة فاس التي أسسها والده والتي عرفت بعدوة الأندلسيين بعد ذلك، نسبة إلى هؤلاء المهاجرين، ومجموعة منهم شقت طريقها إلى الإسكندرية، ونجحت في تكوين إمارة بها في عام 202/817، وحافظت عليها إلى أن تم اتفاق بينها وبين الخليفة العباسي المأمون في عام 212/828 حيث تركت المدينة واتجهت نحو جزيرة كريت التي كانت تابعة لبيزنطة، واستولت عليها، وظلت مسيطرة عليها إلى أن طردها البيزنطيون في عام 350/961[1].

7- الظلم الاجتماعي:

المقصود بالظلم الاجتماعي هو تعدي الحكام والأمراء على الحقوق الأساسية لمحكوميهم، كالحق في الحياة الحرة الكريمة، والعمل، والزواج، والتعليم، والصحة، وممارسة الحياة الدينية والسياسية، وتكليفهم فوق طاقتهم بفرض ضرائب باهظة عليهم، واستعمال العنف في جمعها، والانحياز إلى قبيلة أو فصيل أو طائفة ومنحها امتيازات على حساب الآخرين، أوتسليطها على رقابهم. وقد أذن الله سبحانه وتعالى للمظلومين اجتماعياً بالهجرة، فقال: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا أو لم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها)[2]، والأمثلة على الهجرات والتحركات الجماعية التي نتجت عن الظلم الاجتماعي كثيرة، أبرزها هجرة أبناء الأسرة العلوية، وأنصارها، وهجرة ربضيي الأندلس إلى المغرب ، التي سبق ذكرها، هذا وما زال الظلم الاجتماعي متفشياً في العالم الإسلامي، ودافعاً أساسياً لكثير من أبناء الأمة الإسلامية للهجرة البينية والهجرة إلى بلاد الآخر.

خامساً: المهاجرون الزيريون بالأندلس

هنالك شبه إجماع بين المصادر على أن الحاجب المنصور بن أبي عامر هو الذي منح الإذن لبني زيري الصنهاجيين بالهجرة للأندلس. وبعد وصول المهاجرين إلى الأندلس وجدوا التقدير والاحترام من المنصور، حيث قام بتنصيب كبيرهم زاوي بن زيري حاجباً له، وبإدنائه من مجلسه، وظلت العلاقة ودية بينهم وبينه، وبين أبنائه من بعده إلى أن سقطت الدولة العامرية على يد المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار، الذي أعاد الحكم إلى بني أمية، وجرد بني زيري من كل الامتيازات التي نعموا بها في ظل العامريين، وعمل على إثارة الفتنة بينهم وبين زناتة، إلا أن زاوي بن زيري قد نجح في توحيد القبائل المغربية بالأندلس، وإقناعها بمبايعة هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، ثم سليمان

-1- العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب، والأندلس، ص 128-134.

-2-سورة النساء، آية رقم 97.

المستعين بن الحكم من بعده الذي تمكن من الاستيلاء على قرطبة (Cordoba) والقضاء على المهدي في عام 1012/403[1].

كافأ الخليفة الأموي سليمان المستعين القبائل المغربية على مؤازرتها له بمنحها إقطاعيات تعتمد عليها في تسيير حياتها، فمنح بنوزيري الصنهاجيين كورة إلبيرة (Elvira) ثم انضافت إليهم جيان (Jaen) وأنظارها وحصن آشر من الغرب، وقد أحسن بنو زيري إدارة هذه المناطق وبسط الأمن فيها[2].

وبعد فترة من الزمن، ولأسباب أمنية ارتحل بنو زيري وأهل إلبيرة إلى غرناطة. وفي ظروف غامضة رجع زاوي إلى مسقط رأسه بإفريقية في عام 410/مايو1014 فخلفه ابن أخيه حبوس بن ماكسن، ووجد زاوي الاحترام والتقدير من الأمير الحاكم هنالك وهو المعز بن باديس[3].

ظلت أسرة حبوس تحكم دولة غرناطة حيث خلفه ابنه باديس وحفيده عبد الله ابن بلقين بن باديس، الذي عزله المرابطون بعد جوازهم الثالث إلى الأندلس بقصد عزل ملوك الطوائف في عام 1090/483، ونفوه إلى مدينة أعمات التي تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة مراكش الحالية وعلى بعد خمسة وعشرين ميلاً منها تقريباً. وظل عبد الله بها حتى أدركته المنية في نهاية الثمانينيات من القرن الخامس الهجري[4].

سادساً: ملاحظات عامة واستنتاجات

من خلال تتبعنا للموضوع بالدراسة والتمحيص توصلنا إلى الملاحظات والاستنتاجات الآتية:

1- وجود ضوابط وشروط لاستقبال الهجرة الجماعية:

رغم انقسام أرض الإسلام إلى دويلات متنافسة ومتناحرة أحياناً في الفترة موضع الدراسة إلا أن حركة الأفراد العاديين من تجار ورحالة وطلاب علم وعلماء وسياح كانت تسير بصورة عادية من غير قيد ولا شرط، وكان بإمكان أي واحد من هؤلاء الأفراد أن يستقر في المكان الذي راق له إذا توافرت له شروط الاستقرار والإقامة.

أما عن الهجرة الجماعية الدائمة أو الموسمية فقد كانت لها شروطها وضوابطها، فالحجيج والمعتمرون من أي دويلة من الدويلات الإسلامية كانوا لا يدخلون إلا بإذن مسبق من الجهة المشرفة

-1- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص513-515.

-2- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج3، ص113، وابن الخطيب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام، تحقيق بروفنسال، بيروت، 1956م، ط2، ص119، وزكي، عبد الرحمن، غرناطة وآثارها الفاتنة، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، مصر، 1971م، ص25.

-3-ابن بلقين، التبيان، ص24، وابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق عباس، إحسان، الدار العربية للكتاب، 1978م، ق1، ج1، ص457-459، H.R. Indris, Les Zirides d'Espagne, AL-Andalus, XXXIX, Madrid, 1964, P. 56.

-4-ابن بلقين، عبد الله، مصدر سابق، ص57-166، وهامش رقم 523 وابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق بروفنسال، ص227-236.

على الأراضي المقدسة، وكذلك الحال بالنسبة للمهاجرين من دويلة إلى أخرى. وهذه الشروط ضرورية، وهي لمصلحة الطرفين؛ لأنها تحفظ للمهاجرين حقوقهم، وتلزمهم بواجباتهم، وتضمن للدولة ورعاياها إدارة تحركاتهم وأنشطتهم، وتوجيهها الوجهة التي تخدم مصالحهم ومصالح الدولة ورعاياها، وتحافظ على لحمة المجتمع وتماسكه. وإضافة إلى ذلك فهذه الشروط فيها احترام للإنسان وكرامته، ودليل على التزام الدولة بمسؤولياتها تجاه رعاياها.

2- عدم حاجة الدولة المستقبلة للمهاجرين لعزلهم لفترة من الزمن كتعريفهم بثقافتها:

انقسمت أرض الإسلام في الفترة موضع الدراسة من الناحية السياسية إلى قسمين، قسم يسيطر على معظم أرض الإسلام وهم أهل السنة والجماعة، وقسم سيطر على مساحة صغيرة لا تتعدى إفريقية والمغرب الأوسط ومصر والشام، وهم الشيعة، والاختلاف بين القسمين ليس كبيراً خاصة في مجال العقيدة، وفقه العبادات، وكان لأهل السنة الغلبة على الشيعة فيها لأنهم بسطوا سيطرتهم على أرض الإسلام لفترة قاربت الثلاثة قرون بدون منافس، ولذلك تجذر مذهبهم في أرض الإسلام ولم يستطع الشيعة اجتثاثه وإحلال مذهبهم محله في الأماكن التي سيطروا عليها، وإنما تمثل نجاحهم فقط، في كسب الولاء السياسي، وهذا الولاء السبب الرئيسي وراءه هو احترام أهل المناطق التي ظهروا فيها لآل البيت وتعاطفهم معهم، وليس الاقتناع بمذهبهم الفقهي، وعودة إفريقية إلى مذهب أهل السنة والجماعة في النصف الأول من القرن الخامس الهجري (1048/440) فيها تأكيد لما ذهبنا إليه[-1-].

وإضافة إلى ما سبق فإن المدن الإسلامية كانت أحياؤها تقسم على أساس عرقي وطائفي[-2-].

وانطلاقاً مما سبق يمكننا القول إن المهاجرين لا يحتاجون لفترة تحضيرية يتلقون فيها برامج لدمجهم في المجتمع الوافدين إليه لوجود عموميات ثقافية مشتركة بين الطرفين، وهي الدين واللغة والتاريخ المشترك، من شأنها تسهيل عملية التواصل والاندماج، هذا إضافة إلى أن توزيع السكن كانت تراعى فيه الخصوصية الثقافية، التي تعتبر أنجع وسيلة لدمج وضبط ومراقبة سلوك وتحركات الأفراد.

3- ابتداع العامريين للهجرة الجماعية المتنوعة الأعراق لسد جوانب النقص في دولتهم:

بعد أن تمكن الحاجب المنصور بن أبي عامر من دخول القصر، والوصول إلى منصب الحجابة، في عهد الخليفة هشام المؤيد بن الحكم الثاني عام 976/366، عمل على حجب الخليفة الطفل هشام، ووضع خطة لتهميش الأسرة الأموية، والتخلص من كل أبنائها الطامحين في الخلافة وأنصارهم، وتهيئة المجتمع لتقبله هو وأسرته حكاماً في مكانها، واتخذ العديد من الإجراءات والخطط لتنفيذ ذلك[-3-].

ومن بين هذه الإجراءات استبعاد العناصر الموالية لبني أموية في الجيش، واستبدالها بعناصر جديدة ومتنوعة موالية له، وذلك لقناعته بأن تنوع الأعراق في الجيش يحول دون اجتماع كلمتها ضد قائدها

-1- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج1، ص277.

-2- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ص 38-39.

-3- جاد الرب، عبد القادر عثمان محمد، العامريون الخطط والأساليب لتجاوز شرط قرشية الخلافة وأمويتها في الأندلس، مجلة التاريخ العربي، الرباط، 2004م، العدد 32.

الأعلى وهو الخليفة أو الأمير[1-].وعلى ضوء ذلك أذن للمجموعات الراغبة في الهجرة إلى الأندلس أن ترفع طلباتها إليه، فكانت المجموعة الزيرية الإفريقية السابقة الذكر واحدة من هذه المجموعات التي تقدمت بطلبها وحظي بالقبول منه.

وإذا كان المنصور يرمي من وراء سماحه لهذه المجموعات سد النقص في مجال الخدمة في الجيش، إلا أنه في الوقت نفسه قد دعم الاكتفاء الذاتي في مجال العمالة في المجالات الأخرى كالفلاحة، والصناعة؛ لأن الدولة، بلا شك، كانت ستضطر للاستعانة بالعناصر الشابة المنخرطة في هذه المجالات لسد النقص في الجندية في بعض الأحيان، خاصة وأن الدفاع عن الوطن، وحفظ الأمن أولى وأهم بالنسبة لاستقرار الوطن والحفاظ على وحدة أراضيه.

إن تركيز الحاجب المنصور على الجيش لا يعني أن السماح بالهجرة ينبغي أن يكون للعناصر الصالحة للجندية فقط، وإنما يعني أن حاجة الدولة هي التي تحدد نوعية المهاجرين، واحتياجات الدولة والمجتمع متعددة، منها الفلاحة والتعدين والصناعة والصحة والتعليم.

4- الهجرة الإسلامية البينية بإمكانها إحداث التكامل والتقارب بين الدول:

بدأ العالم الإسلامي في التوزع إلى دويلات مستقلة ابتداء من القرن الثاني الهجري، واستمر إلى يومنا هذا، من الناحية السياسية. أما من الناحية الاجتماعية فإن عوامل الاتفاق والتلاقي هي الأقوى والأرجح، فالمسلم في أي بلد إسلامي لا يشعر بأنه غريب، وإنما يشعر بأنه وسط أهله وذويه، وما نشاهده من نزاعات وفتن داخلية وصراعات إنما هي من صنع الساسة ومن التف حولهم من المنتفعين من الفقهاء والعلماء وزعماء القبائل والطوائف.

والدول الإسلامية تمتاز كل واحدة منها بالتفوق في مجال معين كالفلاحة والتجارة والتعدين والتعليم والصحة والجندية. ويمكن للهجرة الجماعية البينية أن تسد النقص أو تلبي رغبة الدول في تطوير مجال معين من المجالات السابقة بفتح المجال أمام المتميزين فيه من أي دولة مسلمة أخرى. وبهذه الطريقة يمكن أن تحدث الهجرة التقارب والتعاون بين الدول والنهضة، وسد النقص في الخبرات والمهارات.

5- المهاجر المسلم يتمتع بكافة حقوق المواطنة بما فيها المشاركة السياسية في أعلى مستوياتها:

إذا نظرنا إلى المجموعة المهاجرة موضع الدراسة، وإلى التاريخ الإسلامي فإننا سنلاحظ بأن معظم القادة الذين كونوا دويلات مستقلة وتوارثها من بعدهم أبناؤهم وأحفادهم أو أفراد من أسرتهم لم يكونوا من أهل البلاد الأصيلين، وإنما من العناصر الوافدة. والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة كالطولنيين والإخشيديين والفاطميين في مصر والأدارسة في المغرب، والأغالبة في إفريقية، وبنو زيري الصنهاجيين في إلبيرة وغرناطة.

إن وصول هذه المجموعات المهاجرة إلى السلطة يؤكد بأن المسلم يتمتع بكافة حقوق وواجبات

-1-ابن بلقين، عبد الله، كتاب التبيان، ص57.

المواطنة في كل شبر من أرض الإسلام، وأن المجتمعات المسلمة في خارج الجزيرة العربية كانت تعطي احتراماً خاصاً وتقديراً للأسرة التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ الإسلام، وللأمراء والقادة الذين ساهموا في حفظ أمنها والدفاع عن أراضيها، وتؤثرهم وتقدمهم للقيادة بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية، وهذا ما نفتقده اليوم في العالم الإسلامي، ونجده معمولاً به ومطبقاً عند الآخر .

الخاتمة:

وضح من هذه الدراسة أن هجرة الأفراد من طلاب وتجار كانت تسير بشكل راتب غير أن الهجرة الجماعية كانت تخضع لشروط من أجل الحفاظ على حقوق المهاجرين والدولة المستقبلة. وقد ساعد هذا في اندماج المهاجرين في المجتمعات الجديدة بسبب وجود قواسم مشتركة ولم تؤثر الاختلافات المذهبية بشكل كبير. تمتع المهاجر بكافة حقوقه بما فيها السياسية. ساعدت الهجرات البينية في التقارب والتكامل بدرجة أن المهاجرين الذين وصلوا للسلطة في مناطق كثيرة لم يكونوا من أصحاب البلاد الأصليين وهي ظاهرة نفتقدها في عالم اليوم.

الهوامش:

1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، بيروت ١٩٦٦م، ص 620
2) e Levl Provencal Historie de l espagne musulmane ,1950 p187
3) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر....ص٣١٧
4) E Levi opcit
5) ابن خلدون نفسه
6) نفسه
7) نفسه
8) HHIdris Lberberie Oriental Sous les Zerirdes Paris 1960,p51
9) Ibid,40
10) E Levi op cit
11) سورة النور، آية ٥٨
12) نفسه
13) ابن بلقين، عبد الله، كتاب التبيان، الرباط١٩٩٥
14) نفسه
15) حركات ، ابراهيم، المغرب عبر التاريخ ، الدار البيضاء ١٩٨٤،ص٨٤
16) مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والاندلس ،القاهرة ١٩٥٤ ،ص ١٤٦
17) نفسه
18) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب ..ص٢٩٣

19) سورة الحجرات اية ١٣

20) ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار بيروت ١٩٧٥ ص ١٠٥

21) نفسه

22) ابن ابي زرع الفاسي ،الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب الرباط ،١٩٧٢ ص ٢٩

23) مؤنس حسين ،المرجع السابق ص ١٤٦

24) Jose Lusi asianPena,Barcelona,1962 p11

25) العبادي ، احمد مختار في تاريخ المغرب والاندلس ،بيروت ١٩٧٨،ص٢٠١

26) H H Idris op city 93

27) سورة الحج اية٣٩

28) سورة النساء اية٧٥

29) ابن بلقين المرجع السابق ص٥٧

30) نفسه ص ١٦

31) العبادي المرجع السابق ص١٢٨

32) سورة النساء اية٩٧

33) ابن الخطيب الإحاطة في اخبار غرناطة ص٥٣١

34) ابن عذاري المراكشي المرجع السابق ص ١٢٣

35) ابن بلقين المرجع السابق ص ٢٤

36) نفسه ص ٥٧

37) ابن عذاري المرجع السابق ص ٢٧٧

38) ابن ابي زرع الفاسي المرجع السابق ص٣٨

39) جاد الرب ،عبدالقادر عثمان العامريون الخطط والاساليب لتجاوز شرط قرشية الخلافة وااموبتها مجلة التاريخ العربي ٢٠٠٤ ص٣٢

40) ابن بلقين ،المرجع السابق ،ص٥٧

The Effects of Tribal Strife in Africa: The Case of South Sudan

Dr. Daniel Thabo Nyibong(•)

تهدف هذه الدراسة الي تلمس اسباب ونتائج الصراعات القبلية في افريقيا بتركيز علي حالة جنوب السودان وكذلك التعرف علي اخطار ظاهرة القبلية والتعصب القبلي علي الحياة الاجتماعية والمؤسسات التعلمية .والي اي مدي انتشرت هذه الظاهرة بين المتعلمين والنخب الاكاديمية في افريقيا وكيف كان التعامل معها .و تسعي الورقة الي تبيان تاثير القبلية علي مشروع بناء الدولة والتحديات التي تعترض تنفيذ وفعالية المشروع .

Introduction.

The purpose of this study is to find out the causes and consequences of the effects of tribal conflict in South Sudan with regard to tribalism and nepotism We shall try to investigate the great danger of tribalism. The focus will be on tribalism and nepotism in public and educational institutions. This research study will examine Nepotism and tribalism amongst the intellectual and elite communities of Africa and South Sudan .This work will analyze the chasing the spoils and explore nation building in South Sudan and its challenges.

Research Questions

Does tribal strife affect the people? Which are the positive and negative effects of the tribal engagement? What are the causes and consequences of this conflict? How can people solve this tribal strife?

Methods for the research work

The researcher will use a wide range of ways which will include descriptions, explanations, and predictions. The author will also evaluate and analyze the research information.

The Great Danger of Tribalism

Other people's tribal quarrels never make much sense. Ethnic strife seems not acute in Africa in general and South Sudan in particular. Ethnic or religious difference has been the pretext for violence in Sudan, South Africa; Ethiopia etc Africa's ethnic conflicts are often imagined to be the spontaneous expression of ancient hatreds (Robert Guest, London, August 2003: pp 109 – 111).

Tribal animosity certainly exists, but it rarely erupts into large-scale bloodshed unless deliberately inflamed by dishonest leaders. In pre-colonial time, tribes often fought over such things as pasture and water, but their battles were usually brief, local and not especially bloody. Today, tribes fought for control of a much larger prize; the nation state. And many more die in the struggle. One thought that the event, the birth of this new nation, would give impetus to oppressed peoples all over the world (Clayborne Carson, 2002 p; 114). The birth of this new nation renewed my conviction in the ultimate triumph of

---

(•) استاذ التاريخ الحديث جامعة جوبا

justice. There are many causes of conflicts in Africa. They include borders, ethnicity, religion, tribalism and favoritism, terrorism, lack of support for basic rights in the region ,poor governance, natural resources and the cold war.

The historian Basil Davidson has written a whole book on "Africa and the curse of the nation State". He argues that because post-colonial states were alien transplants, based usually on British or French models rather than old indigenous institutions, they failed to achieve legitimacy in the eyes of the majority of African citizens, and soon proved unable to protect and promote the interests of those citizens, save for a privileged few'. Against this illegal state, he says, the majority have sought ways of defending themselves. The principal way they have found of doing this is through tribalism, perhaps more accurately, clienteles dependent on personal, family and similar networks of local interest.

In so far as it is a "system", clienteles has become the way politics in Africa largely operates. Its rivalries naturally sow chaos". It is not tribal feelings themselves that cause trouble' it is their politicization. Most of Africa's ethnic strife has its roots in the manipulation of tribal loyalties of the colonial authorities. And most of today's conflicts owe their persistence to modern politics, not primordial passions.

Tribalism is positively, "loyalty to a tribe or tribal values (Collins, English Dictionary, Harper Collins, Glasgow, 1995). Negatively, tribalism is a "way to thinking or behaving in which people are more loyal to their tribe than to their friends, their country or any other social group (Macmillan ,School Dictionary ,Macmillan Education: Oxford, 2004). Their dangers and negative effects towards South Sudan's social and political transformation are so conspicuous in all aspects of life.

Before the independence of the country, those who governed Sudanese citizens for 55 years did not care from which tribe or section of the community people came from. They were only interested in people's qualifications and their allegiance to the British rule and government. As soon as the country won its political independence, the whole system started to change. Jobs were misused by a minority clique and given especially to people who came from one particular region or province. As a result of this unjust distribution of jobs and resources there was general discontent in many other parts of the country. Especially in South Sudan a rebellion started in protest against this unjust rule and the post – independence marginalization of its people. The rebellion was a direct result of tribalism, sectionalism and nepotism (Collins, English Dictionary , Harper Collins: Glasgow,1 995). It is believed that excessive or narrow minded concern for local or regional interests as opposed to the interests of the whole. These evils are the root cause of many other national problems.

The theme is bigotry: treating individuals badly, not because of something they have done, but because they belong to a particular group. People find all sorts of unjust reasons of hatred, and unjust governments exploit them all.

Public and Educational Institutions

In public institutions in the South Sudan, these destructive practices are obviously becoming more widespread. It is a step backwards in country's development, not a step forward. Because of discriminatory nepotism many young men and women who have better certificates and degrees than others are turned away from jobs, while people who have relatives responsible for employment are taken on and employed. Nepotism destroys fair competition for jobs. In South Sudan you find many offices are occupied by one ethnic group to the exclusion of others. This is because the boss is from one particular ethnic group or tribe. Bosses would prefer to have their supporting staff come from their own tribe. When other people do come in, people from other ethnic groups, they find themselves alien. They discover themselves unwelcome and soon leave disappointed, due to the simple fact that everybody around them speaks in the tribal language of the office boss – which they do not know. This is a big and growing social and political problem. It divides people rather than unites people, who are all from the same nation. Tribalism and the emerging nepotism are becoming the generally accepted way of life. This is divisive and not constructive for our longer term future; strongly held divisions are always a threat to peace. Tribalism and nepotism bring dangers to any national community. They bring real problems for peace and stability. When they become the way of life in society, and especially in the public works, state and non-state institutions, they usually deprive the institutions of finding the right persons for the right positions when they are employing or recruiting. This breeds resentment, mistrust and hopelessness. In the 1970's and 1980's there was rampant fighting in most of South Sudan Schools before separation from the Sudan. At that time, there was a not inside the campus of the secondary school. Some students used pistols, alleged to have been provided by their relatives who were responsible people in society and state, and were also members of Christian churches and denominations in the town. Because of tribalism a lot of people were injured and many lost their chance to finish their education in the school. There should be new ways of approaching these matters, using questions about skills, qualifications, job-vision, and personal experience of the applicant, rather than simply tribe.

The Intellectual and Elite Communities in Africa and South Sudan

Natives in the countryside do not believe that townspeople can become conscious of village cultural beliefs surrounding trial separation. They think that someone who goes to school and receives education becomes a different person. To them all townspeople are one tribe and it speaks one language which is different from their native languages. Arabic and English are seen as the languages of the educated elite of Sudan. But to the contrary, these natives now discover that some ethnic groups in the towns have become even more tribe man than those who are in the countryside. This is dangerous and presents a challenge to the stability, reconciliation and peace in South Sudan elsewhere in Africa. An elite person is generally believed to be a peacemaker. When this belief turns out to be false then hopes for reconciliation and peace

become remote. In almost all of towns and cities various tribes live together – but separately. One tribe is in this area of town and another in that area of the same town. Some ethnic groups have even written books and other literature in their tribal languages encouraging their communities to remember bad things. They write that during the war, it was "So and so" tribe who took our cows, our food and destroyed our land. The purpose is to alert their own children and youth never to forget whatever wrongs were done to them. IF such attitudes are no discouraged, they will breed and foster a living hatred with jealousy between the many people of our one nation. This will last a long time and it will bring much sadness. I think that there is enough brainpower, enough determination, enough courage and faith to meet the difficulties as they developed.

1.Robert Guest, The Shackled Continent Africa's past, present and future, Macmillan 2004, pan books 2005

2. Thomas Maluith Hoth, Nepotism and tribalism 2009, Nile Theological College.

Following the Spoils of Peace

If peace holds, country has a chance to recover. The country needs honest and benevolent government, but war has allowed a rather different type of leader to rise to the top. Corruption blights almost everything that the state does. New businesses cannot start without paying bribes, nor can goods move through country's ports without pay offs. Even the supply of subsidized textbooks to schoolchildren has been tarnished. Officials have reportedly pocketed the subsidy and sold the books to parents at the time what they were supposed to charge". An anti-corruption commission, established in 1996, has done nothing.

Because the government has no need to raise money from sources other than oil, it has done little or nothing to nurture other parts of the economy.

African wars usually end for much the same reasons that wars elsewhere do. Either one side wins or the two sides tire of fighting and try to resolve their differences through dialogue. Outsiders can play a useful role. So Africans will have to solve their own problems. Many African leaders realize this, and some have sent troops to try to keep the peace in other African states. But on African country is powerful enough to impose peace on any but the tiniest neighbor. To stay peaceful in the long term, countries need governments that serves their citizens instead of robbing them, and which can be removed without violence.

Not only must these governments be elected; they must be elected under rules that more or less everyone agrees to be fair. Countries need constitutions that provide reasonable protection for all citizens, regardless of whether they support the ruling party. Governments must respect the constitutions under the terms of which they govern, and should stand down when they are voted out. People express their ideas openly and freely without fear of arrest. And even if rebel leaders agree to make peace, their foot soldiers are sometimes reluctant to disarm.

After twenty years of civil strife, the Southern area of Sudan obtained from the Central Government in 2005 as a provision of the Nairobi Comprehensive Peace Agreement and an interim constitution was drafted. However, the on – and – off civil strife during the past 40 years took an enormous tool on the new nation. South Sudan was left impoverished and with very low human and economic development. The Government of South Sudan is faced with the task of building a new country and addressing deeply embedded challenges to its development.

The new Government in Juba will have to confront how to deal with diverse interest and power groups that claim entitlement to the share of the political dispensation in the post referendum period.

These include those who have discernible political constituencies following results in electoral competitions, as well as those who claim to represent specific ethnic constituencies and can mobilize these in opposition in the event of political exclusion(1)

South Sudan starts off with a structure of government in which devolution is nascent. The various states have developed power over resources, the management of local governance and the participation in national politics, given the federal structure as a point of reference. The birth of July 9th, 2011 of South Sudan as an independent sovereign state did not come by accident or as a surprise(2). In a nutshell, the struggle therefore was for restoring the human dignity of our people, suggesting that each and every person in South Sudan should be visible and participating in the social, cultural, economic and political engineering leading to the development and emergence of a modern state in South Sudan.

The SPLM spearheaded the war of liberation as well as negotiated and signed in 2005 the Comprehensive Peace Agreement (CPA) with the Government of Sudan (GOS). It dominated the interim period's processes and therefore must take responsibility for governance failures that characterized the interim period in South Sudan(3). to me, the failures in government must be attributed to internal weaknesses of the SPLM as the governing party, coupled with the negative ligancies of the armed phase of the liberation struggle.

The original sign of the SPLM was perhaps the deliberate neglect of political education and organization in the conduct of the "war of liberation"(4) This confirms Mao's Maxim that war, and especially wars of liberation, can only be won by political means: political education, organization and unity among the people. The stasis in the SPLM is reflected in the performance of government,

---

(1) Hon. Prof. Peter Anyang Nyongo, State Building and Development in the Republic of South Sudan. 25 African Researches and Resource Forum 2011.
(2) H.E. Prof. Peter Adwok Nyaba- the Challenges of State and Nation Building in South Sudan, 102 p.27.
(3) ibid – p. 28
(4) ibid – p. 29

both in the Executive and in the Legislative organs during the interim period. The SPLM vision of a new Sudan is based on justice, equality, freedom, unity, social progress and democracy, which epitomize the construction blocks for nation and state building.

South Sudan emerged as an independent country before the completion of state formation process as per the European models. Many of its people still live outside the state precincts. The SPLM, as the ruling part, must stamp its vision on every policy statement on social and economic processes in South Sudan. There is no collective action, there is no party blueprint for transforming its vision into social and economic plans for implementation by the Government state building in post independence South Sudan, therefore requires different attitudes, methodology and skills on the part of the political leadership(1). The people of South Sudan desire a state that is strong, unified and able to enforce laws on its own territory; on the other hand, the society in South Sudan should be strong enough, cohesive and capable of imposing accountability on the state. It is the balance between a strong state and the strong society that makes democracy work. SPLM and all other political parties in and out the governments have to transform into agencies of change and social transformation. A human rights-based education imparts the skills needed to promote, defend and apply human rights in daily life. It promotes respect for human dignity and equality, fundamental to human development, and That serves to further inclusive-based societies and participation in democratic decision making(2). Civil and political rights ensure that the marginalized and disadvantaged segments of the population have access to what are considered basic human needs (food, shelter, fresh water etc). These same rights also ensure that social and economic rights are guaranteed for all. If this harmony becomes unbalanced and some rights are denied in favour of others it could have a devastating impact on society rights as a whole(3).(2) However, in order for respect for human rights to exist throughout society, it is important that all, including those in a position of power, exercise respect for human rights provinces. Education is essential to instill in young people respect for tolerance and peace.

Nation Building in South Sudan and its Challenges

South Sudan is inhabited by 67 ethnic communities. Some of them display diversity and linguistic variations even within each and the same group. Being South Sudanese who have struggled together against oppression and national

---

(1) Nicholas Burmett, unesco – Human Right Education in Contemporary Issues in Human Right Education, UNESCO 2011.

(2) Professor Francis Audiger, Human Rights Education: Current Status a future challenges.

(3) Prof. Samson Samuel Wassara, security Challenges in Post Liberation South Sudan, 2011 p.49 Women, peace and security p.111 United Nations 2002.

domination is our only commonality, which constitutes their collective identity. The nation building process in South Sudan in essence means the transient visibility of these ethnic communities in the wider context of their melting pot into one nation. Education is one driver of social change and national integration. The school and university syllabi and curricula should foster and inculcate in the children and students values and ideas that strengthen social harmony and promote respect for human rights and fundamental freedoms.

The failure to mould the Sudanese into one nation led to the secession of South Sudan. Denial of sub-national identities could lead to serious strains on the social and political relations which eventually trigger conflicts and loss of internal as well as external legitimacy of the state conflict societies that have undergone prolonged armed liberation struggles tend to grapple with post-conflict security system(1). An effort to construct a security system that guarantees political stability and economic prosperity was, and continues to be, a tough battle to win; conceptions about security need to start from the understanding that South Sudan is considered to be a fragile state, and that a state-centre approached overshadow the role of civil society in post liberation security arrangements during the past six years. Men are usually better placed to be involved in, and benefit from, reconstruction initiatives, often because of their greater participation in public life before conflict. Men also tend to have greater control over economic resources and more education than women. Sustainable and durable peace requires the participation of women and rights, as well as the integration of gender perspectives in all reconstruction processes. Reconstruction efforts which are based on human rights principles, including non-discrimination, can avoid perpetuating situations of inequality and discrimination and lead to the creation of more equitable and sustainable societies. The period of transition after a conflict provides an opportunity to create a democratic and equal society. central to any transition process is the need to take account of the differential needs of women and men at all stages of rebuilding of societies and the importance of concrete mechanisms to ensure that all people-women and men-enjoy freedoms and participate equally in rehabilitation and reconstruction. Post conflict reconstruction also involves the creation or reconstruction of civil society, which usually involves the support and enhancement of local NGOs

Conclusion:

The study deals with the effects of the tribal strife on South Sudanese communities with particular emphasis on tribalism and nepotism. This research study explains the great danger and describes tribalism and nepotism in public and educational institutions. This study explores these evils among the intellectual and elite communities in South Sudan and it also tells us the way of following the spoils of the peace. Finally ,this study analyzes the nation building in South Sudan and its challenges.

Findings:

1. The researcher has identified the following evils such as tribalism, sectionalism and nepotism as the root causes of many other national problems.
2. The study has indicated that nepotism destroys fair competition for jobs.
3. The researcher has found out that in order to solve these issues shown above, we should use skills, qualifications, job-vision, and personal experience of the applicant , rather than simply tribe.
4. It has been shown that reconstruction efforts can lead to the creation of more equitable and sustainable societies.
5. It is generally believed that the balance between a strong state and the strong society that makes democracy work.

Information on the Author.

He was the dean, College of Education, University of Juba (2011to 2016). He was the minister of Education Gender and Social welfare, Fashoda State(2016). The author was recently State Advisor for Peace and Reconciliation in central Upper Nile State.(2017) He is now a member of National Liberation Council SPLM Party. He is an associate professor of History.

The author had published the following: a) The Impact of Change Agents on Southern Sudan History (2005). b) The History of Collo People (2010). c) A Short of the Northern Luo (2014)

References:

1. Clayborne Carson,2002,p.114
2. Collins, English Dictionary, Harper Collins, Glasgow, 1995
3. H.E. Prof Peter Adwok Nyaba- The Challenges of State and Nation Building in South Sudan, 102 p.27.
4. Hon. Prof. Peter Anyang Nyongo, State Building and Development in the Republic of South Sudan. 25 African Researches and Resource Forum ,2011.
5. Macmillan, School Dictionary, macmillan education, Oxford, 2004
6. Nicholas Burmett, UNESCO– Human Right Education in Contemporary Issues in Human Right Education, UNESCO 2011.
7. Prof. Samson Samuel Wassara, security Challenges in Post Liberation South Sudan, 2011 p.49 Women, peace and security p.111 United Nations 2002.
8. Professor Francos Audiger, Human Rights Education: Current Status a future challenges.
9. Robert Guest, the Shackled Continent Africa's past, present and future, Macmillan 2004, pan books 2005.
10. Thomas Malut Hoth, Nepotism and tribalism 2009, Nile Theological College.